بيت القاضي

«رياض القاضي»

بيت القاضي

-العرَّاب الأخير-

<روايـة>

هذا الكتاب برعاية

مؤسسة Iraqibbc الإخبارية بإنجلترا – لندن

8 windsor road London Nw2 5ds

هذه الرواية :

هي من إحدى الروايات التي تتناول الأحداث والصراعات التي حدثت في بغداد من عام ١٩٠٢ إلى نهاية المَلَكيّة في العراق وإن كانت بعضها خيالية -تتحدث عن الصراعات الداخلية للأُسَر الكبيرة في تلك الفترة الماضية- فقررْت أن أضيف أحداثًا حقيقيةً تجعل هذه الرواية أكثر تشويقًا للقارئ؛ لِأَخرُج هذه المرة بروايةٍ مميَّزة تأخذ القارئ إلى عالم آخر بعد رواية "مولانا السيّد" التي صدرت في القاهرة عام ٢٠١٧؛ وهي الرواية التي أعتبرها أحد أهم أعمالي وأعتز بها جدًا؛ إذ أن أغلب أحداثها كانت مستمَدة من الواقع العراقي آنذاك، وللأسف الشديد أحداثها كانت صورة مغايرة عن وجه بغداد الحقيقي اليوم خاصّة بعد مرور أعوام طوال من قيام سلسلة من الحضارات المتعاقبة والتي أبهرت العالم بتقدمها قبل أن يُخلط الدين بالسياسة .. وتتحطم آمال الشعوب التي سعت إلى أبسط حقوقها في الحياة وهي "رفاهية العيش" المفقودة؛ فبعد ٢٠٠٣ لم يبقْ في بغداد سوى اسمها .. عاصمة الرشيد التي عَلَّمت العالم معنى الحضارة والأدب .. باتت مُهدَّدة بالإفلاس المعاشي والأمني بسبب ما يواجهه من صراعات نتيجة تكالب الدول الحاقدة على تدميرها .. "بغداد تلك الأميرة المدللة" وهذه الجميلة الرائعة التي بَقِيَت على مَرّ العصور عاصمة الجمال والدلال أصبحَت الآن تبكي أولادها وتنزف من جرح غائرٍ قاسٍ ضَرَبَ كل شيءٍ جميلٍ في بلدي وليس لي سوى أن أقول :

"لكِ الله يا بغداد يا قلعة الرشيد"

المؤلف

شكروتقدير

إلى الآنسة «شروق السامرائي»
التي ألهمتني شخصية «أشرقت»
في رواية «بيت القاضي»
-العرّاب الأخير-

الدرس الاول

- لا تُعَزِّز الفشل بوضع يدك في يد فاشل.
- بوسعك أن تكون ثريًا دون أن تعرف كيف تكون قويًا، ولكنك لا تستطيع أن تكون قويًا بدون المال.
- عندما تصطاد .. دع الفريسة تأتي إليك.
- طالما كنت مستعدًا للتنازل ستخسر.
- يقف الحظ دائمًا إلى جانب القوي.
- إذا أردت السلام فاستعد للحرب.
- عندما تَهُبُّ العاصفة، أدع الله .. ولكن اسبح إلى الشاطئ فورًا.
- عند تحقيق الانتصار .. اشحذ سكينك.
- الإنسان الذي ليس له أعداء، يكون بلا مواهب ولا مميزات.
- اجعل أصدقائك قريبين منك، ولكن اجعل أعدائك أقرب.
- المشاكل المتطرفة تتطلب حلولًا متطرفة.
- العالم يملكه الرجل الصبور.
- كل المشاكل تحل نفسها .. فقط امنحها الوقت.

الدرس الثاني

- إذا كنت سندانًا فاصبر، وإذا كنت مطرقةً فاضرب.
- المال لا يذهب أبدًا إلى السجن.
- من يدفع يحصل على خدمات أفضل.
- عندما ينبغي أن تبتُر .. عليك أن تقنع الضحية بأنك جرَّاح.
- النسور لا تصطاد الحشرات.
- أفضل دفاع في مواجهة الخائن هو أن تخونه.
- إذا لم يكن بوسعك أن تفوز في حرب عادلة، استعن بطرف ثالث يقاتل بالنيابة عنك.
- أفضل طريقة لدخول عالمنا هو أن تكون مولودًا بداخله.

من وصايا الأقوياء

البيت الأول

الفصل الأول

بغداد ١٩٠٢

من شُبّاك مكتب قصره الشاهق كان يتطلع بعينين تغشاهما حُمرة النبيذ الأحمر يتطلع بغضب إلى حديقة القصر .. كانت عيناه تلتمعان بوميضٍ غريبٍ حتى برز عِرْقٌ نافرٌ في رقبته وهو يتمتم بكلماتٍ غاضبةٍ غير مفهومة ممزوجة بحقد دفين استولى على قلبه .. فأخذ يمسح ببصره ساحة القصر الواسعة .. يتطلع إلى حرّاسه المدججين بالأسلحة بكبرياء وقسوة .. تنفَّس بعمقٍ وثقة كان غارقًا في تفكيرٍ عميقٍ مثل كل يوم عنده كل شئ كل ما تمنَّاه في حياته .. إلا شئٌ واحدٌ كان خارج إرادته وهو : أن يكون له ابن يحمل اسمه .. ليكون العرّاب القادم لبيت القاضي.

استدار نحو الخلف ثم انطلقت قامته الطويلة وسط مكتبه الواسع كالمارد الغاضب ينفُثُ دخان سيجارته «الكوبي» المخمرة انتزعها بعنف من فمه ثم وضعها في المطفأة فأبقاها مشتعلة.

في مكتبه يجد راحة شاملة وإحساسًا بالسيطرة على كل شئ من خلال مراقبته مدخل قصره .. وكذلك من خلال حركة حُرَّاسه الحذرين والمدججين بأنواع السلاح يكون قد أمّن لنفسه حماية كبيرة من خطر أعدائه.

الأسلحة قائمة ومُعَلَّقة بشكل هندسي جميل على الجدران وسط تهاويل الديكور .. بالإضافة إلى التحف الثمينة مصفوفة فوق الأرفف عارضة ألوانٍ من فنون دول مختلفة .. وفي أعماق نفسه يشعر بأنها توثق علاقته بعالمه وتدفع عنه غوائل الفناء.

أغلب أنواع الأحلام مُتاح له .. ولا حدود لطموحاته المجنونة وإذا أراد أن يملك البلد فلن يلويه عن ذلك أحد .. له سُلْطة نافذة ولا يثنيه أحد عن قراراته .. جنون العظمة يستولي عليه ولن يسمح لكائن من كان أن يسلب منه الثروة ولا مكانته .. يستميت من أجل مدّ نفوذه إلى أبعد حدود ممكن.

وضع كأس نبيذه بهدوء على المكتب .. ثم تقدَّم نحو مهد الطفل المُسَجَّى داخله .. وبخطواتٍ هادئة اقترب منه مدّ يده بِصَمْت أراد أن يرفع الرضيع .. تردَّدَ قليلًا ثم مالَ على الطفل النائم فرفعهُ ببطء قائلًا بسخرية :

«عندما تكبر ستنتقم لوالديك .. وسيخبروك من حرمك منهم ولست أنا مَن سيُقتل على يد لقيط».

تقدّم نحو الشُبَّاك والرضيع بين يديه .. دفع ضلفة الشباك بيده اليمنى وبقوة ليفتحه بشكل أوسع .. فتقدّمتا ذراعيه نحو الخارج ممسكًا الطفل ببرود .. يُقدّمه إلى خارج النافذة بهدوءٍ وبرود فتساءل في نفسه بجبروت:

- ماذا لو تركته الآن يهوي من بين يديَّ ؟ من سيُسعفه حينها ؟ لا أحد ..

ابتسم بخبث .. جال ببصره في السماء الزرقاء، ثم نظر بعينين تقدحان شَرَرَ الجنون إلى ساحة القصر .. حتى استوقفه منظر الأرض الصلدة .. تلك فقط ما ستتلقفهُ .. كاد أن يُنَفِّذ فكرته الجنونية لولا دخول «عائدة « بطولها الفارع وعطرها النسائي الذي سرعان ما انتشر عبقه في المكتب .. أسرعَت نحوه لتنقذ الطفل فصاحت به غاضبةً :

- توقف حالًا هل جُنِنْت ؟!

نظر إليها بعينين سرعان ما اختفت فيهما تلك النظرات الغاضبة واكتسيتا بشيء من الحيرة والخجل .. سحب ذراعيه اللتين تحملان الطفل إلى الداخل ؛ فأسرعت زوجته بأخذ الطفل من بين قبضتيه فأجهش الصغير بالبكاء على الفور .. سارعت هي تهدهده كأنها أمه تحاول إسكاته وتهبه السكينة بحنانها وعطفها على الرضيع مالت عليه بنهديها المارقين فأخرجت حلمتها الخالية من الحليب لتلقمه حتى يسكت .. بينما توعدّت للخادمة التي أحضرت المهد الى مكتب زوجها بالعقوبة القصوى.

كانت جالسة على الأريكة بلبسها القصير والمثير وفخذها الناعم ينعكس عليه آشعة الشمس .. فقالت بصوتٍ غاضب تعاتبه :

- هل جُنِنْتَ يا عمران ؟! ماذا لو لم يخبرني أحدهم بما أقدمت عليه الآن ؟ ولكن الظاهر أن كثرة جرائمك أكسَبَ قلبك القسوة والجبروت .. لتتجرأ ولو بفكرة التخلص من طفل لا ذنب له لا أصدِّق أبدًا ما رأيت منك .. كيف تتطاول على وحيدي بهذا الشكل ؟!

رغم غضبها منه فقد كانت مغرمةً به حد الموت ..

«عمران بيك» رجل شديد الذكاء وواسع الخيال .. عصري المظهر وكأنه أحد نجوم هوليود في في تلك الفترة؛ فعيناه السوداوتان واسعتان يتألق فيهما الذكاء والدهاء معا .. شعره الأسود يمنحهُ وسامةً نادرًا ما تجدها في الرجال .. مؤكدة الكاريزما التي تتجلى بوضوح في شخصيته القوية إضافة إلى طوله وسعة صدره كأنه رياضي .. فهو رجل عصري ثري بِلِحْيَة خفيفة عصرية .. جعل دخوله إلى عالم التجارة والسيطرة على السوق المحلية شيئًا عظيمًا فلا يجرؤ أحد من العوائل الكبيرة ليس فقط في بغداد بل في عموم العراق من مجاراته أو منافسته.

«عمـران القـاضي» انتـشر صيتـه كـما النـار في الهشـيم .. مَلـكَ بنفـوذه أغلـب رجـال الدولـة .. بـل حتـى أقرضهـم أمـوالًا طائلـة وأغـدق عليهـم مـن خـيراتٍ لم يكونـوا ليحلمـوا بهـا قـط .. إنـه <الكِنـج> .. لا ينقصـه سـوى دولـة يحكمهـا.

كانـت غاضبـة عليـه ولكنهـا كانـت كعادتهـا في احتوائهـا للأزمـات التـي تواجـه العائلـة في كل ظـرف؛ حاورَتْـهُ بهـدوء امـرأة عاقلـة :

- عليـك أن تقتـل «سـليمة» يـا عمـران وليـس هـذا البريء .. الأخـت التـي ضربـت بتقاليـد عائلتنـا عـرض الحائـط بهروبهـا مـع <توفيـق بيك > إلى اسطنبول وتزوجها سرًّا.

أجـاب بصـوت يشـوبه بحَّـة الإرهـاق وقـد لاحـت في عينيـه آي الألم والتفجـع ثـم اسـتدرك في شـبه ثـورة مكتومـة :

- قتلتـه وأرجعتهـا إلى البلـد مـع ابنهـا.. مـاذا أفعـل أكثـر مـن ذلـك ؟ قيدتهـا في زنزانـة تحـت الأرض أنتظـر موتهـا .. المـوت الـشيء الوحيد الذي ألجأ إليه للتخلص من العار الذي حاق بي.

- لـن يكفـي ذلـك .. منعتَهـا مـن الأكل والـشرب لأيـام ثـم سـتعود وتسـقيها وتطعمهـا .. لا لا لا هـذا لعـب أطفـال .. فـلا تُسـمي هـذا غسـلًا للعـار .. لقـد اسـتنزفنا دمـاءًا لكـي نخمـد نـار الحـرب بين عائلتنا وعائلة زوجها المقتول.

- ماذا افعل إذًا .. أردت أن أقتل هذا اللقيط لولا تدخلك.

- هـل أنـت جـاد يـا عمـران ؟! تقتلـه برميـه مـن الشـباك ؟! الظاهـر أن النبيـذ أفقـدك عقلـك .. ألا تفكـر كيـف سـتكون حيـاتي معـك كيـف سـأتحمل رؤيـة بقايـا طفـل بـريئ وهـو يُقـذَف مـن هنـا وفي قـصري .. هـل تعتقـد بأننـي سـوف أتحمـل العيـش معـك تحـت سقف واحد ؟ «محمود» سيعيش.

قالت مؤنبة زوجها بقسوة وهي مُصِرَّة على إبقاء الطفل على قيد الحياة .. نظر إليها بذهول قائلا :

- وهل أعطيتِهِ اسمًا أيضًا ؟

- ولِمَ لا وسيكون ابننا الذي حُرمنا منه سنين ؟؟

احتجّ «عمران» بصوتٍ مرتفع قائلًا :

- لا الظاهر أنتِ من ثملتِ من عبق النبيذ .. كيف تجرؤين على تبنّي لقيط ؟!

- هذا سيكون اسمه على اسم جدي الأكبر «محمود بيك القاضي» .. فهذا طفلٌ شرعي ولدَتْه أختك وهي متزوجة وليس ابن زنا كما تدّعي أنت .. لو تريد أن تُصلح بقايا الأمور فانزل إلى أختك الحبيسة في زنزانة القصر وانهي أمرها بسرعة بطلقة الرحمة .. ثم دع الحراس يتولون الباقي ولا تنس مَن أنت فأنت كبير العائلة وصاحب الصولجان والهيلمان.

قالتها بكل حماسة وهي تركز في عينيه بكل جدّية وقد تجمدت ملامح وجهها وكأنه صخرة جبلية .. ثم التفتت إلى الطفل تاركةً زوجها الواقف أمامها يقرر وحده مصير أخته.

أتسعت عيناه غضبًا الآن .. شياطين الشر تتلاعب بأعصابه وتُزّين له أعماله القبيحة بأنها جزء من الحكمة !!

تلقَّف مسدسه من دُرج المكتب .. ثم التقط كأس النبيذ ليُفرغه دفعة واحدة في جوفه .. وضع الكأس على سطح المكتب ثم انطلق كثور هائج إلى زنزانة القصر .. والشرر يتطاير من عينيه.

*****

حماية السلطة والحُكم والتفرد به .. من أهم ما يشغل جميع أصحاب النفوذ .. الانقلاب متاح حتى ولو اضطر الفرد أن يُضحي بوالده لينتزع منه مُلكه .. وكبح جماح أي معارض هو كترويض الثعبان وكسر سُمّه ولّه بعد ذلك فوق الكتف ..

عندما دبّر «عمران بيك» محاولة اغتيال والده وهو في طريقه إلى اجتماع مهم يقع خارج حدود بغداد .. تم استيقافه في حاجز وهمي من قِبَلِ بعض الأفراد وهُم بالزّي العسكري .. قبل أن تظهر من العدم سيارتان وتحاصر سيارته فجأة .. ولم تمر فترة يسيرة حتى نزل عدد من الأفراد من السيارتين مدججين بالأسلحة المختلفة .. فأمطروا السيارة ومن فيها بوابل من الرصاص حتى اشتعلت النار فيها .. فأخرجوا جثة والده بسرعة تاركين الآخرين ليحترقوا في داخل السيارة .. فأرشقوه بالرصاص حتى نُخر جسده وتشوهت معالمه بالكامل.

كانت هذه الحادثة شمّاعة يعلق عليها سبب انتقام الابن من الأقارب من الرجال المهمين و البارزين في عائلته .. وفرصة رائعة ليتخلص «عمران بيك» من خصومه ومعارضيه الذين كانوا من اقرب الناس إلى والده .. فأخلصوا له طيلة السنوات الماضية فأتهمهم باغتيال والده .. دبَّر خطة وحشية لذلك في اجتماع وهمي جمع فيه الرجال المهمين من العائلة .. ولكنه لم يحضر بنفسه .. فقد أرسل برجاله الأقوياء .. كانوا يرتدون القفازات السود ومدججين بأسلحة فتاكة .. هجموا على المكان بشراسة حتى أنهوا آخر رجل في قاعة الاجتماع .. تاركين ورائهم جثثًا تحترق .. ومكانًا مُحطّمًا تغرق جنباته بالدماء .

وتولّى تصفية الباقين بحملات اعتقال أو خطف ممنهجة وتخلّص من جثثهم سريعًا برميها في أماكن بعيدة خارج بغداد أو حرقها في

مزرعته الكبيرة لكي لا يترك دليلًا يدينه بجرائم القتل التي ارتكبها ومن ثم قد تُثار عليه مشاكل قد يستغلها بعض الشخصيات من الجهات العُليا ضده ..

استخدم رجاله طُرُقًا وحشيةً للتنكيل بمعارضيه عن طريق أساليب الخطف التي طالت أعدادًا كبيرةً من أقرباءه وحتى غير الأقرباء أي -المنافسين- له في التجارة ؛ وبذلك استطاع أن يسيطر على ما تبقى من الشخصيات الأخرى الذين يمثلون كِبار الرجال من -بيت القاضي- وغيرهم .. فأضعفَهم ونكَّل بهم أشدّ تنكيل ليحصل على ولائهم بالكامل .. ويكون بذلك كبيرهم وسَيِّدَهم.

الفصل الثاني

بخُطُواتٍ واثقة وملامح قاسية رُسِمت على وجهه .. نزل عبر السُلم نحو سرداب القصر الذي يسيطر عليه السكون التام كأنها مدينة مدفونة تحت الأرض .. واسعة ومُظلمة لاحياة فيها بدهاليزها وجدرانها الرمادية الكالحة .. إمبراطورية تحت الأرض يُعذِّبُ فيها أعداءه بلا رحمة ثم يتخلص منهم دون تردد.

كانت الزنزانة باردة وموحشة يدل صمت جدرانها على القسوة والغم والقنوط .. تُكْتَسَى بالظلام النسبي والرطوبة.

ركّز نظره على الباب الذي يحرسه أحد حراسه ضخم الجثة وله شارب مشذّب خفيف يسوده الشيب ويعتمر الكاب ببروزه المستدق الذي يعلو الحاجبين ويخفي جبهته.

اقترَبَ «عمران بيك» منه فأمره بايماءةٍ من رأسِه أن يفتح له باب الزنزانة .. ليدخل إلى مكان واسع .. معتم ورطِبْ ينيره نورٌ خافت وسُلَّمٌ طويل حلزوني يُفْضِي إلى الأسفل حيثُ كانت «سليمة خانم» مربوطة من ساعدَيْها بحبال غليظة، ومرمية على الأرض بدون فراش يقيها من رطوبة المكان الموحش .. كانت تسعل بشدة ومن ثم يصدرُ من صدرها الضعيف وبوهن شديد أنينٌ حزين مُثْقَلٌ بأوجاع المرض.

عندما نزل عبر السلالم .. توقف لحظة عند آخر دَرَجٍ .. تأمّل السقف الناشع والطلاء المكشوط وتلك الرطوبة التي سلخت جلد اخته الضعيفة والراقدة على بلاط مكسر وقذر وسط عتمة كشفت عن نور مأساتها .. بعدما كانت تعيش أميرة في كنف أبيها

لقد اتخذّت قرارًا ضد الكيمياء البشرية غيّرت كل معادلات حياتها ولكنّها أخطأت التقدير باختيارها رجل من عائلة اخرى كزوج لها والذي كان يومًا ما عدوًا أساسيًا للعائلة .. الحروب المتواصلة بينهم جعلت العلاقة منبوذة ومرفوضة .. دفع ثمنها أهله بعد أن فتك «عمران بيك» بهم ونكّل أشد تنكيل؛ إذ حَرَّقَ شركاتهم وخطف رجالهم .. بل وحتى قتل نساءهم وأطفالهم وهم نيام في عقر دارهم فقد كانوا مُعرّضين ساعتها لهجوم مسلّح أو حرق البيت على رأس من فيه .. دون تمييز بين صغير أو كبير.

أخذ يرميها بنظرات لوم وازدراء ممزوج بغضب كبير .. قبلَ أن يتقدم إليها بخطوات بطيئة .. فهو يحرص في كلّ مرة على أن يباغتها ويُرعبها وهي في سباتها .. يجد لذّة عظيمة في إخافتها لقد كانت شبه ميتة شاردة الفكر من إثر التعذيب .. مرتمية في إحدى زوايا الزنزانة الباردة .. تنظر بعين نصف مفتوحة وبشرود نحو الأرض .. جثة متهالكة تمددت رغما عنها تنتظر مصيرها على يد أخيها.

كانت شاحبةً يتناثر شعرها الأسود الفاحم على وجهها وكتفيها تتأوه من شدّة الألم .. عندما اقترب منها وبقلب بارد ركلها بقوة كانت ركلة قاسية كفيلة بأن تجعلها تطلق صراخًا ينبع من روح تعاني الويلات .. وكان ضلعها حينها مكسورًا من إثر الضربِ المبرح قبل أن يُلقي بها في الزنزانة .. استجمعت قواها لترفع رأسها ونظرت إليه بملامح تعلوها غلظة وكأنها بُركان وسينفجر .. رفع ساقه اليسرى ثم ضرب الأرض بقوة كالثور الهائج .. حتى دوى صدى كعب حذائه الأسود في أرجاء المكان تألم سمْعُها من قوة الصوت المدوّي فضحك ببرود ساخرًا منها انتفضت فَزِعَةً كمن أمسكت بحيّة تسعى تمتمت بكلام غير مفهوم .. حاولت أن تتماسك أمامه وتثبت عينيها في عينيه فلَم تتحمل ثِقل المجهود

فسقط ذقنها على صدرها من شدّة الإعياء.

انحنَى عليها فشَخَصت ببصرها إليه بشجاعة رغم ضعفها كانت تحاول جاهدةً جمع قواها وتتحدّاه ولو بنظرة .. قبل أن يشدّها بقوة من شعرها إلى الخلف قائلًا وقد تطاير الشرر من عينيه وكأنه قد أصابته اللّوثَة :

- اليوم نهاية عذابك .. وللأسف .. عليكِ أن تشكري «عائدة خانم» لأنها صاحبة الفكرة العتيدة لإنهائك .. فالمهم عندي انكِ رأيتِ بأمّ عينيك كيف قتلت «مقداد» .. أذقته طعم الذل أتعرفين عائلته استسلمت لقضاءها وقدرها .. تمت إبادة كل شخص حاول أن يقاوم وينتقم لزوجك اقصد عشيقك .. لم أري بمثل ضعفهم قط .. كانت معركة عادلة بيننا وبينهم رجالي استطاعوا أن يسلبوا حياة أغلبهم .. أشكرك على هذه الفرصة الرائعة التي منحتيني إياها لإزالتهم عن بَكْرَةِ أبيهم فضاعوا وضاعت أمجادهم إلى غير رجعة .

تمتمت بوهن شديد :

- ابني .....

- أردت قتله .. فكَّرْت أن أرميه من النافذة لولا دخلت «عائدة خانم» فمنعتني من تنفيذ الفكرة .. كنت سأجعل الحُراس يلمّون أحشائه في كيسٍ وأجلبه لأرميه على وجهك القذر لتنتعشي من رائحة دمائه .. ولكن للأسف منعتني الزوجة من هذا الفعل أخبرتني بأنّ قتلك أفضل من كلّ شئ.

- تقتل طفل رضيع ! .. يال ضُعفك وقسوة قلبك .. والدي كان مُحِقًا عندما حاول نفيك وإزالتك من العائلة.

كان قلبها خائفًا على ابنها .. ولكنها جالدت الخوف مجالدة

وفي نفس الوقت كانت تحاول أن تتحاشاه؛ فلربما من ضربة غاضبة أخرى يمزق وجهها او ركلة عنيفة يكسر لها عظما.

قال -بغضبٍ- وقد بدأ يفقد صبره شيئا فشيئا :

- ولقد أزلته قبل أن يزيلني فالثروة تستحق أكثر .. لقد كان يظن بأنه سلطانٌ ولن يزيله أحد .. لكن رجالي المخلصين لم يبخلوا عليَّ بهذه الخدمة .. كان عليَّ إنقاذ العائلة من الضعف الذي بات واضحًا علينا .. أردت أن اكون أنا الكبير ولكنه رفض وقاومني .. ففضَّلت إزاحته بطريقتي .. مَن يدخل عالمنا عليه أن يتوقع أي شئ .. نحن مَن ندير البلد بأموالنا .. والضعيف لا دور له أبدًا .. وإلا فسيُسحق بلا رحمة .

- وسيتآمرون عليك رجالك أيضًا يومًا ما كما فعلوا مع والدنا هذه السُلطة قذرة لا رحمة لها على أحد .. ما دُمْتَ قد اخترت طريق الدم .. فبالدم ستزول أيضًا.

- اخرسي..

صاح غاضبًا قبل أن يصفعها بقوة كانت كفيلة بأن يُفْصَلَ رأسها عن جسدها :

- هو تحت الثُرى وانا فوقه .. اقسم بأنه لو كان حيّا لضاعت عائلة القاضي إلى الأبد ولكُنّا فريسة سهلة لبقية العوائل التي تترقب زوالنا وزوال مُلكنا .. فلي فضل عليكم لأنني انقذت ماتبقى من اطلال العائلة .. أنا من سيكتب لهذه العائلة المجد أنتِ وأبوكِ حطمتما كل شئ وتركتماني أمام مسؤولية كبرى الملمُ شمل عائلة منهارة.

«سليمة» لم تكن لديها القوة الكافية لترد على جنون أخيها لا

تـزال تتوجـع مـن جذبـه لشـعرها بوحشـية .. بـل وحـرّك كل الأوجـاع السـاكنة في جسـدها وروحهـا .. كانـت تتلـوى خوفًـا وألمًـا .. لا حـول لهـا بعـد الآن فهـي تعـرف أن مصيرهـا لـن يقـل سـوءًا عـن مصـير زوجهـا وتعلـم بـأن أخيهـا عاشـق للدمـاء وإن صمّـم عـلى شـئ فعلـه اسـتهجنته بطرفـة عَـيْنٍ صارمـة .. فمصـدر هـذه القـوة هـي مـن ثـروة والـده المغـدور الـذي يحتمـي بهـا ويسـتمد قوتـه وجبروتـه منهـا هـذه السـطوة التـي اعطتـه غـرورًا واغـترف مـن الـشرّ حصـة كـبرى لتُدخلـه عـالم الإجـرام ...

بوجـهٍ بـارد وقلـب لم يعـرف اللّـين والرحمـة أخـرج مسدسـه -كولـت براونـج- الامريكـي مـن جرابـه المعلّـق تحـت إِبِطِـه .. بخطـوات بطيئـة ابتعـد عنهـا قبـل ان يلـوح منـه نظـرة الـوداع .. فتدفقـت مـن نظراتـه رائحـة الدمـاء .. هـي مـن يجـب أن تمـوت قبـل يذهـب كل مـا بنـاه أدراج الريـاح .. لم تتفـوه هـي بـشيءٍ لأنهـا تعلـم بـأن المـوت هـو الحـاضر الآن .. ولا شيء سـيبعده عنهـا إلا بمعجـزة .. وهـذا شـئ مُحـال أن تتدخـل معجـزة إلهيـة لتخلصهـا مـن قَدَرهـا الأسـود ..

صـوّب مسدسـه نحوهـا .. وبهـدوء أعصـاب ضغـط عـلى الزنـاد ليطلـق رصاصـة بـاردة في منتصـف جبينهـا ويرديهـا قتيلـة تضّرجـت بدماءهـا عـلى الفـور .. تناثـرت دمائهـا عـلى الحائـط كالنبيـذ الصيفـي فأخـذ يتشربـه بنهـم .. قبـل أن يدخـل الحـارس ويجـري بسرعـة الـبرق إلى الاسـفل كان ينتظـر أوامـر مـن سـيده بتنظيـف وإخـلاء المـكان مـن جثتهـا .. كـما يفعـل دائـما عندمـا يتخلـص سـيده مـن خصومـه واجِـبٌ دوري عليـه ألّا يتأخـر بذلـك وإلا فَسَـيِّده لا يعـرف الرحمـة.

تأملّهـا مـن بـاب التسـلية .. لقـد أتقـن التصويـب .. تمهّـل في فحـص ملامحهـا تحـت الضـوء الشـحيح كالرحمـة بـين هـذه الجـدران العاريـة إلا مـن خربشـات الخطـوط والحـروف المهزومـة المنقوشـة تواجـه النسـيان

كتبتـه أيـادي مجهولـة اندثـروا مـع الزمـن.

نظر إلى حارسه فأمره بإيماءة من رأسه بأن يُنظّف المكان .

الفصل الثالث

«أشرقت»

ليست كل امرأة قادرة على أن تلعب دور الأنثى المارقة وتكون قادرة على أن تغوي الرجال .. فالغواية مهارة تتطلب شطارة وفن وإتقان وبراعة وجمال خيالي وهذه أهم أدوات الغواية والتنكيل بأعتى الرجال، الذين يتناسون رجولتهم وقسوتهم وعنتريتهم أمام الصدر العالي وتناسق الجسم والبضرين وانسيابية الجسد فبذلك تستطيع الفاتنة على أسر الرجل بإضافة مسحة من الجنون عليه .. فكل هذه الشروط لا تستطيع اي امرأة ان تقوم بها لتصل إلى قمة المجد في حياتها وتنثر الرجال نثرًا كما تنثر الفرس وابلًا من الثلج بحوافرها.

كانت تقود سيارتها كالمجنونة تقصد قصر «عمران بيك» عندما علمت بعد شهرين من صحة مقتل أخته .. الخبر أفقدها صبرها وكأنها جاءت لتنتقم من شخص نغص عليها يومها أخبروها بوفاة اخته ولكنها لم تصدق ذلك وتأكدت من أنه قد تمّ قتلها ..أنكرت كل كلام الصحف التي نشرت النعي بوفاتها وزوجها في حادثة قطار وقررت أن تواجهه .. أنه اليد الذي دبر كل شئ .. تعرفه جيدا .. درست أدق تفاصيله .. مجرم لا يرحم أحدًا.

وقفت فجأة بسيارتها الفاخرة أمام قصر «عمران بيك» لتثير التراب الساكن من على الأرض ويغطي المكان من شدّة الفرملة تنتظر بفارغ الصبر أن يُفتح لها بوابة القصر الضخمة .. وما إن فُتحت البوابة حتى أندفعت بسيارتها إلى الداخل بسرعة كبيرة لاتُبالي إن ستدهس أحدًا وترسله وبلا تردد منها كل من يقف في طريقها إلى قعر الجحيم.

وصلت القصر ثم نزلت من سيارتها تلهث من شدة الغضب نار العتاب وعدم الرضا يحرق صدرها .. امرأة هتكت برجولة أعتى الرجال فهي هيفاء فارعة الطول .. وجهها أبيض ناعم وثمة بريق غضب مدهش اطلّ من مقلتيها الزرقاوين .. ترتدي فستانًا أبيضًا من الحرير وحذاءً أسودًا ذو كعب عالٍ شفتين صغيرتين والذقن الرقيقة المزدوجة لون البشرة الأبيض المُشرب بقليل من الحُمرة التي اكتسبتها من الشمس .. يداها ناعمتان نحيلتان تكتمل رقتهما بالعلاقة التي صنعتها مع رسخها الدقيق الأقرب الى النحافة.

كانت وحتى وهي غاضبة جميلة تسلب قلب كل من يراها صعدت عبر السلالم العاجية التي تقود إلى مدخل القصر وقفت أمام الباب الكبير العالي الذي تزيّنه النقوش العربية طرقته بشدة حتى فُتح لها الباب .. كانت من فتحته خادمة صغيرة جميلة استقبلتها بابتسامة واسعة .. فسحت الطريق للحسناء الغاضبة لتدخل .. دخلت تسأل عنه بلهفة وغضب بل ولربما هو اشتياق لذيذ ممزوج بالغضب .. أمَرَت الخادمة بأن تُبلغ سيدها بأنها تنتظره في الأسفل وعليه أن ينزل بسرعة وألَّا يتأخر لأهمية الأمر .. اتجهت مضطربة نحو البار لتصبّ لنفسها قدح ويسكي ارتشفتها على الفور قبل أن تتجه إلى صالة الضيوف الواسعة وتلقي بوزنها الخفيف على إحدى الارائك الفاخرة وتغرق في التأمل مغمضة عينيها الزرقاوين .. أخَذَت نفَسًا عميقًا -ترخي أعصابها من فاجعة الخبر التي سمعته- فالنعي أكد بأن أخته وزوجها لقيا نحبها في حادثة قطار في اسطنبول وهذا مؤكد خبر كاذب .. لديها مصادر قوية وتثق بهم بدرجة عالية أكدّوا لها أن ثمة شبهة كبيرة تغلف الموضوع وقد تم التكتم عليه خوفًا من عمليات القتل التي طالت كل من حاول معرفة الحقيقة وتعرف في نفس الوقت من هو «عمران بيك» ولو علم احدٌ بالوليد الجديد لانهارت عائلة

-بيت القاضي- وإلى الأبد .. ولكن لا أحد يعلم بالصغير بعد .. وستكون بمثابة صعقة وفرصة للأعداء المتربصين لهم منذ سنوات للاقتصاص من سمعة عشيقها .. وهذا سيكون بداية الانهيار.

أشرقت تكون كالطفلة الوليدة حينما يدعوها «عمران» لحفلة عشاء تولدّت علاقتها به في إحدى الحفلات الخيرية التي تُقام برعاية من الشركات والمؤسسات التجارية والتي يحضرها كبار رجال الأعمال والسياسة .. انتبه لها فارتخى لعينيها فارتخت لرجولته وشخصيته الجذابة وظهوره الطاغي في حياتها كانت مجرد دوامات عميقة من الإحساس تنزل أعمق وأعمق من خلال مشاعرها ونسيجها ووعيها تراخت له .. فتولدت بينهما علاقة من نوع خاص علاقة جديدة رغم انها تعلم بزواجه من سيدة مرموقة في المجتمع علاقة لامصالح ضيقة أو كتلك العلاقة المزيفة التي تنشأ بين رجل وامرأة .. لا فذلكة او ادِّعاء .. هناك غيرة وبعض الأنانية حينما تراه يراقص زوجته وابتسامة الرضا تزهو في وجهَي كليهما كزوجين .. بل يشع بينهما تبادل حقيقي لمشاعر حب وإلهام .. ففي قلبه مكان لحب امرأتين في وقت واحد .

كانت غارقة في قراءة كتاب أخرجته من حقيبتها لتقتل قلقها فهي دائما تحتفظ بكتاب معها تستعين به وتقرأهُ ليمتص أرَقَها .. سواء كانت في النادي أو في البيت أو في أوقات الانتظار المملة في أي مكان .. نزل «عمران بيك» في أبهى قيافته وعطره الزكي يتخلل في الأنوف .. فلما رأها تقرأ قرر أن يفاجأها بصوته الذي يلوعها بنبراته الذكورية :

- ماذا تقرأين ؟

- رواية .. «قالت وقد فزعت من المباغتة» ...

أغلقت الكتاب ووضعته عموديًا على فخذيها تنقر بأصابعها على الغلاف تتأمله بنظرة عتاب .. قبل أن تهمس :

- هل هي فوق ؟

- خرجت مع السائق في زيارة لوالدها .. ولكن كان من المفترض أن تتصلي بها قبل الزيارة.

- هي صديقتي وانت صديقي فأين باب الإشكال من ذلك ؟ ام تخاف منها ؟؟

قاطعها بحدّة :

- تعرفين أن لا شيء يخيفني حتى والدها يعرف من أنا.

- «عمران بيك» طبعًا .. -همست بنعومة-.

كاد أن يقفز عليها من شدّة اللوعة لولا انه كان في قصره فتمالك نفسه قائلًا :

- ها أنتِ قلتِها.

ثم أعادت ذكر اسمه للمرة الثانية ولكن هذه المرة بحدّة فأظهرت خشونة ناعمة في ردة فعلها من خلال عينيها الجميلتين فأضافت

- «عمران بيك» لماذا «سليمة» بالذات ؟

وقع ذكر الاسم على «عمران» كمفاجاة من العيار الثقيل لم يكن ينتظرها .. كان كافيًا في أن يتغير هدوءه في ثانية .. أدار لها ظهره فنهضت وتقدمت نحوه حتى أصبحت تواجهه وجهًا لوجه فقالت له بشجاعة وحدّة :

- تقتلها ؟ كيف تجرؤ على قتلها .. أعلم أنك قتلتها ولا تنكر

ذلك .. «عمران» تعرفني جيدًا مَن أنا .. وأنا الوحيدة التي أعرف بخبر ولادة الطفل .. طبعا الدكتور الذي سجّل الطفل باسمك تم قتله لكي يموت السر معه.

كانت صعقة قوية دَوَتْ في أسماعِهِ .. حتى توتر قليلا .. فكاد التوتر يبقر معدته ولكنه لم يُظهر بأن المفاجأة قد أثرت عليه ربما لسبب ما ولكنه حاول ان يبرر موقفه منها .. كونها أقرب الناس إليه وعشيقته التي تحاول معرفة كل شئ .. لتحميه من أي مؤامرة ضده .. لا أن تتآمر عليه :

- كان لها الدور في خراب سمعتنا.

صاحت بضيق :

- وماذا فعلت هي ؟ زنت ؟ تزوجت المسكينة .. وهروبها كان بسبب جبروتك .. وطغيان افكارك السادية التي ستؤول بنا إلى الخراب.

- اخفضي صوتك .

قالت متحدّية و بنبرة سخرية طغت على صوتها وحركاتها :

- وإن لم أفعل ماتقول .. ماذا تستطيع فعله ؟ تقتلني مثلها.. او مثل من قتلتهم وتقتلهم في كل فرصة سانحة .. لكي تنال الولاء من كبارنا وتكون كبير -بيت القاضي- .. والسيد الآمر والناهي فينا .. ونحن علينا طاعتك والرجوع إليك في كلّ صغيرة وكبيرة.

ساد صمت الكهوف بينهما قبل ان يشعر بالم حاد يشطر امعاءه لحظتها فالعرق بدأ يزحف على جبينه .. ثم أردف بهدوء متمالكًا اعصابه رُغْمًا عنه :

- قضاءها وقَدَرُها ؟

- لم يكن قضاءًا وقَدَرًا.. أنت تعرف من أنا «سيد عمران» .. انا أعرف كل شئ يجري على ارضنا .. لا تعتقد بأنك سوف تقنعني بأنك فعلت ذلك من اجل مصلحة العائلة .. انت كنت تخطط في السيطرة على ممتلكات زوجها ودمج شركاته معك ومن ثم تقتله .. ثم وجدتها فرصة عظيمة لتستولي بها على أملاكه بالكامل وفق عقد بيع وهمي تحت تهديد السلاح وقد ملكت الآن أضعاف أضعاف ما وَرَثْتَهُ عن والدك .. كان بإمكانك أن تحتوي المشكلة ولكن الطمع يعمي البصيرة.

- .....؟

- «كيف تعرفين بكل هذه الامور» .. كان يرددها في نفسه .. لو لم تكوني «أشرقت» التي تغتالني دومًا .. لدفنتك منذ زمن بعيد .

- قبل اسبوعين من عودتي عندما كنت في لندن قرأت إحدى صحفنا المحلية التي وصلتني هناك خبر النعي .. فلم أصدّق .. القصة تقول أنها وزوجها لقيا حتفيهما اثناء خروج القطار عن مسار السكة الحديدية في اسطنبول .. وطبعا هذا كذب في كذب ولا احد يعلم بالطفل لانه لم يُسجّل حينها وأنت بحُكم علاقاتك زورت شهادة الوفاة مع مدير المستشفى وكالعادة رشيته ومن ثم قتلته .. والمشكله أن الناس يخافونك وبالتالي لا أحد يتجرأ على نطق الحقيقة حتى وإن علموا الحقيقة ولكن هذه الحادثة فعلا لم تُثِرْ جدلًا واسعًا لان الجميع قد صدّق كل ما حدث والذي لم يصدق اضطر إلى السكوت أو تمت تصفيته بطريقتك الخاصة .. إلا عائلة زوجها .. كانوا خائفين ولم يتجرأو على مقاضاتك أو حتى أن يفكروا بالانتقام منك وفوق ذلك

قتلت منهم الكثير بوحشيتك «عمران» يجب أن تقلل من بحر الدم الذي تسعى إليه وإلا فلن يحميك رجال السلطة كثيرًا .. هؤلاء قَوَّادون يبيعون ذممهم إلى مَن يدفع أكثر .. لا تستعمل أسلوب التصفية إلا وقت الضرورة عندما تصل إلى نهاية الطريق بالتفاوض مع الخصم حينها تخلص منه ولا ترحمه أبدًا.

- لقد قُضِيَ الأمر يا أشرقت .. لن تُحاسبينني على تصرفاتي ابدًا مفهوم .. أنا لدّي مشاريعي ولا أريد أي أحدٍ أن يؤثر على ما أُخَطِّط له .. ولا حتى أنتِ.

- تهديد ؟ أم تحذير.

- لاتكوني حمقاء.. بالرغم من أني أحبكِ و ...

كاد أن يدفن أصابعه في شعرها برقة لولا أنها منعته ثم رفعت حاجبها الأيسر بغضب فازدادت إغراءً وأنوثةً وهي تقول :

- بدات لا أثق بك .. لقد انفض السامر وتفرق الشامل.

حملت حقيبتها ثم خرجت مسرعة من القصر تاركةً «عمران» في ذهول عميق يتأمل خروجها بصمت كبير .. وهو يتساءل ماذا تتقصد بجملتها الأخيرة ؟

*****

«أشرقت» الأنثى التي تتكلم بمواء القطة الأنثى الطازجة ونكداءْ أو هكذا يعتبرها أحيانا عندما تتدخل في أموره ولكن عندما تقترب منه لصقا بأنفاس لاهثة وأصابع مرتعشة تمس شعره فينسى قسوته .. التي تعيش بداخله فتتقلص كل ملامحه وأعضائه إلا الذي دفعها للتأمل الشبق فتعريه وبعد دقائق من غيامه يكشف انها ليست كأي أنثى عادية .. تلفظه وتحوله من سجّانها إلى سجينها تُعّفرهُ

بالحب من رأسه الى أخمص قدميه يسمع حفيف أطرافه وخبط أقدامه داخله وهو يجري ورائها يطلب عفوها ورضاها القاعدة الركينة في هذه الحالة هي انها حالة خاصة لم يصادفها من قبل كأن فيها سحر ومسٌّ ويحس أحيانا بأنه مضروب بالعار .. خوفًا من أن يكشفه أعدائه بأنه يحتفظ بعشيقة سرّية يعيش في ازدواجية الجبّار والعاشق ولكنه في النهاية إنسان وعاشق متمرد على واقعه تلكزه تلك المتهيجة وتهمس له :

- لا يهم إن تزوجتني أم لا المهم انت بجانبي .. اشعر بك وتشعر بي.

يسمع تنفسها المنتظم يصدر صفارات مكتومة من أنفها المدفوس في الوسادة تنام كمراهقة مرهقة .. تضع في ملامحها كل ماتقدر عليه من كحل ولون شفاه وبودرة ورسم للحواجب .. لكن كل هذا يتبدد بنومتها السارحة التي أربكته .. وتثيره .. تشد شهوته الراقدة على الرغم من قلة نومه وعصبيته .. ولكن جاذبية العيون التي تقاوم النعاس وهي تستيقظ من نومها تنعش روحه فيستعيد وجهه بها .. خاصةً عندما تضحك فتتورط هي في الإعلان عن أنوثتها ..

فكيف يواجه الواقع .. زوجته .. ثم كان هذا الوجود اليومي اللزج لوالدها الذي يراقبه كمحاولة منه أن يتعرف على كل نشاطات صهره كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة لكي يمسكه من خصيتيه ويمنعه من الحراك ثم إضعافه والقضاء عليه «جاهد بيك» خطير رغم ضعفه .. له تاريخ اجرامي واسع ولايُستهان به ومع تقدم عُمره تبقى لسعته قاتلة.

فهذه الحياة تأتي إلينا بمواتيرها المزعجة لكي توقظ فينا غريزة الشر التي نلجأ إليها للوصول إلى غاية معينة ...

ولكـن مهـما يحصـل فسـيبقى هـو سـيّدًا عـلى عرشـه .. وعـلى «بيـت القـاضي».

الفصل الرابع

في مكتب والدها الفاخر والكبير .. الذي يضفي روح الفخامة والترف من اختياره النظام الكلاسيكي للديكور والذي يعشقه «جاهد بيك» .. كانا يتحدثان بجدية تامّة أضفت إلى جو الحديث والجلسة رهبة كبيرة .. كان «جاهد بيك» قد بلّغَ آل بيته والخدم بعدم الدخول عليهما وذلك بسبب نقاش مهم يدور بينه وبين ابنته .. كائن من كان ممنوع أن يدخل .. حتى زوجته التي تتمتع بقوة شخصية طاغية لم تُعارض فكرته .. بل استحسنت فكرته من أن يختلي مع ابنته قليلًا في مكتبه لحل بعض المشاكل العالقة والتي باتت تهدد مصير العائلة كانت محاولة منه للتدخل في أمور ابنته التي تعقدت والسعي الجاد إلى حلّها بأحسن الطرق المتاحة في الوقت الراهن .. وكذلك فهي فرصة ومحاولة تنقية العلاقة التي تدهورت بينها وبين زوجها التي اخذت طابعًا آخرًا بسبب استهتار «عمران بيك» بكل شئ والذي باتت تصرفاته قدَرًا أسودًا يهدد مصير العائلة وهيبتها بدت ابنته قلقة بشأن زوجها وعلاقتها به .. الذي سيكون حتما على قاب قوسين أو أدنى.

كان جالسًا مع ابنته الوحيدة الشاردة الحزينة .. التي تزوجت من «عمران» قبل سنين طويلة .. عندما كان مجرد شاب برئ لم تختلط يداه بدماء الناس بعد .. كان والدها قد استدعاها على عَجَلٍ لكي يبحثا عن حلول جذرية للخروج من مأزق وتحدي كبيرين وهو تمرد زوج ابنته على التُجّار فجأة .. وظهور حوت جديد في السوق التجارية وهو بيت «الجلبي» .. الذي ظهر كالشبح الغاضب يضرب بمصالح التُجّار الكبار باستهتار .. مما هدد بذلك مصير -بيت القاضي- والتنكيس من هيبتهم بين الطبقات الراقية.

كان صوت والدها جَهوريًا فخمًا رخيمًا واضحًا .. له إيقاعٌ خاص يناسب في إلقاء القصائد أو الخُطب بقميصه الأبيض مفتوح الصدر يتدلى على صدره المُشعِر سلسلة غليظة من الذهب كانت ملامحه ناقمة .. وغاضبة وبوجه ملتح متجهم لا يخفي عينيه الذكيتين فيما تدور في مآتيها من القلق والذهول .. فقال بقلق كبير :

- عائدة .. زوجك سوف يوصلنا بدكتاتوريته إلى مستوى القاع سوف يهدم ما بنيناه .. أنه مجنون .. وستكون نهاية لتاريخ عائلتنا العريقة وبلا أدنى شك .. يجب أن نوقفه ولو بالقوة.

- أعرف ذلك .. أنا اكاد أرى هذا السقوط .. وإن سقط فلن تقوم له قيامة بعد ذلك .. لقد خلق لنفسه أعداءً لن يستطيع مجابهتم في المستقبل إذا اتحدوا عليه وحاولوا النيل منه العوائل الكبيرة تتطلع إلى سقوطنا في أية لحظة وحين وهذا ينذر بنهاية مخيفة له ولنا.

- وكيف لا وقد قتل والده واخته .. وقتل تجارًا كبارًا كانوا من خيرة شخصيات -بيت القاضي- .. ولولا رجالنا المخلصين وعلاقاتهم مع رجال الدولة لكنا الآن من الهالكين .. ولندّثرنا مشتَّتين مهمَلين .. يجب حماية اسم عائلتنا وهيبتها -بيت القاضي- يجب أن يكون أقوى من السابق نحميه من كل شخص يحاول المساس بنا .. ولكن نحمد الله على كل شئ رغم كل شئ.

كانت «عائدة» شاردة .. بعيدًا .. بعيدًا جدًا إلى حد انها فقدت السمع حتى نكزها والدها في يدها ليعيدها إلى وعيها .. شرودها المفاجئ كان بسبب أخلاق زوجها الغير مناسب .. جفلت من النكزة فابتسمت بهدوء يشي عن اعتذارها من الشرود المفاجئ الذي غلّفها رُغْمًا عنها وهي جالسة في حضرة مقام والدها البيك.

- لماذا هذا الوجوم حبيبتي ؟

- مـا زال معهـا .. «أشرقـت» .. لم أكـن أتصـور يومًـا بـأن هـذه المرأة المتكبرة ستدخل حياتنا فجأة و...

سـكتت كاتمـةً حزنًـا عظيـمًا فلـم تسـتطع أن تكمـل جملتهـا .. زمّـت عـلى شـفتيها بقـوة مغمضـة العينـين متألمـة فالاسـم كان كالمنشـار الـذي اسـتقر في منتصـف الجـذع ولا يقطعـه .. بـل يزيـده ألمًا كالخنجـر الضارب في الخـصر .. اخـترق كل أحشـائها ومزقهـا شر تمزيـق ..» أشرقـت» تلـك الأفعـى الصفـراء .. لا تَقِـلُّ شراسـة عـن «عمـران» ولكنهـا تـضرب عـلى الوتـر الناعـم فتبـتره «أسـلوب نسـائي ناعـم» ولكنـه فتّـاك .. تغلغـت في ربـوع الأسرة كشـبح اخـترق جـدارًا منيعًـا بـلا اسـتئذان.

لـوّح الأب بيـده اليـسرى .. ثـم قـال محـاولًا مـن تقليـل أهميـة «اشرقـت»

- «أشرقـت» فراشـة ناعمـة أسـحقها بإصبعـي الصغـير ولكن «ياسـين الجلبـي» كيـف سنسـحقه ؟ انـه حـوت .. بـل أكـبر مـن ذلـك أصبـح لـه أصدقـاء في الـوزارات ونفـوذه الاقتصـادي امتـد في زمـن قصـير جـدًا منـذ ولوجـه إلى عـالم التجـارة الحـرّة .. كيـف اتـصرّف الآن وأنقـذ مـا تبقـى مـن مصالحنـا و»عمـران» لا يعطنـي الضوء الأخضر !

- الضوء الاخضر ؟ هل نسيت من انت ...

قاطعها بحدة حتى برز عرق أزرق نافر في رقبته :

- مينـاء أم قـصر صـارت ملكـه .. بضاعتـه في السـفن الراسـية هنـاك طغـت وغطـت المينـاء وقريبًـا جـدًا سـوف يكتسـح السـوق ويدمرنـا وأنـا لا أعـرف لمـاذا «عمـران» سـاكت عـلى هـذا المخلـوق لا تنس زوجك ونفوذه فإنه يستطيع التخلص مني إذا شاء ..

ثم واصل بوجوم بعد صمت قصير :

- آل «الجلبي» يستوردون ويصدّرون بضائع بأسعار زهيدة لا تتفق مع أسعارنا .. أدخلَ هذه المرة بضائع أجنبية بالاتفاق مع التُجار البريطانيين وبالتالي اصبحنا تحت رحمة الرب لو يستمر الوضع كذلك سنكون قد وصلنا بذلك الى خطوة الاحتضار والإفلاس في خسارة وتيرةٍ لا نهاية لها .. زوجك يخسر أموالًا طائلة عن طريق دفعه للقتلة أموالا طائلة لتنفيذ العمليات الإجرامية بحق منافسيه الذين يمتنعون عن طاعته لأوامره .. وأغلب الأحيان يستعين بنا لتمويل القتلة .. وهذا ضرره كبير جدًا علينا .. نحن نتكاتف في أمور الربح والخسارة لا ان يهدر دم الناس على كلّ كبيرة وصغيرة هناك أسلوب الكلام والمنطق يجب عليه اتباعه واحترام الآخرين مهما كانوا من معارضين.

- وماذا عن سوق السلاح الذي نسيطر عليه ألَا يعوّضه عن خسارته ؟ ورجالنا ألَا يُحركون ساكنًا ليحموا مصالحهم ؟

- الظاهر ابتعادك عن التجارة منذ أن تفرغتِ لتربية «محمود» أنساكِ لعبة السوق .. كل شئ يتغير في طرفة عين التجارة أضحت كالسياسة .. يوم لكِ ويوم عليكِ.

- لم أنس ولكنك تعرف أنني تفرغت لتربية الصغير بعد مقتل والدَيْه لا اكثر .. ولكنني مازلت أتابع الأخبار.

- الحكومة كما تعلمين ضعيفة وفاشلة جدًا .. بل وتحتضر ورجالنا هم الذين يسيطرون على سوق السلاح في كل الاوقات ولايبالون بالقوانين والبقاء هو للقوي .. ولكن لا استبعد ان يتغلغل «ياسين الكلب» في هذه التجارة ويدس انفه

في منافستنا أيضًا ثم وبمساعدة أقربائه سوف يسيطر على كل شئ .. إنه أخطبوط يا صغيرتي.

- سنلاقي اسوأ نهاية على الإطلاق لو لم نتحرّك .. حسبُنا ما لقيناه سابقًا من بيت «الجرخجي» من منافسات قاتلة وقوية بل وخسرنا كثيرًا من الرجال والأموال لكي نزيحهم من عالم التجارة فنحن نواجه اصعب المراحل الآن قسوة والتي لا تليق بأسرة -بيت القاضي- .. علينا أن نحفظ مصالحنا من اطماع هؤلاء وإلا فسنخسر كل شئ .. أنا أثق في قراراتك وأنا معك بكلّ شئ تخطط له .. املًا في إيجاد مخرج كامل من هذه الأزمة.

أطرق والدها خافض الرأس .. لا يريد ان يتلهوج بقرار ومن ثم يندم عليه وقد رنق الكرى جفنيه :

- نريد ان نقرر في مصيره أزاحته واجب .. ولكن إن حاولنا بشكل سلمي وهذا مستحيل بالطبع لذا يجب عليه أن يدرك بأن عليه تغيير مساره في علاقاته مع التُجار وأصحاب النفوذ في الخارج والداخل وإلا نهايته ستكون وشيكة .. فقبضة الحديد القاسية تضرّ ول اتنفع في مثل هذه المواقف التصفيات الجسدية هي من أشدّ نقاط الضعف الذي يقدّمها زوجك لزوجك سيلاقي مصيرًا قاسيًا لو استمر على هذا المنوال.

طاف بها الفكر مرة ثانية .. حتى كادت ان تنسى ماحولها ارتشفت فنجان قهوتها لكي يعود لها قليلًا من صفاء ذهنها فالتفكير الكثير كالموت الأسود يزحف على الجسد ويشمله في ثوانٍ .. فانقلبت إلى حيرة خرساء وبدا في وجهها القلق .. وكأنها تترَدَّى في هاوية لا قرار لها.

كان والدها يراقبها .. حزين عليها بل كان ينظر إلى وجهها ويعتبر ابنته أنفس عنده من الدنيا وأنعمها .. هو لديه حل واحد ورغبة الإفصاح عنه مستحيل .. والقلق يعتلج في نفسه وهو يراها ساهمة الطرف ثم قال مبتسما :

- أعدكِ بأن أحلّ الموضوع بنفسي .. ثقي بي حبيبتي .. لن أتركك في هذه المحنة .. ولن اسمح أبدا بأن يذبل هذا الوجه المشرق .. ثقي بي .. تمتعتي بالسعادة زمنًا رغدًا فلا تفوّتي على نفسك فرصة أن تعيشي شبابك وتستمعي به .. هذا الغر الجاهل هو أعمى القلب فهل تعتقدين أنه سيجني من بعدك إلا حسرة مضاعفة وهمًا مقيمًا.

ثم واصل وكأن الأمل نزل عليه كالوحي فجأة :

- ابنتي الوحيدة .. مهمتي الحفاظ عليك مهما كلّفني الثمن نحن على مشارف صراع كبير سيجتاحنا قريبا .. إن لن يتوقف زوجك عن غطرسته فسوف ننال الويل من قِبَلِ بقية العائلات التي تريد نهايتنا .. أعدائنا يتزايدون ويتكالبون علينا ويومًا ما سيغتالونه .. صدقيني لن يتوانى أحد عن فعل ذلك فقط ثقي بي ودعيني أتصرف كما ينبغي لأوقف حمامات الدم التي حلّت علينا من جرّاء أفعال زوجك .. البلد كما ترين أسيرٌ وضعيف وينحني بإجلال للأقوياء .. لا يهم سواء كان حاكمًا أو سياسيًا أو تاجرًا .. ينحنون أمام كل شخص سواءً كان ابن البلد او الغريب الغازي .. المهم مَن لديه سلطة المال والشدّة والقوة هو من سيحكمنا حتى ولو كان أجنبيًا إننا في عصر الخوازيق التي تطيح بنا .. الغدر يلعب دوره ونحن لا نحرك ساكنًا دعيني أتصرف كما ينبغي وانتبهي أنت للصغير .. الابن الذي حُرمتِ منه .. اعتني به جيدًا لعلّه

يكون خيرًا وعَوْنًا لنا .. فهو هدية الله إليكِ.

الفصل الخامس

«ياسين»

كانت النار مُستعّرة في رأسه وجوفه من شرب الخمرة .. فهشّ لفكرة غسل رأسه بالماء البارد من الحنفية .. دسَّ رأسه تحت حنفية الماء فانبسطت أساريره .. ثم دخل العمارة وسحب فراشه من تحت السُلّم الرطب والمُظلم وفرشهُ بهدوء ليأخذ نصيبه من النوم في هذه الليلة .. قبل أن يتهالك على الفراش .. ويرمي بثقل الجسد المرهق عليه فأخذ يتخلص من حذائه وجواربه ثم تدّثر ببطانيته التي لا يملك أغلى منها بل وحتى يعتبرها أدفأ من حضن النساء مهما بلغن من الحنان من درجات .. ثنى ساعديه شابكًا راحتيه تحت رأسه بهدوء وأخذ يستجيب لنداء التفكير في آخر الليل كما هو شائع .. دفئ الفراش أعظم من دفئ وحنان النساء الفرق بين الفراش والنساء هو : أن المرأة تطلب المقابل وشعارها المال فوق كل شئ ولكن الفراش يأوي الغني والفقير تحت دثاره وبدون أن يتقزز من أي شئ .. وبدون أي مقابل كان كالشبح غير مرئي في جوف الظلام تميّز وجوده من خلال إصداره اصواتًا خافتة كما تصدرها الفأرة المختبئة بين أكوام القمامة وهي تقرض الأشياء كان يتهيأ لينام قليلًا .. ثم يستعد لاستقبال صباح آخر لا يحمل سوى الشؤم .. ولا يعلم ما تخبؤه له الأيام من مفاجآت.

أكله القلق فبدأ يشتم ويلعن بعباد الله دون سبب .. بصوت مبحوح .. وهو يتقلب ناخرًا في الفراش .. فتمر الوجوه الغابرة على مخيلته وقت الرقود فيبدأ بإطلاق السباب مع نفسه دون ان يميز بين الطيب والخبيث .. فقد حقد من ضنك العيش على الجميع .

«ياسين» ذلك الشاب الأسمر القصير .. لم يبق من بدنه غير العظام التي برزت في وجهه وباقي أجزاء جسده .. ولو تعَرَّى بشكل كامل .. فإن العيان لا يرى فيه سوى هيكل عظمي معقد التركيب .. جسد وكأنه مُحَنَّطٌ من قبل آلاف السنين .. بل ليس هناك ما يدل بأنه جسد إنسان عادي ..كان نحيلًا كالمومياء شاحب اللون .. وهيئته بعد الجراحة المعقدة في الفَكَّيْنِ الأعلى والأسفل والذقن والجبهة أفقدت كل شئ جميل في داخله .. لم يكن قبل ذلك القبح طابعه .. ولكنه فقد مذاق الحياة بأكمله كان ثمة تجويف صغير في جانب الجبهة بالإضافة إلى الاعوجاج في الفَكَّين أضفَى عليه حقدًا من غير معدنه وانحدارًا تامًا في الذقن إلى الخلف .. حتى امتلأت عيناه بالضباب.

كان مشوّه الفكّين ولا سيَّما فكّه الأعلى التي انكسرت الأسنان فيه إلى حد فظيع كأنه تلقى ضربة ملاكم أو أحدهم ضربه بعصا غليظة فكسر كل شئ في ملامحه .. ولكن في الواقع أن الضربة كانت نتيجة سقوط حُر من أعلى الأبنية قبل خمس سنوات ولكن بالطبع كان السقوط خارج عن إرادته.

إنه أحد الشخصيات المنسية .. نساه الزمن بلا رحمة .. طوى عليه النسيان واصبح من ضمن ملفات الارشيف التي تُنسى بعد زمن طويل .. كالصفحة الصفراء القديمة المهترئة بين طياتها الارشيف الذي لايُفتح ولا يُقرا في هذا الزمان .. الا نادرا.

فلم يكن همه سوى أن يقتات عيشه من أصحاب المطاعم في منطقة الباب الشرقي .. يتصدّقون عليه ثم بعد أن يشبع ! يبدأ بالسباب وقذف الشتائم فتكون النتيجة طبعا أن يُطرد من المطعم ويُهان كالعادة .. فيعود إليهم في اليوم الثاني فتُعاد حادثة كل يوم بزيادة ولا نقصان.

كان ناقم على الأغنياء والقسمة التي يعتبرها غير عادلة «كما يصفها» التي قسمها الله له .. وطبعا «حاشا لرب الكون من ان يكون كذلك فهو ملك الملوك ورب السموات والأرض» ومقسّم الأرزاق بالعدل.

«ياسين» لا يستكين له لسان .. وذو الصوت المبحوح الذي يُعقّب على الحوادث اليومية بلا ملل أو ضجر .. والشاب المكسور الذي يتصيّد بخته من المارّة وبالرغم من أن دنيا الأصدقاء على رحابتها تقتضي بأن يكون لكل شخص صديق .. إلا أن ياسين لم يكن له أحدًا ليُحبّه .. حتى إخوته طردوه من المنزل لأنه شوهد ذات يوم وهو يراقب من شباك الغرفة يتجسس على جارتهم .. عينيها الواسعتين .. زرقاوان مموجة الشعر .. تفيض بشرًا تلألأ حول جيدها قلادة ذهبية .. تتوسط بين ثديين نافرين كانت تستحم وقد تركت شباك الحمام الصغير مفتوحا لغرض التهوية ولم يكن في حسبانها أن جارًا كـ «ياسين» سوف يكتشف منحنيات جسدها وكينونتها من خلال خطأ لم تتقصده هي انحلّ شعرها الاشقر وتدّل الى ركبتيها وستر مابان من سوأتها كانت شرايين رقبة «ياسين» تبرز وتنتفخ ويشعر بالدم يتصاعد حارًا ملتهبًا إلى رأسه .. صدغاه يختلجان في عنف .. وفجأة خانته نفسه وبدأ صوته يعلو بدون أن يدرك من فعل النشوة الفاجرة.

رأته عندما كان يستمني على وضعها المغري ففضحه صوته والذي بدأ يتصاعد من أثر النشوة التي كشفت وفضحت أمره في الحال .. ولم يشفع له أهله أيضًا مما اقترفه من ذنب وكأنهم كانوا ينتظرون أن يزّل بفعلة .. ليطردوه إلى غير رجعة كما طرد الله إبليس من الجنّة.

لم يكن بعد يُعاني من لين في يده بسبب تشوّه العظام في أطراف اليد نتيجة الكسر والسقوط الذي تعرض له قبل سنين .. فقد كان شابًا يتمتع بصحة جيدة .. قبل أن يتعرض لحادثة مريعة أطفأت فيه كل أمل له في العيش.

فقبل خمس سنوات مرّت عربة يجرها حصان من إحدى الأزِقَّة في منطقة الفضل ببغداد .. فانسلتت من تحت عجلة العربة حجارة اندفعت مقذوفة باتجاه احدى زجاجات السيارة الواقفه فكسرت زجاجة النافذة الجانبية .. مما أثار حفيظة صاحبها وأمر حُرَّاسه بالبحث عن الجاني .. فما كان من الأهالي إلا وأن يوجهوا أصابع الاتهام خوفا من غضب «البيك» إلى «ياسين».

دارت الهمهمات والأصوات مُعلنة عن غضب صارخ سينفجر بعد قليل .. فسيارة البيك انكسرت .. ولن يرحموا أو يتساهلوا مع ذلك المعتوه «ياسين» الناقم دائما على الأغنياء.

كان «ياسين» نائمًا تحت السُّلَّم كعادته قبل أن يتعرض لهجوم مباغت من قبل رجال البيك .. فهذا المكان سكنه منذ أن تم طرده من البيت وصار بيته منذ ذلك الحين ..

أيقظه أحدهم لكي يحذره من خطر الغضبة القادمة من قبل رجال البيك .. ولكنه لم يستطع النجاة على الرغم أنه حاول الهروب عبر سطوح المنازل ولأن التحذير جاء متأخرا .. حيث كان ثلاثة من رجال البيك يلاحقونه وقد أوشكوا على اللحاق به كانوا عمالقة وأقوياء وغاية في السرعة عند الركض .. وفي عجلة ولهوجة أفلت منهم مؤقتًا .. بعدما حوصر كالفأر في إحدى زوايا الأبنية ولكنهم تعقبوه حتى أمسكوا به.

في البداية كان «ياسين» يقفز من فوق حواجز السطوح المنخفضة

بمهارة .. قبل أن تخونه لياقته ويلهث من التعب .. فلبد يختبئ في إحدى الغرف المبنية في السطوح علّهُ ينجو منهم ولكنهم اصطادوه كما تصطاد القطة الفأرة بعد حصارها وبدون أدنى رحمة .. كان يرتعش خوفًا وهَلَعًا وظنّ أنه اليوم الأخير من حياته.

ضربوه ضربا مُبرحا حتى غطت الدماء وجهه .. كان يتنقل بينهم كالكرة من قدم إلى قدم .. يضربه الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم يرجع ليسقط بين يدي الرجل الأول .. حتى جاء وقت التخلص الحاسم منه برميه من أعلى السطح .. لينهوا حياته من شاب كامل إلى شخص لا يحمل في جسده سوى عظامًا مكسورة ولحمًا طريًا .. وروحًا لا حياة فيها .. والتي فَشِلَتْ يومًا في أن تحمل الخير لصاحبها.

أسعفه بعض الغرباء اللذين هم ليسوا من أهل المنطقة أصلا فأهل المنطقة خافوا من غضب البيك الذي هدّدهم بالتنكيل لو حرّكوا ساكنًا لإنقاذه .. كان غارقًا بدماءه يلهث .. ويستنجد نفحة من الهواء يختنق .. يرفس كالطير المذبوح من الألم .. ولكن بلا فائدة .. خانته الظروف .. بعدما خذله الأشخاص.

ولهذا قرّر بعد هذا اليوم ألَّا يرحم أحدًا لأنه لم يتلق الرحمة والإحسان من أحد .. بينما كان على وشك الاحتضار .. حتى الذين انقذوه في اللحظة الأخيرة اعتبرهم جزءًا من القتلة لأنهم انقذوه من الموت ليعيش حياة المُعاقين .. فياليتهم تركوه يموت.

ترّن الكلمة في أذنه كالصدى الذي يزيده عذابًا على عذاب :

- مُعاق .. مُعاق .. مُعاق.

الفصل السادس

«رحاب»

تلك المرأة منذ أن حلّت كساكنة جديدة في منطقة البتاوين وبالتحديد في إحدى أزِقَّتِها التي اختارتها هي لتكون لها كمسكن آمن بعيدا عن كل الشبهات فأشترى لها زوجها السرّي بيتًا واسعًا في إحدى العمارات لكي تكون مركز استراحته معها والتي يلوذ بها بعد يوم متعب .. فبدأت «رحاب» حياتها كعادة الذئبة الماكرة التي تشتهي فَريستها ثم تطبق عليه بفكّيها ومن ثم تهلكه كانت تشعل إحساس الرجال بوجهها المستدير الذي تتوسط صفحته العاجية بعينان سوداوان .. ومرونة خصر لا يرحم وسعة صدرها الواسع العالي وكأنه تلّ صلب يردع كل من يحاول صعوده .. فيفلت زمام الأمور ويسقط متفتتًا على مرتفعاته الشاهقة .. وبضرين وأرداف أنثى متمردّة يعجز المرء عن وصفها .. «رحاب» !

كانت حلم الرجال الذين كانوا يراقبونها لدواعي الأحلام وأنوثتها الطاغية ويستجيبون لكل شئ تأمرهم به من أفعال شاذّة تريحها طبعا هذا قبل زواجها السرّي من «جاهد بيك» .. فكانوا يستسلمون لها كما هو مفروض في قاموس الإغراء لمُخدّرٍ ألذ وأقوى من تخدير النوم.

فجاش صدر الرجال بحبها وعشقها ولكنها لم تختر بعد رجلًا يمنحها ما تريد من لذّة في الفراش خوفًا من ذيوع فضيحة ستكلفها ثمنًا باهظًا خاصةً بعدما تزوجت سرًا من فارس الأحلام الهَرِم .. كانت دائمًا تراقب المارّة من أعلى السطح وهي جالسة وقت الغروب تحتسي الشاي مع خادمتها السمراء .. حتى التقت

عيناها سهوةً بـ «ياسين» وهو جالس على الأرض يأكل بِنَهَمٍ وجبة الطعام تصدّق بها أحدهم عليه.

فمضت إلى طيّتها متفكرة هائجة ثم فجأة أَمَرَت خادمتها بأن تجلبه لها إلى بيتها وبسرعة.

استغربت الخادمة واستنكرت الفكرة بشدّة .. فأصَرَّت سيدتها بأن تحضر ذلك الصعلوك فإنها ستستلذ به أكثر من أي شخص آخر لأنه صعلوك وسيفعل ما ستأمره به .. فاشتعلت عيناها بنيرانٍ حمراء في نور الغروب كاللبؤة لا تلوي على شئ.

أخبرَتْها الخادمة بسوء العواقب لو علم «جاهد بيك» بذلك وسيقطع عنها المعونات بل حتى أنفاسها .. ضحكت «رحاب» باستهتار قائلة :

- طظ أنام مع من سيريحني أكثر .. واحذري من هذا الكلام مرة أخرى .. تذكري أين كنتِ حيث لا مكان ولا مأوى تلبدين إليه من شرّ الناس .. انتشلتكِ من الضياع الذي كاد أن يفتك بكِ.

استغربت الخادمة لردة الفعل .. فأكملت «رحاب» :

- حسنًا سوف أقول لكِ شيئًا رجالنا الشرقيون لا يفعلون ما نطلبه منهم .. لا يريحوننا أبدًا نحن بالنسبة لهم مجرد نزوة يهتمون بشهواتهم فحسب .. أما نحن النساء فلنا الله الرجال يتقززون من أفعال قد تريح النساء بل نعشقها بنهم قاطع .. وهذا الصعلوك الذي يأكل ككلب سائب في الشوارع هو من سيكون خير مُريح لي .. فقط يحتاج إلى حمام ساخن وملابس نظيفة .. أجلبهُ آخر الليل إلى فراشي .. وبعد إنهاء واجبه أركله بعيدًا .. انزلي ولاتصعدي إلا به.

قالتها بلهجة آمِرة وبغنج وبصرامة لا رجوع منه .. فبعلها يزورها آخِر النهار وفي نهاية الأسبوع بالتحديد .. مبسملًا محوقلًا أنيقًا يفوح منه عطر المسك .. قد يكون في زيارته خرطوش فاعل أو خائب ولكن على الأغلب خائب .. والفاعل يأتي صدفة ولربما لا ياتي ولا مرة في العام .. حتى جعلها تنفر منه بعد أن تتلظى هي في سعير الانتظار لكي يغدق عليها بمجهود قصير الأمد لا يكفي حتى ليثير شبقها.

فكم ودّ الرجال أن يرونها عارية عندما كانت في سن المراهقة وحتى بعد زواجها .. قبل أن تعمل سرًا في إحدى بيوت الدعارة ويرخص لحمها .. قبل أن ينقذها رجل ثري ويتزوجها .. تستلقي هي بأنوثة فاجرة على السرير بجسمها البضّ الذي لا يرحم تنتظره يأتي كل أسبوع مرّة ويقضي معها أمْتَعَ الأوقات ويمضي في اليوم التالي إلى زوجته الأولى متعللًا غيابه بالعمل والسفر وكأنها عشيقة لا زوجة .. اللعنة عليه.

كانت قبل زواجها المركز المنعش للخيانة الزوجية للرجال فكانت تتذكر أحيانًا كيف كانت تغوي الأزواج الذين يفضلونها على زوجاتهم بأنوثتها وبكيدها وشيطنتها .. وتزداد هي غرورًا وبهاءًا بسبب هذا التفضيل الكبير تتجلى في العين الساجية التي تلقي إليهم بنظرتها من على لمعة الوجد والحنان منظر يضيء العقل بقبس من الحقيقة المقدّسة ثم يفتك بالقلب فتكا بهذا تستباح لعنة العشق الأبدية روحها يتململ كطائر سجين يودّ أن ينطلق فعالمها ما زال ملتقى خرابات يستعذب عنه الرحيل عن الماضي .. فشفتاها إذا صح الوصف عندما تتلاقى في قبلة وردية فلن تعدم في دوامة الجنون لذّة الخيانة أو كما تسميها هي الحرّية المطلقة ..« كم اشتاقت روحها للخيانة» ...

فانحنت أخيرًا مبتسمةً بمكر على فراشها واحتضنت الوسادة بصدرها العاري دون أن تَنْبِسَ ببنت شفةٍ.

الفصل السابع

ارتسم على وجه «عمران بيك» صورة غير عادية حيث انغرست في أساريره غضبة كالحة فولاذية انداحت على وجهه الذي غطى عليه الفتور التام .. فأخبار «ياسين الجلبي» لم تكن تسرّه إطلاقًا والأخطر من ذلك انضمام «بيت الوردي وبيت الحبوبي وبيت النقيب» إلى بيت «الجلبي» .. واتفقوا معا على تغيير مسار خططهم الاقتصادية .. متناسين كل خلافاتهم التي فرقتهم وأضعفتهم أمام قوة وجبروت «بيت القاضي» .. إنه شيءٌ عظيم أن تُنبذ الخلافات وإقامة علاقات تُبنى على المصالح المشتركة ولكن ليس على حساب – الكنج- وسيبقى كنج حتى آخر يوم في حياته سواءً رضوا أم لا فكل شئ يُنْبِئ بالشر .. وعليه أيضًا أن يتحالف ولكن مع من ؟

*****

التغيرات المفاجئة التي طرأت على وضع العراق قد أثَّرت على الموازين كلها .. فبعد تأسيس الدولة العراقية <١٩٢١> وتعيين الملك «فيصل» ملكًا على العراق بعد استفتاء شعبي كانت نسبة ٩٦٪ من الأصوات تأييدًا للملك «فيصل»، وتحت هيمنة أغلب رجال السياسة على اقتصاد البلد .. كانت صدمة كبيرة لـ «عمران بيك» حينما بدأت تلك الشخصيات السياسية بعد إعلان الدولة العراقية بالتخلي عنه .. فكل شئ في العراق بدأ يتغير ويتطور ضد مصالحه التي طالما بات يستقتل من أجل حمايتها فتيار النخبة الوطنية الذي عمل على استقلال العراق عن السياسة البريطانية قد هيمنت على المصالح الاقتصادية، وبدأت بتقريب التجار منهم ومد يد العون للأغنياء لكي تسنح لهم فرصة استغلال الأوضاع الحالية لصالحهم.

وكان «عبدالرحمن النقيب» الذي أصبح أول رئيس وزراء العراق قد قرّب إليه وجهاء وكبار «بيت النقيب» لكي يعينوه في كل شئ ويكونوا قريبًا منه .. مما أتاح لهم فرصة الهيمنة التامّة على التجارة في العراق .. وسد أغلب الطرق على بقية كبار التجار للسيطرة على الوضع الاقتصادي وبشكل مفاجئ لم يتوقعه أي شخص.

كان جالسًا في مكتبه يلهث والغضب يرتعش في شفتيه ويدلهم في عينيه بينما يجلس أمامه في المكتب شخص في عقده الثالث بعينيه العسليتين كان وسيمًا ورغم ما بأنفه من فطس خفيف وما في شفتيه من دسامة وما في بنيانه من متانة حيث كان يلتهم كل شئ بحواسه إنه «قدري النقيب» .. القاتل المحترف الذي اغتال الجبابرة من رجال التجارة والسياسة من خلال طُرقه الإجرامية المحترفة فتخلص منهم لقاء أجور ضخمة ولهذا السبب اختاره سيده ليكون اليد اليمنى له بالرغم من عدم ثقته بأحد .. كان يستعين به دائما للتخلص من خصومه سواء من التجار أو من السياسيين الذين يهددون مصالحه بشكل عام.

فعندما تُغلق كل الحلول السلمية أمام «عمران بيك» بالرغم من أنه لم يكن يسعى قط في حياته إلى السِلمْ إلا نادرًا إلا أن بعد قيام الدولة العراقية وتعيين مَلِكٍ على العراق صار لِزامًا عليه الآن أن يتحرك بحكمة .. فزمن الرشاوي للعثمانيين قد ولّى إلى غير رجعة بالإضافة إلى أن الاحتلال البريطاني خلّف مَلِكًا شابًا يافعًا يريد أن يخدم العراق بكل إخلاص .. حيث كان يهتم ببناء البنية التحتية للبلد وتميّز بنزعته الوطنية وطموحه لبناء دولة تستضيف عاصمة الخلافة بعد سقوطها في تركيا تُنافس مع الأسرة العلوية في مصر والسعودية في الحجاز .. وأهداف الملك ليست نزوة .. بل إنه يريد فعلا جمع الولايات العربية المنحلة عن الدولة العثمانية التي

تشكلت منها حديثة وناقصة الاستقلال ولا سِيَّما بأن الملك فيصل الأول عُرف برجاجة عقله ودبلوماسيته وابتعاده من المواقف الحادّة في سياسته الداخلية والخارجية ولا سيَّما مع الانجليز.

قال «عمران بيك» بوجوم غير معهود :

- أشكرك يا قدري على وفاءك معي طوال الأعوام الماضية والتفاني في خدمتي .. من المؤلم أن «عبدالرحمن النقيب» قد قرّب إليه أغلب رجال من -بيت النقيب- .. وهذه خطوة يفعلها كل حاكم او مسؤول كبير في الدولة في كل مكان من عالمنا بالرغم من أن هناك عوائل قد برزت على الساحة مؤخرًا .. إلا أنه لا يعني أن نقف مكتوفي الأيدي ولا نُحرك ساكنًا تجاه ما يحصل من مؤامرات قد تغير موازين سير الأمور على مسار التجارة في البلد .

أومأ «قدري النقيب» برأسه كعلامة تدل على رضاه وتأييدا على مايقوله «عمران بيك» وانتظر أن يُكمل الأخير كلامه :

- ولهذا السبب علينا أن ننهي بعض الشخصيات التي برزت قبل أن تُضرب مصالحنا .. علينا أن نبقى نحن من نحكم ونسيطر على تجارة البلد .. نحن «بيت القاضي» أَوْلَى بل نستحق ان نستحوذ على المؤسسات المهمة التي تحكم هذا البلد الغني ولاء بيت القاضي يجب أن يكون لي .. ولكي اكون سيّدا عليهم عليّ بدوري أن اقضي على كل شخص يهدد مصالحنا .. فكما ترى الأوضاع السياسية في العراق تتغير سنة بعد سنة إلى الأسوأ و نحن نطفئ فتنة لتشتعل أخرى .. هذا البلد يا صديقي بلد مجنون لا تعرف ما يريده الشعب بالضبط.

- لقد اخبرت جنابك بخطورة الخطة منذ أن قام « الجلبي» بمنافستك في السوق من أول لحظة ولحد الآن ولكن على جنابك أن يعلم من هو العدّو الاول لـ «بيت القاضي» وهو من داخل عائلتكم وليس غريبا .. حضرتك غفلت عنه بينما كنت تقضي على خصومك .. ولكنه يتحرك ويخطط وسينجح لأنه يقدم تنازلات لا يقدمها خادم لسيده.

هنا جحظت عينا «عمران بيك» فقام من خلف مكتبه ثم دار نصف دورة ليأخذ مجلسه أمام «قدري النقيب» فقال هامسا :

- من ؟

- عجبًا .. فبالرغم من كل ما تملك من العصافير والعيون التي تتواجد في مناطق حدود تجارتك بل وحتى في الوزارات نفسها ولم تعلم بعد بأن «جاهد بيك» يسعى للإطاحة بك.

رفع حاجبه الأيسر ولم ينبس بشئ .. بل أعطى فرصة لـ «النقيب» بأن يتكلم :

- هو مَن كان يمد» الجلبي» يد العون حتى جعله قويًا قبل أن يشتكي منه .. هو مَن أَدْخَلَ عدوك في سوق تجارة السلاح حتى بات ينافسك والآن هو ممّول أيضًا من شخصيات كبيرة في الوزارة .. ولا يحسب حسابًا لأحد الآن .. هو مَن يجب أن يُقتل .. وبذلك ستنقذ كل شئ وتقتل القلق .. ولكن ....

ترامت إلى «عمران بيك» حركة من خلف الباب .. فقام بهدوء وهو يشير إلى «النقيب» بالاستمرار بالكلام ويحفزه على عدم السكوت .. وقام يمشي ببطء إلى ناحية باب المكتب .. مد يده إلى أكرة الباب ثم فتح الباب بغتة .. لاحت نظرة فضول من قدري وسكت فجأة عن الكلام .. حتى ساد صمت قصير..

- لا أحد .. أعتقد أحد الخدم كان يقوم بعمله قريبًا من الباب أكمل .. «قالها عمران بيك براحة».

أغلق الباب بهدوء ورجع ليتخذ مجلسه أمام النقيب الذي واصل حديثه :

- كان «جاهد بيك» يمد رجال «الجلبي» بالمعونات المادية لضرب تجارتك إنه يريد أن يقصم ظهرك .. وخطأك أنك تركته يعبث كما يريد بالمصالح التجارية في السوق.

- أعلم أنه خائن لولا أنه والد زوجتي لكان حسابه معي عسيرًا.

شعر بخيبة أمل شديدة عندما نطق جملته الاخيرة .. ثم قام بأتجاه النافذة ليستنشق الهواء الطلق .. فشد شروده الغريب بصر النقيب إليه الذي قلق بدوره من الوجوم المفاجئ الذي أصيب به «عمران بيك» .. إنه نحور الرُّحَى الذي يطحن مجموعة من البشر «العراب» فثمة شر سيسحق بالجميع .. هذا الرجل ليس بسهل ولكن عنيد جدًا ولربما سيكون نهايته في عناده وبلا شك .

تأرجح المكان بـ «عمران بيك» وأحَسَّ بأنه سيغوص باطن الارض ويقينا منه بأنه بدأ يخسر جبروته وقوته .. و قد طارا منه في الهواء على أجنحة الزبانية نظرته الغاضبة تزداد قتامة هاهو بدأ يقطب واجتاحت وجهه موجة سوداء .. الثروة والسلطة يجب ان يحافظ عليهما مهما يحدث من مجريات .. إنه مستعد أن يقتلع عيون خصومه بل وحتى عيون أطفالهم وزوجاتهم ليرغمهم على الخضوع .

إنه عاجز الآن ولكن ستنجلي كل هذه المخاوف لو أحسن التصرف .. سيستعيد قواه وينقض على أعدائه لو أنه تصرف بحكمة .. رآه «النقيب» كيف أنه يرجع برأسه إلى الوراء وكأنه

تلقى لكمة قاتلة وثقيلة من خصمه .. أسبل «عمران بيك» أصابعه فأرخى يديه .. ثم فجاة كوّر يده وقدحت عيناه شررًا .. ها هو يعود إلى وعيه كتنين عتيد .. ندت عنه آهة ذبيحة محشرجة ترنح كالثمل قليلًا وعاد جالسا خلف مكتبه بهدوء ولكن الإعياء كان واضحا عليه رغم تماسكه العجيب .. لم يعد يُركز في لغة جسده الذي بدأ يفقد تركيزه فقال :

- أريد «الجلبي» ميتًا.

لم يُفاجأ «النقيب» بالطلب .. كقاتل يوّكل إليه مهمة قتل شخصية كبيرة يعتبرها بحد ذاته شَرَفًا وانتقامًا في نفس الوقت محترف وقوي وذكي جدًا .. يقتل ولا يترك أثرًا بعد الجريمة ولو أراد الوصول إلى مخدع الملك لوصل عن طريق رجال حاشيته.

- ثم سيأتي دور «جاهد بيك» بعد ذلك ولا يهمني نسبة قرابته من سيّدي.

ابتسم «النقيب» ابتسامته الماكرة التي رُسمت على شفتيه قائلًا :

- ليكن ما تريد .. خبر مقتل «الجلبي» ستتلقاه قريبًا .. والآخر - سكت برهة ثم واصل- قريبًا هو «جاهد بيك» .. فقط لا تثقل رأسك بهموم .. يكفيك مشاغل التجارة سيدي.

كان الوقت قد أشار بأن المقابلة بينهما قد انتهت فقام «النقيب» منسحبًا قبل أن يمد يده لمصاحفة «عمران بيك» تاركًا إياه في دوامة القلق .. غادر القصر والانتصار يلوح من بين عينيه..

سار بسيارته حوالي ألف متر ثم انعطف فجأة في زقاق يكتظ بالناس وتوقف لمدة يسيرة لتصعد معه امرأه كانت منقبة .. سار بها النقيب الى مكان بعيد وعندما أَحَسَّت بالأمان رفعت نقابها قائلة :

- أرى في وجهك السرور.

ساد بينهما السكوت ثم قال :

- كل شئ يسير حسب ما خططنا له .. «اشرقت» .

الفصل الثامن

لقد أسكرته العاطفة .. فأزداد جنونه لم يكن يمر على باله أوحتى أن يحلم يومًا أنه سيتحول من -صعلوك- إلى فارس تُغْرَم به فاتنة .. وبقى في غيبوبته حتى مال رأسها نحوه وغاص فمها في فمه شفتيها الرابيتين أشعلته نارًا، ثم حولّت رأسها عنه وأمرته بأن يفعل ما ستأمره به .. بعد أن أحاط خاصرتها بيديه وانهال على جسدها تقبيلًا .. كانت تغمغم :

- إن لم ترضِني فسأقتلك.

ثنت ساقها اليمنى تحت فخذها اليسرى فصارا وجها لوجه على السرير الفاخر الواسع .. فأنبرى له صدرها العالي غير مصدق مال بوجهه تحت خصرها فتوسدها بحنان وذهول .. فأسكرته رائحة جسدها كالمسك .. جسم آدمي أشهى من العرف الذكي كانت يدها تعبث في شعر رأسه كانت هي المرشد الذي كان يبحث عنها في حياته المحطمة .. قضى حياته كلها من غير أن يلمس امرأة فكيف وهو الآن يتمرغ على يد أنثى.

أنثى من نوع خاص أذابت الدنيا بنشوة جنونية ليفتر ثغر الصعلوك عن ابتسامة ظفر ونشوة كانت تضرب مؤخرته بأنملتها وتحثه على أداء الواجب على أكمل وجه .. كانت كلما رضت عنه تعامله بالهوادة والرفق وإذا وصلت حد الشبق كانت تستلذ بصفعه وضربه وكان هو الآخَر يستلذ بضربها وغارقًا في نشوة النهش.

كانت لحمًا طريًا يتطير منها عرف طيب ساحر .. كان يلبث هنية مُتَمليًا مَسَّهُ اللذيذ وجوارحه تنتفض .. كان يعتلج في صدر الاثنين عاطفة شهوانية جهنمية.

أخـذَت الـروب مـن الخـوان الـذي بجانـب السريـر ولبسـته .. لاحـت منهـا نظـرة عـلى الجثـة الملقـاة عـلى الفـراش كالميـت .. كان ممـددا بجانبها ولم تكـترث بـادئ الأمـر .. حتـى نهضـت الفاتنـة قائمـة وهـي تتمطـى فأنفـرج الـروب عـن صدرهـا الريـان منفتـح يـكاد يتهتـك مـن ضغطـه الـروب الأسـود الشـفاف.

مشـطت شـعرها أمـام المـرآة وصففتهـا بسرعـة ثـم تنبهـت بـان الوقـت قـد اقـترب لمجـئ زوجهـا في زيارتـه الاسـبوعية .. فالتفتـت بسرعـة الى الصعلـوك الغـارق في النـوم فصاحـت بـه غاضبـة .. فانتفـض مـن مكانـه وهـي تصيـح بـه وتلعـن :

– قـم يـا صعلـوك الله يلعنـك سـيقتلنا رجـال زوجـي لـو وجـدك عـلى سريره الآن.

قفـز الصعلـوك فزعًـا وكأن صعقـة كهربائيـة صعقتـه .. وأخـذ يبحـث عـن ملابسـه المتناثـرة عـلى الارض يلملمهـا بخـوف فلبـس البنطـال ثـم القميـص قبـل أن يخـرج كالـبرق إلى الخـارج تصاحبـه لعنـات «رحـاب».

نـزل بخطـوات سريعـة كالغـزال عـبر السـلالم والرعـب ينهـش بصـدره ووصـل إلى الطابـق الأرضي .. ثـم لبـد تحـت السـلالم ومـدّ فراشـه وأنفاسـه المضطربـة تنـزل وتصعـد في صـدره.. وألقـى برأسـه عـلى الوسـادة ليرتـاح مـن التعـب.

*****

كان الوقـت بعـد منتصـف الليـل .. حيـث يسـيطر السـكون عـلى الحـي بأكلمـه .. سـوى القهـوة التـي كانـت تسـتضيف روادهـا مـن عشـاق السـهر والأرجيلـة .. كان شـاردًا في خيـالات ليلتـه الحمـراء كيـف تمـت وانقضـت بسرعـة كالحلـم لمـاذا يـا تُـرى الأوقـات العسـيرة دقائقهـا تكـون كسـنين عجـاف ؟ أمـا لحظـات الانتعـاش والفـرح لا يدومـان

طويـلًا ؟ ظـل شـاردًا حتـى ترامـى إلى أذنيـه صـوت محـرك السـيارة استقرت أمـام العـمارة و قطعـت عليـه سـكون خلوتـه، نـزل منهـا ثلاثـة رجـال أمـا السـائق فبقـى في الداخـل يسـتمتع بتدخـين سـيجارته الكـوبي الفاخـرة التـي يعشـقها كان جالسًـا في هـدوء وراحـة يراقـب الشـارع الخـالي الـذي طـواه الظـلام أمـا الثلاثـة فـكان أحدهـم «جاهـد بيـك» الـذي كان يـوصي الحارسـان بالرجـوع إليـه قبـل السـابعة صباحـا وشـدد عليهـما بـألّا يتأخـرا عليـه.

قـام ياسـين ببـطء وحـذر لكـي لا يثـير أي صـوت قـد يثـير غضـب الغربـاء .. فظـلام العـمارة النسـبي يسـاعده عـلى البقـاء مختبئـا بسـلام مـن دون أن يتعـرض لأي أذى .. كان طبيعيًـا حتـى شـدّه شـئ وكأنـه لُـدغ مـن ثعبـان .. ركـز جيـدًا غـير مصـدقٍ عينيـه مـن سـخرية القـدر يـكاد شـيئًا فشـيئًا .. رويـدًا .. رويـدًا يتذكـر هـذا الوجـه ! .. هـذا الوجـه أيـن رآه قبـل ذلـك ؟

وأخـيرا سـاعدته الذاكـرة اللعينـة بـأن يتعـرف عـلى «جاهـد بيـك» اللعـين القـوّاد .. إنـه مَـن أَمَـرَ الحارسـين بـل كانـوا ثلاثـة وقتهـا بـأن يقذفـوه مـن أعـلى البنايـة إلى الأسـفل .. بنايـة عاليـه كانـت كفيلـة بـأن تحطـم جسـده ووجهـه .. بـل طُحنـت كل عظامـه مـن أثـر السـقطة ألقـى نظـرة حزينـة عـلى يديـه .. فـلا شـئ سـليم فيهـما سـوى أصابـع معـدودة .. ولكـن أيـن الحـارس الثالـث هـل مـا زال في الخدمـة ؟ حتـى وإن وجـده فـلا حـول لـه ولا قـوة لينتقـم منـه أو منهـم.

لم يبـدر منـه أي ردّة فعـل سـوى أن تسـمّر بمكانـه تعلـو أنفاسـه مـن الخـوف وقـد امتقـع لونـه .. يتفصـد عرقًـا غزيـرًا .. والرعـب يأكلـه مـاذا لـو عـرف البيـك الكبـير مـا كان يـدور قبـل سـويعات مـن مجيئـه عـلى سريـره الخـاص .. كان فيـه عاجـزًا عـن الـكلام أو حتـى السـب وإن كان ذلـك أضعـف الإيـمان كـما يُقـال .. خذلتـه قـواه فأحتـواه العجـز

كما كل مرة عندما يُهان من قبل الناس فلا يجرؤ على الرد .. وإن رد فمن سيسمع صوته المبحوح الذي يتلاشى بين أصوات السيارات والمارة.

كان المشهد الوحيد الحاضر في رأس «ياسين» كيف ينتقم ؟ وهذه الفكرة معناها أن تجود بعنقك لحبل المشنقة.

الفصل التاسع

هـذه الأُسَرْ خلقهـا الله أعجوبـة للبـشر تقتـل بعضهـا البعـض ثـم يتجالسـون ويتسـامرون وعندمـا تشـتد بهـم الأمـور وتتقاطـع المصالـح يتقاتلـون كالـكلاب .. لم تمـر هـذه السـنة بـدون اغتيـالات .. فقـد تـم اغتيـال أحـد كبـار الشـخصيات مـن بيـت «النقيـب» عندمـا اقتحـم أشـخاصٌ مجهولـوا الهويـة مسـكنه وباغتـوه بالضربـات القاضيـة وقطعـوا عليـه كل سـبل المقاومـة والدفـاع عـن نفسـه .. جميعهـم كانـوا يلبسـون بـدل سـوداء وأربطـة عنـق سـوداء وقفـازات بيـض طولهـم كبنيـان مرصـوص بضخامتهـم وقوتهـم العجيبـة التـي يمتلكونهـا كانـت كافيـة لبـذر الرعـب في قلـب الضحيـة .. كانـت قيافتهـم رائعـة .. وحركاتهـم سريعـة عنـد الاقتحـام والـضرب .. تـدّل عـلى أنهـم قـد دُرّبـوا بشـكل جيـد .. وكانـت شـجاعتهم الغـير عاديـة في الاقتحامـات لا غبـار عليـه إطلاقـا .. كانـوا حتـى أشـد وحشـية مـن غيرهـم مـن المافيات في القسـوة والتنكيـل بالهـدف ..

كان «الجلبـي» الرجـل الأكثـر شـخصية رهبـة بعـد «عمـران بيـك» بـرز في مـدة وجيـزة واسـتطاع أن يصنـع شـبكة مـن العلاقـات الدوليـة تؤهلـه أن يكـون مـن أحـد كبـار رجـال المافيـا في العـالم العـربي ..

كان في السـتين مـن عمـره ربعـة بدينًـا وإن بـدا في بذلتـه الرماديـة والقميـص الأبيـض أبيـض البـشرة محمر الوجـه والعنـق منتفـخ الأوداج محتقـن الوجـه بالـدم أمـا قسـمات وجهـه فكبـيرة واضحـة في غـير تنافـر أصلـع الـرأس عينـاه سـوداوان .. وقـد جحظـت مقلتـاه وتشـابكت بهـما خطـوط حُمـر دقيقـة كالشـعيرات ونظراتـه الزائغـة والشـاردة خاملـة بـددت مـا كانـت ضخامتـه خليقـة بـأن تبعـث في النفـس مـن رهبـة.

كان جالسًا خلف طاولة الاجتماع المستطيلة في ركن أنيق وخاص في مكتبه مع أربعة من كبار رؤوس التجار في بغداد.

كانوا يخططون وقتها في كيفية ضرب مصالح «بيت القاضي» وإنهاءهم بشكل تام وإطاحتهم من قائمة الأثرياء .. والقضاء الفعلي على «عمران بيك»، أما بخصوص «جاهد بيك» فسيكسبونه كحليف وإن كان ضعيفًا .. فالرجل لا يهمه سوى مصالحه الشخصية ولا يمانع بأن يكون تابعًا لجهة معينة، المهم أن تكون تجارته وأمواله بخير.. وهذا شئ جيد بحد ذاته شخص يؤدي الغرض فكلمته بالرغم من شخصيته مسموعة ولها اعتبار بين الكبار.. بسبب سياسته المرنة مع الجميع.

فمن خلاله سيتم تصفية بقية الشخصيات من «بيت القاضي» واحتواء كل صغيرة وكبيرة وبذلك لن يهدد مصالح «الجلبي» أحد

استمر الاجتماع خمس ساعات كاملة و متواصلة .. درسوا كل الخطط والاحتمالات التي ستنفذ قريبا وفق جدول سيحددونه بعد يومين بالتحديد .. وقد تم إعداد لائحة بتصفية عدد من الشخصيات التجارية وسياسية من «بيت القاضي» وعلى رأس القائمة كان اسم «عمران القاضي» .

وبينما كان الاجتماع قائما على قدم وساق .. كان في الخارج رجل ينتظر دورهُ في مقابلة مهمة ومصيرية .. يلبس بذلة سوداء أنيقة باسم الوجه .. ينتظر أن يدخل وينهي كل شئ في لحظات .. حيثُ لن تقوم بعدها قائمة لـ «الجلبي» .. هذا الرجل المتنكر هو «قدري النقيب» .. تنكر في شخصية مزيفة واسم مستعار لأحد كبار رجال الأعمال العرب.

الفصل العاشر

نزلت من سيارتها بفستانها الرصاصي المنمنم .. بطولها الفارع الرشيق ومشيتها اللطيفة المهذبة وباحتشامها المعهود ووقارها المحبوب وبصوتها الفاتن الرّنان سألَت عن اسم شخص معين فدّلها البواب وأخبرها بأدب بأنّ الشخص المطلوب موجود في مكتبه الآن .. في الطابق الثاني للبناية .. خَفّتْ عنه ودخلت بسرعة كأنها يخت ملكي ناشر شراعه يمخر عباب البحر بأقصى سرعته.

كان «محمود الصغير» نائم في حضنها غارقٌ في دفء وحنان مَن تبَنَّته وجعلته أغلى من كل شئ على الإطلاق .. كانت تُفَضِّل في أكثر الأوقات أن يكون معها وفي حضنها .. ولا تُفَضِّل أن يكون برعاية مربيته إلا في أوقات معينة تفرضها الظروف .. عليها أن تبقيه معها لأنه أكثر أمانًا وأكثر راحة لنفسها .. فهي تحس بأن علاقتها به تزداد قوة عندما تغدقه من حنان الأم الذي حُرم منه .. وكانت هي كأنها تروم بعثًا جديدًا حقًا .. هي أمه ولا أحد يستطيع أن يمسه بسوء .

وصلت الطابق الثاني وقد بأن التعب عليها ولكنها تحاملت على نفسها واستطاعت بعزمها القوي أن تتجاهل التعب .. حتى وصلت إلى مكتب المحامي «توفيق الدوري» .. وهو شاب مزهو بشبابه وثرائه ذات وسامة لا بأس به بالرغم من ميله للقصر وكان مهذبًا رقيق الحاشية ذو شارب مربع جميل .. ولم يخل من ميل للفخر والمباهاة على تجاوزه الثلاثين.

لم يكن ذلك لقاء عمل أكثر مما تحتويه من أسرار تمس بحياة الصغير الذي تبنته .. بل لم يكن حديثًا عاديًا .. فالموضوع مهم

ولا يحتمل التأجيل بنظرها .. فلولا الضرورة القصوى لما عانت وحضرت بمفردها -حتى ومن دون حماية- إلى مكتب المحامي الشاب لتتطلعه على أمر هام.

جَلَسَت بهدوء وكانت حذرة من ألَّا يستيقظ الطفل فكانت تخفض من صوتها وتقلل من حركاتها من أجل ألَّا تُقْلِقَ راحته قالت :

- أنت تعرف مدى ثقتي بك كبيرة.

- وهذا شرف كبير لي سيدتي.

- وتعلم أيضًا أنني لا أضمن لحياتي البقاء طويلًا في ظل هذه الصراعات التي امتدت نيرانها لتنذرنا بالخطر القادم فزوجي أحرق كل شئ بطغيانه .. ومن المؤكد أنه سيحاول التخلص مني في أي وقت وبأي زمان .. أنا لم أعد أثق بأحد غير الله .

أومأ برأسه موافقًا بالرغم من أن علامات القلق كانت مرسومة على ملامحه .. وأمارات الأسف قد لاحت عليه .. ولكنه لم ينبس بكلمة كانت عيناه تتابعان السيدة وهي تتكلم بهدوء ووقار بالِغَيْن وكانت عيناه تنتقل بين حين وآخر بينها وبين الملف الذي تمسكه بين يديها حتى استقرت عيناه أخيرًا على -محمود بيك- الصغير الذي بدأ يفيق ببطء وأخذت هي تهدهده على الفور كي لا يبكي سلمته الملف قائلة وقد شمل المكان الهدوء :

- الخطر سيحيق بنا قريبًا -بيت القاضي- سينتهي سلطتهم ولربما إلى الأبد بسبب حماقات زوجي .. إن لن نؤمّنَ لهذا الصغير مستقبله ففي هذا الملف جرد كامل بكل أملاكي التي ورثتها عن جدي .. أريد منك أن تنقل كل ما أملك إلى

-محمود الصغير- وأريد أن يتم ذلك بسرية تامّة، وإن وقع بي أمر الله وهذا حق طبعًا ولا اعتراض عليه فأنا أطلب منك ألّا تتنازل عن الدفاع عن حقوق ولدي عندما يحاولون سلبه منه .. وأنا أثق بك كرجل وإنسان رفض أن يكون عبدًا لأي أحد يومًا من الأيام.

تنفس بكبرياء وأحسّ بشعور رائع على هذه الثقة العظيمة التي منحَتْها له .. ولثقتها أيضًا بأنه قادرٌ على كبح الصعاب إذا ما واجهت يومًا أية صعوبة تتعلق بالورث وابنها بالتَّبَنِّي .. ولكن ملامحه لم تكن تخلو من القلق أيضًا من المجهول لاذ بالصمت وعيناه تلمعان في سحر وقلق..

ناولته الملف وبدأ يتصفح الأوراق على الفور .. قالت له :

- أريد أن تحتفظ بنسخة من هذا الملف معك أيضًا.

فأردف قائلا :

- بكل تأكيد سيدتي .. وتأكدي بأنني لن أتهاون في الدفاع عن حقوقكم .. لقد وكلتيني أمانة كبيرة في ظل هذه الصراعات الصعبة .. وأعدكِ بأنني لن أترك أحدًا يستولي على حقّ أحدٍ منكما .. أرجو أن تتأكدي من ذلك.

كانت مطمئنة من أمانته وإخلاصه ولم تخفي راحتها من الحديث معه وكأنه قد صبّ على قلبها الذي يحترق ماءًا باردًا بوعده الذي قطعه لها الآن الخوف اللاإرادي كان يشعلها قلقًا على صغيرها .. كانت على يقين بأنها يجب أن تؤمّن مستقبله وإلا فان كل شئ سيضيع إن لم تحتط من كل العواقب ولهذا آثرتْ أن تهب صغيرها كل شئ قبل فوات الأوان .. وأن المحامي الشاب لن يتوانى عن مساعدتها عن طريق الأخذ على عاتقه مسؤولية حماية حقوقها

وأملاكها من الضياع .. فلربما سيكون «العرّاب القادم» الرجل الذي تنتهي على يديه كل مآسي العائلة .. ويحقن بحر الدماء الذي ينزف سنين طوال.

لن تتوانى عن تربيته حتى يشتد عوده .. تحاول أن تحافظ على مصالحه بالرغم من هذه الظروف الخطيرة التي تحيط بهما وهبته كل ماتملك .. مُلكا يحلم به كل شخص يكفي بأن يضمن مستقبله إلى الأبد ولكن عليها مهمة الحفاظ على ما تسعى إليه من الهدف المهم .. يجب قبل كل شيء ألَّا يعلم زوجها بهذا الأمر وإلا فسيضيع كل شئ أدراج الرياح.

الفصل الحادي عشر

انتهى الاجتماع وانصرف الرجال متوجسين قلقين من القرارات التي تم إصدارها قبل قليل من قبل سيّدهم .. الذي استطاع أن يفرض رأيه على الأغلبية من الحاضرين في الاجتماع من كِبار أعوانه .. فقدّم ضمانات ليُطمأنهم من أن كل شئ تحت السيطرة وطلب منهم ألّا يقلقوا من «عمران بيك» ما دام كل شئ يسير وفق مايراه صحيحا .. و بأنّ كلّ شئ سيكون على ما يرام عن قريب .. وهذا وعد منه لهم، لأنه يتمتع بحماية قوية من قبل رجال الدولة وهذا ما لا يتمتع به خصومه الآخرون.

دخلت السكرتيرة على «الجلبي» الذي كان جالسًا منكبًا على الملفات يراجع الأوراق المهمة .. فطلبت منه الأذن في إدخال الضيف الجالس في الخارج أشار لها بنعم .. رجعت السكرتيرة إلى الرجل الجالس فأشارت له بالدخول .. ابتسم في تسليم وارتياح فهدفه أسهل مما كان يتوقعه دخول سهل .. بداية موفقة لا حاجة لاستخدام السلاح إذًا .. وأنه أصبح الآن على يقين تام بأنّ أمهر المؤامرات تُدّبر في رابعة النهار، وأن حادثة قتل «الجلبي» ستنداح في خضّم الحادثات.

دخل بهدوء وثقة .. جال ببصره بسرعة أرجاء المكان .. وكان «الجلبي» جالسًا بمفرده خلف مكتبه يوقع تارة بعض الأوراق ويراجع تارةً بعضها تجاهل ضيفه بادئ الأمر، العلو والكبرياء كانا يلوحان في ملامحه قبل أن تكون هناك عاصفة عاتية تنذر باجتياح المكان، تقدّم نحو الرجل الجالس خلف مكتبه الفخم ووقف أمامه عاقدًا ذراعيه بثبات أمام ذهول «الجلبي» على هذا التصرّف الغريب الذي أَزعَجَه وبشدّة .. قبل أن يخرج الزائر بكل

بـرود أعصـاب سـلكًا رفيعًـا يخـترق لحـم الجلـد بسـهولة كالسـكين الحـاد لـو لفّـه حـول عنقـه .. ممـا جعـل «الجلبـي» يتمتـم بكلـمات غاضبة تولّـدت مـن الخـوف .. فأختنقـت الكلـمات في حنجرتـه مـن أثـر الهلـع.

كان الرعـب قـد طغـى عـلى «الجلبـي» وقـد أحَـسَّ بالعجـز مـن طلـب النجـدة لسـبب نفـسي خـرس .. يعلـم أنـه لـن يسـتطيع أن يطلـب النجـدة .. لكمـة مـن القاتـل سـتطيحه أرضًـا .. مـاذا لـو عـرض عليـه المـال لقـاء أن يتركـه يعيـش ؟

القاتـل لم يمنحـه هـذه الفرصـة وفضّـل إنهـاء الأمـر بسرعـة دون هـدر للوقـت .. ابتسـم ثـم سـأله :

- مارايـك بميتـة الخنـق ؟ كُنـتَ تقتـل ضحايـاك بالرصـاص ويكونـون بعـد ذلـك في ذمـة الله عـلى الفـور .. تضـع فوهـة المسـدس عـلى جبـين الضحيـة وتطلـق النـار عليـه .. ولكنـك ستذوق على يدي الخنق .. الخنق يا حضرة البيك «الجلبي».

كان يتفـوه بالكلـمات بجنـون ويضحـك بهسـتيرية جنونيـة ممـا جعـل «الجلبـي» يرتعـش خوفًـا ويجـد نفسـه عاجـزًا عـن طلـب المسـاعدة أو حتـى أن يفكـر في إخـراج مسدسـه ويقـاوم هـذا المجنـون.

دار نصـف دورة حـول المكتـب حتـى أصبـح يقـف بجانـب «الجلبـي» أربـد وجـه الضحيـة بألـوان قاتمـة، يـود هـذه المـرّة أن يسـتنجد برجالـه ولكـن فـات الأوان .. يريـد أن يكبـح انفعالاتـه ليمـرق مـن هـذه المصيبـة بـاردًا صلبًـا وعنيـدًا ولكـن كانـت مجـرد خيـالات لم تتحقـق بسـبب جدّيـة الموقـف .. ففـي هـذه المواقـف الترجـي بالقاتـل مضيعـة للوقـت .. وخاصـةً إن كان قـد جـاء عازمًـا عـلى إنهـاء مهمتـه بإخـلاص .. أدرك هـذه الحقيقـة بعـد فـوات الأوان.

ومـا إن ازدادت نظرتـه قتامـة حتـى التَـفَّ السـلك ومـن دون سـابق

إنـذار حـول رقبتـه فشـد القاتـل مـن السـلك حـول عنـق ضحيتـه بقـوة حتـى بـدأ السـلك يـذوب بـين جلـده كـما السـكين في شريحـة الجبنـة بـدأت الدمـاء تنسـل مـن رقبتـه نتيجـة تخلـل السـلك طبقـات اللحـم حـاول أن يقـاوم ولكـن عبثًـا .. اليـد التـي تحـاول خنقـه أقـوى منـه فالخنـق يتـم بطريقـة احترافيـة لاينسـل منـه الضحيـة حيّـا .. فاجتـاح وجهـه موجـة سـوداء .. فلـم تـدم العمليـة سـوى بضـع دقائـق حتـى سـقط رأسـه عـلى صـدره متدليًـا مخنوقًـا بعـد أن أرخـى القاتـل عنـه السـلك.

هـذا الرجـل الـذي سـيطر كالأخطبـوط عـلى التجـارة والاقتصـاد سـنينًا طـوال الآن قـد انتهـى وقتـه .. وانتهـت معـه خطورتـه بخنقـةٍ بسـلك لا يسـاوي قرشـا.

حتـى القاتـل لم يتصـور أنـه سـينهي مهمـة قتـل رجـل مهـم بهـذه السـهولة دون أن يتعـرض لمقاومـة منـه أو حتـى مـن قبـل حراسـه سـحب الجثـة نحـو الخزانـة .. ودّسـها في داخلهـا بمهـارة المتمـرس الحرّيـف .. تأكـد مـن أن كل شـئ عـلى مايـرام .. سـتكون الجثـة بمثابـة مفاجـأة قاتلـة لحلفائـه .. خاصـة رجالـه عندمـا يفتحـون بـاب الخزانـة ويجـدوا رئيسـهم قـد قُتـل بأسـلوب سـهل .. وفي مكتبـه ووسـط ملكوتـه وامبراطوريتـه تـم اغتيالـه .. نكهـة خاصـة في عمليـة قتـل الشـخصيات بطـرق سـهلة بـدلًا مـن البـارود .. الأمـر كان أسـهل حتـى مـن قتـل الذبابـة .. هـذا الرجـل الـذي أرعـب الرجـال يمـوت بهـذه الطريقـة !

أَغْلَـقَ بـاب الخزانـة بإحـكام .. ونـزع القفازيـن مـن يديـه ثـم خـرج مـن المكتـب بحبـور بعـد أن أخـذ بعـض الأوراق المهمـة الـذي كُلّـف بمهمـة سرقتهـا .. رأتـه السـكرتيرة وهـو يخـرج وقـد تحـول شـكله المُريـب جـدا الى مسـخ مرعـب .. فقامـت منفعلـة مـن خلـف مكتبهـا وقـد اعتراهـا موجـة ذهـول وشـك عـلى طريقـة التـصرف الغريبـة الـذي

بدر منه فمظهر الرجل لا يدل على خير أبدًا قال لها بصوت جَذلان :

- «الجلبي» يطلبك.

أطلق ضحكة حقيرة وعالية أفزعَت السكرتيرة بينما أثارت ضغينة رجلين آخرَيْن كانا جالسين في غرفة السكرتيرة كانا ينتظران دروهما في الدخول .. دفعها تصرفات الرجل المريبة على أن تهرع إلى مكتب مديرها راكضة قلقة غير مطمئنة من الوضع تأمل أن لا يصل الأمر إلى عواقب لا تُحمد عقباها .. ولكن الغريب خرج وذاب بين زحمة الموظفين .. بينما دخلت هي تفتش عن مديرها فلم تجده .. لاحت منها نظرة على شريط الدم الذي ينتهي عند باب الدولاب فازداد قلقها وارتعبت .. وتهالكت كليّاً .. ثم هرعت نحو الخزانة لتفتحه .. فاذا بكتلة بشرية تندلق من داخله .. انكفأ على وجهه فوق الأرض .. صرخت بشدّة وعلى إثرها بفترة يسيرة دخل الرجلان ثم تبعهما حارسين وصدمهم منظر رئيسهم وهو جثة هامدة على الأرض، أما السكرتيرة فاعتلاها الجنون وترنحت من فورها ثم انطرحت أرضًا بجانب القتيل وقد أصبحت جثةً ترقد بجانب مديرها.

الفصل الثاني عشر

«دانيال دنغور»

بعد مرور فترة طويلة من الزمن على مقتل «الجلبي» الخصم اللدود لـ «عمران بيك « استطاع الأخير أن يعود مرة ثانية قويًا إلى عالم التجارة .. بعد أن قضى هذه المرة على عدد كبير من خصومه ودحر من دحر من الكِبار لكي لا يُعيد زمن «الجلبي» فيُقضَى عليه .. وأجبر الباقين من الخصوم إما على الفرار إلى خارج العراق مُجرّدين من كل شئ .. أو إرضاخ القسم الآخر من التُجار تحت سيطرته بعد أن استولى على نسبة هائلة من الأرباح والأملاك من خلال عقود العمل التي أضرمها معهم بعد إضعافهم وكسر شوكتهم .. وكان من يعاونه على ذلك هو «دانيال دنغور» .. الذي ساعده في الاستيلاء على ممتلكات كبيرة وبشكل قانوني لتُجار تم التخلص منهم بطرق عديدة.

اليهودي العراقي .. الذي يمتلك أكبر شركات استيراد وتصدير في لندن وبغداد وله مؤسسات ضخمة في دول عربية وأروبية لا حصر لها .. مدّ في اللحظة الأخيرة يد المساعدة لـ «عمران بيك» فأنقذه من المشاكل التي كان يعاني منها في الفترات الأخيرة استطاع أن يكسب ثقة الأخير إلى حدّ كبير .. فتعاونا على إقامة شركة تجارية ضخمة غيّرت من حياة «عمران بيك» كثيرا وكانت بداية النهاية.

«دانيال» رجل قصير بدين مصبوب في كتلة قوية كأنه برميل قوي الشخصية ومرح في نفس الوقت غليظ الرأس والوجه والعنق يمشي كمصارع مُحترف له نفوذ قوي سواء داخل العراق أو خارجه .. كأخطبوط انتشرت تجارته وسيطر على عدد من

الشركات والمؤسسات المختلفة بذكائه .. من عينيه تنبعث نظرة جادّة وجامدة، أنيق المظهر .. وبالرغم من قصر قامته إلا أنه زير نساء من الدرجة الأولى وبلا منافس.

كان جالسًا في مكتبه الفخم في بغداد حيثُ يعتلي مبنى شركته لافتة ضخمة كُتب عليها «اكزيلارك» للتجارة العالمية ..

«دانيال» ثعلب السوق .. له خبرة واسعة في أمور التجارة ويسيطر على الأسواق التجارية بشكل مباشر علاقاته مع كبار رجال السياسة وضعته في قائمة الرجال المُحَصَّنين أمنيا من أية محاولة للغدر به .. ورث الدهاء عن أجداده اليهود والده قُتل في انفجار استهدف إحدى الملاهي الليلة ببغداد ونُسب الحادث إلى مجهول وأغلق التحقيق آنذاك دون أي تقدم في القبض على الفاعل مما أثار في نفسه حفيظة الانتقام.

يُعتبر أمير «اليهود» ويحبه اليهود ويحترمونه وذلك لِما يقدمه من خدمات كبيرة لهم يتباهى بجدّه «عزرا» كان أحد كبير الحاخامات في العراق، أما زوجة «دانيال» فهي «ايلين خلاصجي» من أكبر العوائل وأشهرها في العراق .. كانت ملكة جمال بغداد .. وكانت ذات جمال خاص يُدرك من أول وهلة نافذ الأثر، ويوجد قدر كبير من التناسب بين قسماتها وأما جاذبيتها طاغية بِقَدِّها الممشوق في جملته في حدود الرشاقة وجنسي إلى أبعد الحدود.

وكان «دانيال» في منتصف الأربعين واتَّسَمَ غرامه بها بجنون الكهولة ..

استقبل «دانيال» بعد منتصف الظهيرة في مكتبه الفخم صديقه «عمران بيك» فقدّم له كأسا من الويسكي .. وأخذا يتكلمان في أمور تمسّ أمن تجارتهم نظر «دانيال» إلى ضيفه وهو يرفع كأسه

بيده إلى فيه ولاحت منه نظرة في نفس الوقت إلى كأس «عمران بيك» الموضوع أمامه كأنما يدعوه إلى الشرب رفع الضيف الكأس وارتشف منه قليلا بينما صبّ «دانيال الكأس في جوفه قائلا :

- ما أتعس هذا البلد .. ولّى العثمانيون وجاءَ البريطانيون ثم نصَّبوا ذيلًا لهم وهو الأقبح منهم جميعا .. ملك من عالم ثان ولّوهُ علينا ليحبسنا في قوانين صارمة تقضي على مصالحنا.

ابتسم «عمران بيك» وقال بهدوء :

- لديك السياسي الملكي «صفوت باشا العوّا» يقوم بواجبه على أكمل وجه معك، لما القلق إذًا عليك أن تستغل علاقتك به إلى أقصى حد قبل أن يُغَيِّروه، هغذّي نفوذنا بقوة المال يجب أن نحافظ على ما بنيناه من سلطة.

- البعض يعتقد بأن يهود العراق ولائهم كاذب للبلد .. ولكني أقول بأن لا أحد يحب العراق مثلنا ولهذا يا بيك نحتاج الى الوحدة يدك بيدي سنهزم العدو .. ونجعل من إمبراطوريتنا نفوذًا لا حدّ له.

ضحك «عمران بيك» ثم قال مازحًا :

- سنكسر شوكة التجار اللذين يريدون تدميرنا.

رماه «دانيال» بنظرة لائم وقال مصححًا :

- تدميرك أنت يا بيك .. فأنت من خلقت لنفسك أعداءًا لا عدد ولا حصر لهم .. وأنا أصبحت بحكم الظروف مخلِّصكَ منهم القسوة الزائدة ستطيح بك تذكر زماننا قد تغيّر ولم يعد العراق كما كان لتفعل ما تشاء .. ثم تنتظر لتجد الحماية من المُحتل يحميك لقاء الرشاوي .. أو الإتاوات إن صحّ التعبير حروبك مع خصومك كاد أن ينهيك .. لقد استنزفت أموالًا

كثيرة لمجرد أنك تحقد على أشخاص وتمقتهم.

لعن «عمران بيك» صاحبه في سرّه ثم قال بوجهٍ ضاحك :

- السوق منافسة وإن لن نسحقهم اليوم سيسحقوننا غدا وخصوصا تجارة السلاح لا رحمة فيها .. اطحنهم قبل أن يطحنوك.

- عليك أن تُبدي مرونة وذكاء معهم .. لا أن تكون لينًا بإفراط معهم .. ولا صلبًا جدًا، يجب أن نكسب كبار شخصيات بقية العوائل فلهم نفوذ أيضا وأفكار نستغلها إعطهم فرصة ليثبتوا ولائهم .. وأن طاشت المصائب تستطيع أن تُقدّم من لا تطيقه ككبش فداء للقانون.

ثم استدرك قائلا :

- لقد ذكّرتني بحادثة وقعت لي في لندن قبل وقت طويل عندما فكرت أن أجمع بني مِلّتي المُشَتَّتين في أوروبا فاشتريت مركزا لليهود العراقيين في لندن .. وملكية المركز كانت تعود لتجار إيرانيين، فعندما علموا بأني يهودي عراقي أتعْلم ماذا قالوا لي ؟

- أكيد غضبوا.

- قالوا لي صراحة : أنتم من دمرتم الإمبراطورية الفارسية لأنكم جئتم بالعرب والمسلمين لاحتلال العراق ومن ثمّ إيران.

ضحك الاثنان ضحكة عالية ثم قال «عمران بيك» :

- لقد علمت مؤخرًا بأن قريبك «داوود خلاصجي» قد دعم مجموعة تجارية في لندن بعد هيمنة بيت «الخلاصجي» هيمنة تامة على زراعة الأرز .. إنه يُصدّر الآن كميات كبيرة من

المحاصيل الزراعية خارج البلد .. ولكنه بعيد كل البعد عن تجارة السلاح .. أو حتى أن يُفكر في منافستنا.

- حاولت اقناعه بأن يجرب تجارة السلاح معنا فرفض .. ولكني لا أخشى منه شيئا يضر بنا.. فهو يهودي مثلي ومسالم يحترمه الجميع ولهذا أعامله دائما باحترام بالغ.

- ولكن إن ضغطت عليه ..

فقاطعه «دانيال» مثل نبرة محذرة أثارت من حفيظة «عمران بيك» :

- إنه يهودي مثلي يا بيك .. نحن بنو إسرائيل لا نقتل بعضنا البعض من أجل مصالح تافهة ولا نُضحِك العالم علينا مشاكلنا بيننا نحلها وحب الوطن فوق كل شئ.

قالها محدّجا ضيفه بنظرة تعني أن يَكُفَّ عن الحديث .. وهنا أحَسَّ «عمران بيك» بأن قيمته كرجل ليست على ما يرام فلطالما أحَسَّ بأنه الملك كان يأمر وينهي ولا منافس يستطيع أن يواجهه في السوق إلا وقضى عليه ولكن الآن ظهر شخص أقوى منه وهذا ما لم يكن في الحسبان .. برز في السوق وسيطر بذكائه على مراكز مهمة في الدولة من خلال علاقاته يهدده الآن ويقاسمه في قوته في التجارة والأرباح عليه أن يضع حدّا مع هذا اليهودي..

أدرك «دانيال» أنه تجاوز حدود اللياقة مع صاحبه فقال «دانيال» مُغيّرا مسار الحديث :

- لنركز على تجارتنا القادمة .. فالسلاح جاهز للخروج من مصر ورجالنا ينتظرون الإذن بالتصرف السريع واستلام البضاعة من قبلنا .. ولكن بسبب العصافير التي أغرقَت الحدود فإننا سوف نحتاج إلى وقت طويل لكي نستلم

البضاعة تهريبها صعب جدًا الآن بسبب تدَخُّل أطراف خارجية أوروبية في مصير البلدان العربية.

- ما زال العائق قائما من حرس الحدود في سوريا الرابضين على مدار الوقت هناك .. ويقتنصون الفرص لكي يحبطوا محاولات تهريب الأسلحة .. أفكّر أن أذهب بنفسي إلى القاهرة وأحدّد طريقة وموعد تهريب شحنة السلاح بالاتفاق مع رجال معينين ليسوا عربًا .. لقد خططت لذلك ودرست الأمر ويجب أن أُنَفِّذ الخطة بنفسي وهي فرصة لكي أتخلص قليلًا من الأجواء الخانقة التي تطوّقني هذه الأيام .. شحنة السلاح هذه مُكلّفة ويلزمنا الإشراف عليها بأنفسنا.

رفع «دانيال» حاجبه الأيسر باهتمام بالغ قائلا :

- سأجري اتصالاتي مع بعض الرجال هناك ولكن قبل كل شئ يجب الاتصال برفيقنا الرائع الذي وعدنا بالمساعدة .

قَطَبَ «عمران بيك» حاجبيه متسائلا :

- من ؟

فأجاب «دانيال» والابتسامة الصفراء الماكرة قد قفزت من بين شفتيه :

- «السوركي» .. رجل ابن سوق .. له ناس مهمين في الدولة يقومون على حماية مصالحه إنه رجلي المفضل وكما تعلم أن بضاعتنا في مخازنه .. سيكون جيدًا لو أُعلمه بخطتك بشأن البضاعة .. وأنك أنت من ستتولى مهمة الإشراف على تهريبها فهو سيُسهل لك كل شئ سواء من الحماية أو تسهيل عمليات الاتفاق والشحن .. اعتمِد عليه يا بيك فهذا الرجل هو خير عون ثق به كما تقف بي.

استحسن «البيك» الفكرة ثم تمتم وقد دسّ أصابعه بين لحيته يتحسسها :

- «السوركي» ....

الفصل الثالث عشر

القاهرة _ ١٩٢٢

«السوركي»

القاهرة تلك المدينة الباهرة والمرصعة بالأضواء .. حيث في طياتها المثيرة تقع أحداثٌ وأحداث .. مدينة جمعت بين أصالة الماضي والجديد .. حيث أبنيتها الهائلة متصلة التكوين وتنبثق منها هنا وهناك قباب ومآذن .. والطرقات فيها تختفي تماما كما يختفي تفرد الناس وتميزها حيث لا اثر يظهر لهمومها ومشاكلها وأفراحها وأتراحها .. تنشأ فيها علاقات .. وتنفجر فيها خصومات تلك المدينة الكبيرة العريقة بأحداثها اجتمع فيها الجمال والفن.

كان هناك لقاء مهم بين «السوركي» ومطربة الملاهي «عفرا حازا» في أحد المقرات السريّة التابعة لـ «السوركي» والتي تقع على حواف القاهرة .. مقر يتمثل في واحدة من مزارعه الكبيرة يلجأ إليها للترفيه وأحيانا يتخذ قراراته ومشاوراته هناك.

«عفرا» الفتاة العراقية اليهودية لم تدخل العشرين بعد .. ذات الشعر الأسود الفاحم .. قامتها الطويلة النحيف المعتدل والرشيق كنخلة باسقة .. ذات بشرة قمحية .. بوجهها المستدير الجميل تبعث إلى النفس البهجة عند رؤيتها .

مطربة ذات صوت نسائي جميل .. تغني على المسرح بوجدان وابتسامة صافية .. بدأَتْ مشوار حياتها بداية تعيسة عندما توفي والدها وهي في شهرها الثامن .. فاضطرت والدتها المريضة وبسبب الفقر الشديد أن تتركها أمام أحد دور الأيتام في بغداد وبعدها توفيت بعدة شهور بسبب الكوليرا.

مشـوار حيـاة «عفـرا» كان رخيصًـا وبائسًـا .. بعدمـا بَلَغَـت أوُجَّ أنوثتهـا وشـبابها جمعـت بعـض المـال وسـافرت مبتعـدة عـن بغـداد إلى القاهـرة .. ولسـوء حظهـا تلقفتهـا هنـاك الأيـادي الضالـة وعملـت في بيـوت الدعـارة لتكسـب قوتَهـا .. ثـم جربّـت الغنـاءْ في الملاهـي الليليـة .. حتـى رآهـا «السـوركي» صدفـة في جلسـة خاصـة كان يقيمهـا سرًا في إحـدى مزارعـه خـارج القاهـرة .. وكان قـد جلبهـا أحـد رفـاق «السـوركي» .. فأعجـب بهـا الأخـير وحرّرهـا مـن القـوادة بثمـن باهـظ أحَبَّهـا ثـم تزوجهـا سرًا لتكـون زوجتـه الثانيـة والعـشرون فسـاعدها لتنتـشر كمطربـة يشـار إليهـا بالبنـان ولا يجـرؤ أحـد أن يكلمهـا أو حتـى أن يفكـر بلمـس طـرف ثوبهـا وهـي واقفـة تغنـي بـين روّاد الملاهـي الليليـة .. فحرّاسـها كانـوا كفيلـين ببـث الرعـب في قلـب كل مـن يحـاول أن يُكلّمهـا .. تصـدح بصوتهـا كالشـحرورة بعينـين واسـعتين وأنفهـا الدقيـق المسـتقيم تقطـران الملاحـة فيتمنـى الجالـس لـو يفـرش شـغافته تحـت قدميهـا ويـكاد أن يرتكـب شـطَطًا جنونيًـا لـولا خوفـه مـن الرجـل الفـولاذي الـذي يحميهـا بقـوة السـلاح وغطرسـة عاشـق.

«السـوركي» ذاك الإسـلامي المتشـدد .. بجسـمه المكتنـز وقـد ترهـل فاشـتدّ احتقـان الـدم بالوجـه الممتلـئ حيـث بـان الكِـبر في صفحـة وجهه وغضـون في الجبـين وقـد أخـذَت التجاعيـد مسـاحة واسـعة مـن جسـده وبعـد صـلاة العشـاء يختـلي بالخمـر ليفعـم بـه حتـى قمتـه مُطبقـا مقولـة مشـهورة تقـول «بعـد العشـاء .. افعـل ماتشـاء».

لديـه قاعـات كـبرى للعزائـم .. والولائـم .. موائـد ترتفع عـن الأرض عـدة سـنتيمرات .. وعـلى الارض مسـاند موزعـة بشـكل دائـري يسـيطر عـلى الوليمـة بـذخ الدسـامة وتحتشـد بأنواع مـن الأطعمـة المتعـددة .. من محـاشي ولحـوم وكفتـة ملفوفـة مصفوفـة بعضهـا عـلى بعـض يَنِـزُّ منهـا مـرق سـمين .. وبعدهـا تسـيطر روائـح الحشـيش المسـتحضَرَة خصيصًـا

للضيوف المهمين من أصحاب النفوذ .. يحضرون تمسكًا بعلائق النفوذ وتماسكًا في علاقات السلطة وبإغراءات بذخ «السوركي» الذي يشري ويرشي ويبيع ويشتري بلطف وبطراوة تنزع عن الجرم ذنبه وتمنحه حلال عاديته الأليفة.

بدأ مشواره صبيًا ضائعًا .. فتزوج من امرأة تكبره بسنوات فساعدته بمالها أن يدخل سوق التجارة الحرة وتدّرج شيئًا فشيئًا في تجارته .. وبدأ مشواره الطويل بشراء «وكالة الإخوان» لبيع الأقمشة ومن ثم بدأ يعمل في مصالح اخرى حتى توفيت زوجته فَوَرَثَ أملاكها من العمارات والبيوت وتدّرج في نشاطاته المشبوهة التي اتسعت وأصبح كشبكة عنكبوتية يمدّ خيوطه في كل مكان فأطلق لحيته وادّعى التدّين وجمع أنصارا لا يُستهان بهم ثم همّ بإعلان عن نيته عن تأسيس حزب إسلامي قريبًا جدًا يهدف إلى الرحمة والمساواة ومحاربة الفقر والفساد ويهدف ايضا الى تنفيذ شرع الله على الارض وترسيخ العدل والإحسان ومساعدة الفقراء أينما كانوا.

وأصبح ينافس كل تجار القاهرة واستشرت توجهاته الإسلامية في كل مكان ولكنه كان يحافظ على سريّة نشاطاته الأخرى كاغتيالات عساكر الإنجليز وخطفهم .. وكان ظهور الإخوان المسلمين بعد سنوات وبالتحديد عام «١٩٢٨» دور بارز في تقوية شوكته بين الاسلاميين الذين انتموا الى الحزب الذي كان يدعو إلى ضرورة الإصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي .. وقاد عدّة مظاهرات وندوات وأصبح له نفوذًا قويًّا جنى منها ثروة لا تُحْصَى.

فكان «السوركي» يجند جماعات تقوم على اغتيال عساكر المحتل بهدف إفشال المعاهدات التي وُقِّعَتْ بين الملك «فؤاد الأول» والإنجليز وكثيرًا ما كان حاقدًا على نقطة الانتداب البريطاني على

مصر.

وبالرغم من تقدم سنه ولكنه كان مِزْواجًا ومصيبة كبرى حلّ على الجميلات .. فكان كدودة تنهش أكلًا في أوراق الأشجار الخضر فتتركها بائسة ومشوهة .. كان أكثر الرجال عشقًا للنساء وما أن تصادفه فتاةٌ ذات حُسن وجمال يتزوجها حتى بلغ عدد زوجاته الرسميات «٢١» حورية قبل زواجه من «عفرا» .. بالرغم من نهاية شبابه الريّان وانطفاءْ الحُب الباهر للقاصرات وغير القاصرات وضوّحت آمال وآمال ولكنه شديد الحب للدنيا كثير الخوف من الموت .. وشغوفٌ جدًا بالنساء والخمر يشرب سرًا في أماكن سهر بعيدًا عن ضوضاء القاهرة له مزارع اشتراها فقط لإقامة أجواء سرية من المُتع والملذات الشخصية وله رجال أشداء يحمونه بإخلاص ويتكتمون على أسراره لأن بقاء الكبير من بقاءهم .. وخوفًا من أن تضيع مصالحهم التي طالما تكاتفوا لبنائها وأيام الجمعة يحرص على حضور الجماعة ودفع الصدقات في جوامع شيّدت من قبل جماعات إسلامية تقام فيها الخُطب والصلوات ازداوجية تعوّدوا عليها وباتت عادة لصيقة بحياتهم لا يتخلون عنها فالدنيا فتحت ذراعيها لهم وأهدتهم ما يتمناه كل مرء من جاه ومال وقوّة.

كانا جالسين على أريكة واحدة وراء خوان من الخشب الأسود المُطعّم بالصدف وضَعَتْ عليه قارورة حمراء وكأسين ووعاء صيني مُلئ ثلجًا وعلى جانب الوعاء ما لذّ وطاب من الفواكه قال لها :

- «عمران» قادم بعد أيام لإكمال شحنة تحويل الأسلحة إلى العراق الكمين الذي نصبناه له قد نجح وأنتِ طبعا تعرفين واجبَكِ حيال ذلك .. علينا أن ننفذ الأوامر التي تصلنا وحسب وإلا فسنكون عرضة للمسائلة .. أستطيع رفض كل شئ إلا

أوامر «دانيال» .. أنتِ تعرفين إن خطّ وإن دبّر فيجب علينا ألّا نناقش.

أدركت مراده فقبضت بعفوية وهدوء يده لثمت ظاهرها قائلة بابتسامة ماكرة :

- أمر مولاي المطاع.

- إنه رجل له مكانة كبيرة في عالم المافيا .. وله أصدقاء قليلون وأعداء كثيرون .. لا تثريب على دهاءه «دانيال» يريد التخلص منه منذ فترة طويلة .. بعد أن كسب ثقة «عمران» ولكنه لا يأمن شره .. ولولا «دانيال» لاستكرهت انفرادك بـ «عمران» و...

- اهدأ .. فهي ليلة واحدة في سبيل بقاء مصالحنا التي هي فوق كل شئ.

- سيسلمنا ملفات مهمة طلبها «دانيال» وسنستدرجه ورجاله إلى سيناء وهناك سوف نقضي عليهم .. كما نفعل مع غيره عندما نصل معه الى طريق مسدود .. فصحراء سيناء لن يصلها أي شخص تكون له صلة قربى مع «عمران» وسيتم القضاء عليهم وهم في داخل العراق إن حاولوا الانتقام و«دانيال» بصدد إضعاف شوكتهم .. هذه الخطة إذا تمت بنجاح فصفقة الأسلحة ستكون لي كهدية يقدمها لي إزاء خدماتي له.

- وابنه .. فكما أعلم أن لديه ابنًا .. ماذا عنه ؟

- ليس ابنه .. تَبَنَّتْه زوجته .. إنها قصة طويلة يطول شرحها.

- ... ؟

- الشرح يطول دعينا في المهم .. قبل أن يصرعنا «عمران» سنتخلص منه .. سنتعامل مع «جاهد» من الآن وصاعدًا وسيكون بيننا تعامل طويل ومثمر وسيساعدنا كثيرًا في أمورنا العالقة مع بعض المسؤولين في العراق ..»دانيال» يريده كآلة يُنفذ من خلاله خططه في التجارة وضرب كل شخص يحاول التأثير على سير خططه .. اليهود يحب أن يعيشوا كالملوك في العراق لا تهددهم نباح الكلاب .. «مصالحنا» مع مصالح الأقوياء .. مهما أبلغ من ذروة السلطة فسأبقى تابعًا لهم .. لا تصدقي أن العرب مستقلون في السلطة .. إن فكّر»دانيال» في القضاء عليَّ فتأكدي أنه لن يحتاج وقتًا طويلًا لتنفيذ خطته ولهذا إن أرادني قَوَّادًا فلا أمانع الركوع للقوي فضيلة وعقلانية لأنه لو حاولت الاعتراض .. فإنه سيقض على ما بنيته في طرفة عين.

أنكس ذقنه متأثرًا بالخمر فغمغم مخمورًا بكلام غير مميّز وهي تسترق النظر حيث تعلم بأن الرجل العجوز مهما بلغت به الثمالة ولكنه ما زال بكامل قواه العقلية .. فهو أسطورة خطيرة في عالم الإجرام .. ولكنه كما قال لعبة بيد الأغراب.

الفصل الرابع عشر

كانت ترتشف قهوتها في جنينة الفيلا الكبيرة وهي تلقي نظرة دائرية ضجرة على أشجار الليمون المزروعة بنسق جميل يضرب عطرها الأنوف فتنتعش الأنفس لها .. كانت تتخبط في دياجير الأفكار السوداء وشوارد الأخيلة الجهنمية حتى وثب لذهنها أن نتنقم من زوجة عشيقها ووالدها لتهنأ بـ «عمران بيك» لوحدها فقط يحتاج ضربة لتؤدبه وتجعله يركع لها مدى الحياة ثم تمد له يد العون وتساعده على النهوض مجددًا فتكون هي سيدته وملكته إلى الأبد .. تريد إضعافه فقط .. كانت تخاطبه بأجلى لسان، وكانت تحاول أن تخفي خططها لئلا يشك ومن ثم يتصرف بجنون فيذهب كل شئ أدراج الرياح، هي تعبده .. وهو يعشقها فقط العبادة لله وحده والنساء لسن للعبادة بل للعشق والخمر فقط .. هكذا يقول لها في حضرتها رغم أنه معروف بإلحاده وإجرامه.

- أهلا.

أجفلها صوته الهادئ وهو يقف أمامها بينما كانت هي شاردة الفكر فقامت ومدّت يدها بلطفٍ بالغ لكي تصافحه.

أشار لها بالجلوس فرمته بنظرة تفحصية لترى إن كان هناك أمل في الأمر الذي أتت من أجله .. أم لا .. جلست فوضعت رجلًا على رجل جاذبة عينيه قهرًا إلى جانب عريض من فخذيها اللذين أحدث التقاءهما واشتباكهما طيات بيضاء مثيرة أيةِ هاوية ستنفغر تحت أقدام المتآمرين ؟

كان «توفيق الدوري» يَتَمَلَّى إيثارها فأزدهاه جمالها ولكنه يعلم

أنهـا ليسـت كباقـي النسـاء ..

إنها ..... «أشرقت» .. أنثى مختلفة جدا عن الباقيات.

- تعلـم أني لا أريـد لـه السـوء أريـد تأديبـه فقـط بتضييـق الخنـاق عليه لكي أجعله يركع لي.

- زوجتـه سـتقف بينكـما فهـي صعبـة جـدًا وقـد تتصادمـان في أمور أنت في غنى عنها.

- لـدي نفـوذي ورجـالي .. حتـى لـو اسـتنزفهم في سـبيل مـا أريـد فلـن أكـترث لذلـك .. المـال والرجـال يعوضـان كل شـئ فالمهـم لـدي «عمـران» لا يهمنـي شيء آخـر .. وأنـت تعلـم مَـن أنـا، لقـد وصلتنـي أخبـار بأنهـا سـجلت كل مـا تملـك بِاسـم «محمود» فلا تنكر ذلك.

هنـا امتقـع وجـه الرجـل ولكنـه كان مواظبًـا عـلى ألَّا يُظهـر أيًّـا مـن معـالم القلـق تكـون مرسـومة بشـكل فاضـح عـلى وجهـه .. فـكان حـذرًا جـدًا بالحديـث معهـا .. خصوصًـا هـي بارعـة في قـراءة الأفـكار وأنهـا لا تقـل إجرامًـا عـن عشـيقها .. وتعيـش في عـالم المافيـا منـذ نعومـة أظافرهـا بعـد إن فقـدت والدهـا الـذي تـم قتلـه في بيتـه نتيجـة هجـوم شرس مـن قبـل رجـال أحـد التجـار المنافسـين لـه فأقسـمَت مـن يومهـا بـأن تنتقـم مـن كل الرجـال .. كل شـئ .. في سـبيل الانتقـام وارد لديهـا إلا .. «عمران».

- مَن قال لكِ هذا الهُراءْ ؟

رمتـه بنظـرة حـادّة كعتـاب عـلى سـؤاله الـذي يشـكك في ذكائهـا فقدّمـت جذعهـا الرشـيق والجـذاب إلى الأمـام ببطـئ كقطـة ضيقـت عيناهـا وهـي تهمـس بأنوثـة كافـرة .. والهمـس يـكادُ أن يكـون هسيسًـا مـن شـدّة بحـة الصـوت الخافـت :

-العصفورة.

كادَ أن يخنقها .. ولكنه قوي بما فيه الكفاية للسيطرة على أعصابه ويصد لكماتها ويرد عليها بجواب آخر :

- لو كان هذا صحيحا فهي لم تخطئ بشئ ولكن يجب أن تعلمي شيئا بأن «عائدة خانم» ليست بالسهولة التي قد تتصورينها .. وأنتِ ذكية وتعرفينها جيدًا فلديها نفوذها ورجالها ووالدها.

- أمر نقل الأملاك إلى الصغير في حال وفاتها صحيح .. وأنا متاكدة بأنك تخطط لنجاح الخطة .. كونك محام موثوق منه وهي تثق بقدراتك أكثر من أي شخص .. تريد هي من جعل اللقيط مَلِكًا تتوجّه لصالحها وقد يكون ذلك ضدّ مصالحنا.

قالتها وهي مصرّة على صحة كل كلمة قالتها بشأن صحة أخبار نقل الملكية .. فظهرت في نبرة صوتها قليلًا من الحدّة والعجرفة وكانت على وشك أن تفقد صبرها وأدبها معًا .. ولكنه استدرك الموقف قبل أن يقع ذلك قائلًا :

- «أشرقت» .. لا تنسِ مَن أكون .. إذا كنتِ تريدين أن تفتحي نيرانك علي .. وتفتكي بطفل برئ فأنا أحذرك من ذلك.

رمته بنظرة مفعمة بأنوثة قاسية فأردت قلبهُ قتيلًا، فساد صمتٌ لذيذ يعلوهُ نظرات اعين مجهولة المعنى فقالت في غيظٍ مكتوم :

- أنا مستعدة أن أعلن الحماية على الصبي وأُمَرِّر خطتها بسلام وألَّا أعترض طريق الخير وأن .. وأن أساعدك في تحقيق ذلك.

- تساعديني ؟ في أي شئ ؟ وماذا تعنين أن تتركي الأمور تمر

بسلام ؟

- لـن أتدخـل فيـما فعلتـه هـي .. نقـل أمـلاك وأمـوال طائلـة بِاسـم طفـل صغـير يعنـي الشـئ الكثـير وإذا عـرف «عمـران» ذلـك فَأنـت تعلـم مـا سـيؤول إليـه مصـير الطفـل بـل والعائلـة .. «عمـران» يكره الطفـل إلى حـد أنـه لـن يتوانـى عـن قتلـه .. هـذه الثـروة التـي هـي مـن حـق طفـل يُسـحق بضغطـة إصبـع .. سـتكون سـببًا في كـوارث مسـتقبلية علينـا .. معنـاه أن الأعـداء سـيتربصون بنـا ليفتكـوا بأفـراد العائلـة الواحـد تلـو الآخـر مـن أجـل اضاعـة الفرصـة عـلى الصغـير في اسـتلام مهـام ومسـؤوليات قـد لا يـرضى بهـا الغـير .. ولذلـك علينـا أن نتـدارك كل هـذه المشـاكل مـن البدايـة ونحتـوي فكـرة الغطرسـة التـي تسـيطر عـلى أغلبنـا كـن معـي وسأسـاعدك في نيـل الكثـير مـن أحلامـك عزيـزي وأن أُعينكَ في شتى الأمور التي قد تعصى عليك.

أطلق ضحكة سُخرية قائلًا :

- مـا هـذا الهُـراءْ .. تسـاعديننـي عـلى مـاذا وتعينيننـي عـلى مـن يـا تُرَى ؟ أعتقِد أنكِ ...

فقاطعته بحدّة بعد نفاذ صبرها منه :

- اسـمع .. أسـتطيع أن أهـدم كل اتفـاق بينكـما .. وأسـتطيع أن آخـذ فلـذ كبدهـا منهـا ولـن تـراه أبـدًا وأرميـه في مـكان لـن يصلـه إليه أحد .. وأستطيع أيضًا ..

سـكتت برهـة وغضّـت بأسـنانها شـفتها السـفلى فواصلـت ولكـن هـذه المـرّة بإغـراء بالـغ وكأنهـا تتلـذ بـما سـتقول :

- أن اشطب اسمك من الوجود.

حدّجهـا بنظـرة ذا معنـى قائـلًا بتحـدّي وقـد شـاط بـه الغضـب وقَـلَّ

صـبره :

- الظاهر أنكِ ثَمِلَة انتهى الوقت معكِ .. تفضلي.

- ليـس قبـل أن تطيعنـي وأطويـكَ تحـت لوائـي .. مـا جئتـك لأجلـه يجـب أن تطيعنـي عـلى فعلـه أو سـأجعلك تنـدم .. فليـس مـن المعقـول بعـد أن تنكشـف لـك نوايـاي أن أدعـك تعيـش بسـلام تخيّـل أن قاتليـك يتواجـدون في كل مـكان .. ومـا أن تلـج مكتبـك حتـى ينقـض عليـك أحدهـم ولـن ينفعـك رجالك .. وأنـت تعرفني جيدًا.

يعـرف أنهـا امـرأة صعبـة .. تختلـف عـن الباقيـات ممـن يعرفهـن مـن نسـاء الأعـمال والقسـوة .. وممـن تمتهـنّ قتـل الخصـوم .. هـي مختلفـة بـل أقسـى كثـيرا .. بأنوثتهـا الطاغيـة وصلـت اعـلى المسـتويات .. واسـتطاعت عـن طريـق مركـز والدهـا أن تلـج عـالم التجـارة وأن تشـارك «عمـران بيـك» في أغلـب مشـاريعه .. فدّمـرت شـخصيات قويـة فتلاشـوا كالغبـار .. «أشرقـت» ليسـت عاديـة فلديهـا مسـحة مـن الجنـون تنفـي أعتـى الرجـال خلـف الشـمس.

هـذا الأمـر الجلـل التـي جـاءت مـن أجلـه يجـب أن يُنَفَّـذ .. وكـما تريـد هـي .. ولا فائـدة مـن الجـدال أو العنـاد الفـارغ؛ فهـي قـادرة عـلى أن تختـار لـه مصـيرًا تَعِسًـا وبـلا لأي تـردد.

ألقـى عليهـا نظـرة شرزاء بعينـين مظلمتـين أضناهمـا الجـزع مـن حضورهـا .. وكأنهـا برمـت مـن الصمـت فقالـت :

- لا تعتقـد أنـني لا أعـرف شـيئًا عـن صفقاتـك المشـبوهة ولا تعتقـد بأننـي عاجـزة عـن جلـب أي ورقـة تثبـت تورطـك في قتـل رجـال مهمـين -ثـم رفعـت حاجبهـا الأيـسر فأضافـت إلى أنوثتهـا إغـراء كافـر- ولـن يعتقـك مـن غضبـي إن حـلّ عليك سـوى طلـب واحد

ينقذك مما أنت فيه.

أثارت جملتها الأخيرة انتباهه .. وظهرت على وجهه آثار المرونة وبعض الراحة وقال وكأنه يستغيث بالطلب ليضمن سلامته :

- وما هو ؟

- أحد الشخصيات المهمة سيكون لديه اجتماع مهم جدا وقريبا هنا في العراق .. وسيقام في مكان ما خارج بغداد لتنفيذ اتفاقيات مشبوهة .. وهناك رجال سياسة كبار سيباركون هذا اللقاء .. وسيدخل البلد بإسم وهمي .. وبحماية وزير الداخلية بنفسه .. رجل مهم جدًا تعرفه وأعرفه ويعرفه كل من لديه علاقة بالإجرام أو التجارة.

كانت صعقة كبيرة له .. فلا أحد يعلم مغزى هذا اللقاء سوى أشخاص معدودون في الوزارة لا يتجاوزون أصابع اليد فمن سرّب المعلومة ؟ والخوف كل الخوف لو فعلًا يتم تسريب كل خطط المؤامرة التي تهدف من التخلص من بعض الشخصيات ولكنه آثر السكوت خوفًا على نفسه منها .. أية عصافير تنقل الأخبار بدقة .. معناه هناك اختراق بين شبكة التُجار وهذا سيكلفهم حياتهم .. «أشرقت» لم تأتِ لكي تعرض شيئًا وانتهى بل هناك شخصية كبيرة يساندها ويحمي ظهرها .. لأن التطرق في هذه الأمور لا طريق له إلا الموت الأكيد .. ولولا يدٌ خفية قوية يساندها لما تجرأت على هذا الطلب الخطير.

عاجلته بجواب كان يختلج في خاطره .. وكانت إجابة صريحة كافية بقتل فضولِه وتساؤلاته :

- رجالي لا يبخلون بأي معلومة تولد من رحْم أفكاركم تحركات كل واحد تصلني وأنا جالسة في قصري وأستطيع أن

أجزم عن نوع الملفات التي تدخل مكتبك وزبائنك .. وأعرف أماكن الملفات المخزونة في أماكن سرية قد شيّدتها أنت لهذا الغرض .. وأعرف أنك متواطئ مع أغلب الرؤوس الكبار في عمليات اغتيالات سرية جرت أحداثها مؤخرًا .. ولكني سأكافئك بشئ وأنت تعرف أنا لست مجبرة على فعل ذلك.

أراد أن يتكلم فقاطعته بصوتها الأنثوي الحاد والناعم :

- سأتركك تعيش كما تشاء ولن أقترب من .. «ولي العهد» الجديد وسأدعه يعيش ويكبر وربما أساعده في ولوج عالمنا ولِمَ لا وهو من سلالة «بيت القاضي».

أيقن مدى جديتها وأن العناد لا يفيد معها هي تعي ما تقول حتى أجبرته على الرضوخ .. فقال باستسلام :

- لكِ ماتريدين.

فأابت بجمود وثقة :

- لا تقلق لا أحد سيعرف شيئًا عن هذا اللقاء .. أنت ربحت حياتك وأنا ربحت كل شئ .. أريد فقط تفاصيل المكان ولا داعي بأن أُذَكِّرَك بالصدق .. الصدق عندي مهم جدًا عزيزي.

النساء كارثة إن ضَرَبْنَ .. يَكُنَّ كالإعصار يقتلعن كل شئ يقتلعن حتى الرجال من أعماقهم .. ويزرعن فيهم الخوف وإن شِئْنَ لهم الأمان فلهم ذلك

«أشرقت» نبتت على السطح ونمت وتشجّرت .. هذه المرأة كشفت له حجب أساليب المرأة هوائية المزاج .. ورخاوة عشقها سعيها للاحتدام .. فالاحتراق ثم الانصهار .. هذه المرأة عشقت واحدًا فقط وفضلّته على جميع الرجال .. تخطو خطوةً من الممكن أن

تكلفها حياتها لو فشلت .. ولكن مهلًا .. مَن يا تُرَى يدعمها لكي تتجرأ وتتحرى عن الرجل المهم الذي سيزور بغداد ؟ «عمران» ؟ لا أظن .. فهناك مَن هم أقوى منه .. مَن ؟ مَن يا تُرَى ؟

الفصل الخامس عشر

القاهرة

كانت القاهرة كعادتها جميلة وتبهر الأنظار بأبنيتها الفخمة ومشاهدها الرائعة .. فكانت الشمس تعتلي كبد السماء وتُرسل أسلاكًا من نورها الذهبي .. فإذا غمر النبت رف رفيفا .. واذا مَسَّ النيل تتلالأ كالسحر .. فتبدو القاهرة بأرقى زينتها وتضحى آي النبل والمجد والجمال.

وصل «عمران بيك « مطار القاهرة .. فنزل مع رجاله الخمسة أرض المطار .. تملئهم الحيوية والنشاط وهم يزورون القاهرة أم الفن والدنيا .. كان البيك مغتبطًا بانتهاء الرحلة الطويلة فاستقبله «السوركي» و«عفرا» في المطار وأظهرا له بالغ الحب والاحترام بزيارته .. عرف «عمران « من لهجة «عفرا» بأنها يهودية من العراق ولم يستبعد بأنها تخفي قصصا مُريبة في سِفر حياتها أبدى مرونة كبيرة في التعامل معها .. فأعجب «عمران بيك» بها من أول نظرة وعلى الفور شعر بغريزة العشق يتدفق من بين أضلعه .. ولكنه كان محافظا على هدوءه وقوة شخصيته المعهودة .. فتلقى ترحيبًا مهيبًا يليق بمكانته كرجل أعمال له سمعته في التجارة الدولية وعالم المافيا .. مضى يقلب عينيه في جسدها الرشيق .. التي تتألق بنسق غاية في الإثارة وكأنها قطعة عاج ملساء تتألق بعينيها الجميلتين .. صعد الجميع السيارات الفخمة وانطلقوا إلى قصر «السوركي « بينما كلمات الترحيب الرنانة الجميلة لم تنقطع والابتسامات العريضة تعلو الشفاه.

ثم بلغ موكبهم الصغير ميدان قصر «السوركي»، وكان

ميدانًا فَسيحًا مترامي الأركان تقام على جوانبه الحدائق والتماثيل والأشجار .. ويبدو في مكانه الوسيط القصر الجليل يبهر الأنظار مشهده الرائع .. كان قصرًا عظيمًا كقصر «عابدين» فـ«السوركي» كان رجل غني عن التعريف في مصر .. رجل من كبار الأثرياء في بلده .. له نفوذ قوي لا يُعلى عليه في عالم التجارة وأمّا الكيف وتجارة الرّق فله مزاجه الخاص .. وفيما كان الموكب يقطع أرض الفناء كان «عمران بيك» يسأل نفسه :

- تُرى هل «عفرا» متزوجة ؟ أو لديها عشيق ؟ كيف تركت العراق ؟ يهودية ؟ فاجرة في جمالها.

وفي نفس الوقت كانت «عفرا» تسأل نفسها وهي تسير بمحاذاته:

- هل هذا هو «عمران» ؟ فعلا شخصية تستحق الاهتمام آسفة عليه على ما سيلقاه من مصير لا يليق برجل مثله ابن بلدي ولكن للضرورة أحكام.

كانت الردهة المؤدية الى باب البهو مزينة الجانبين بتماثيل ونقوش جميلة .. تماثيل مصرية تدل رموزها على شخصيات فرعونية تاريخية وعريقة .. يعبر عن مدى براعة المعمار المصري في تطوير عالم الفن والتي اشتهرت بها في كل أجيالها المتعاقبة .. وفي أركانها يقف رجال أشداء للحراسة .. فكان في صدر المكان أرائك فاخرة وواسعة للضيوف، فأَقْدَموا قاصدين الجلوس ويرتاحون قليلًا من تعب الطريق.

بانت السعادة على الوجوه واضحة وقد جلسوا يتسامرون ويرحبون ببعضهم وكانت «عفرا» ترمي «عمران بيك» بنظرات أنثى لا ترحم غازيةً قلبه بلا سابق إنذار، ذا مغزى لا يفهم معناها سواهما وكان «السوركي» يتظاهر بعدم الانتباه .. بينما غرقا الاثنان

في عـالم الإعجـاب ببعضيهـما.

وكلـما كان «عمـران» بيـك يتكلـم كانـت هـي تهيـم بـه .. ويهيـم هـو بهـا وكأنـه يقصدهـا بالحديـث.

وحـين سـفور الصبـح .. كان «السـوركي» قـد أجـرى عـدة اتصـالات مـع «دانيـال دنغـور» يـزوده بـكل جديـد .. وكان «دنغـور» حريـص جـدًا عـلى أن تسـير خططـهُ عـلى أتـم وجـه لأنّ أي خطـأ فـادح سيتسـبب بكارثـة كبـيرة .. ولا سـيَّما أنـه يتآمـر عـلى شـخص لـه سـمعة واسـعة وكبـيرة بـين رجـال الأعـمال .. وكـما أن لـه أعـداءً فلـه أصدقـاءً أيضًـا ترتبـط مصالحهـم بـ «عمـران بيـك» ارتباطًـا وثيقًـا فسـيهبّون لنجدتـه بـأي وقـت وفي أي مـكان .. لـذا الحـذر والكتـمان مهمـيّن في مثـل هـذه المسـائل الحساسـة جـدًا.

- اسـمع مـا أقولـه لـك .. صحـراء سـيناء أفضـل مـكان لإنهـاء قصتـه .. أريـد منكـم إنجـازًا دقيقًـا .. إذا أحَـسَّ بشـئ فالنهايـة سـوف تحيـق بنـا .. لا تسـتهين بـه .. إنـه الـرأس الكبـير لـ «بيـت القـاضي» .. واعتـبر نفسـك في عـداد الأمـوات لـو أحَـسَّ بشـئ لأنـه لا يرحـم مـن يغـدر بـه .. وسـينال منك..إنـه قـوي، لئيـم صحيـح .. ولكنـه شـجاع فـوق كلّ مـا تتصـور .. اجعلـه يطمئـن إليك ومن نواياك بأية طريقة.

- لا تقلق أنا طاعن في السن ولكني مازلت داهية.

- وما أخبار الحسناء ؟

- هـي تقـول بأنـه شـخصية تسـتحق الإعجـاب .. ولكنـي لا أرى فيـه غـير ذبابـة نتخلـص منـه ونرتـاح للأبـد .. فـلا ينافسـنا أحـد في تجارتنا بعد الآن .. ونودّع القلق إلى الأبد لو أمكن.

- القلـق موجـود في عملنـا دائـما .. سـيكون مـن بـاب العقـل أن

نتخلص منه بهدوء .. احرصوا على أن تتخلصوا منه قبل أن يُشهر رجاله أسلحتهم عليكم .. لا ترحموا أحدًا فأنتم امام مصير الموت لو أبطأتم في قتلهم سيقتلوكم بلا تردد أو رحمة فهم رجال بارعين في التصويب والدفاع .. لم أصدق أنه سيصطحب خمسة رجال ولكنه وفّر علينا الكثير من الوقت والمجهود .. لقد اختار هذه المرة قدره بنفسه.

- لا تقلق سينقض عليهم رجالي قبل أن يحسوا بالأمر .. عدم اصطحابه لرجال أكثر معناه أنه مطمئن بأنه لا عملية غدر ولا قتل ستحصل .. فهو يطمئن إليك بلا شك .. وهذا يصبّ في مصالحنا.

- اطلق عليه «عفرا» ليضاجعها أكثر من مرة .. فليلة من لياليها كافية لإنهائه .. الجنس في هذه الحالة مهم جدًا .. ولا تنسوا دسّ المُخدر في مشروبه فهو يعشق النساء والخمر .. سوف أرسل لكم مزيدا من المحلول الذي تم الانتهاء من تركيبته في مختبرنا .. جرّبوه عليه.

امتعض وجه «السوركي» ولكنه قال بشئ من الرجاء :

- عندي غيرها.

- قلت لك هي فقط مَن أريدها أن تضاجعه .. يا .. «سوركي» لا تخالف خططي إن قلت لك شيئا فتنفيذه واجب .. لي قصد في ذلك .. «عفرا» هي من ستتولى المهمة .. لا أثق بغيرها.

لم يعارض «السوركي» الأوامر فهو يعرف مدى نفوذ سلطة «دنغور» الإجرامية .. وعناده هو جنون لا رحمة فيه .. فهو لا يريد أن يكون عكازًا معكوفًا ينتهي صلاحيته بتقدم سنه .. ولا يريد أن تتحول جميلته إلى مسمار صدئ، يبقى جرحها

عفنا مدى الحياة .. لا يريد كلما يراها أن تنزّ بصديدها يصحبها رائحة نتنة .. أن تكون فراشًا لخصومه أو خصوم «دانيال» الغمام الشارد حلّ بحلول هذا الضيف الثقيل عليه ..

واصل «دانيال» كلامه بجديّة اكثر :

- «سوركي».. أمامنا خصمٌ صعب جدًا يختلف عن كل مَن نلنا منهم قبل ذلك .. التخلص منه مهم .. تخيل عندما يرجع بصفقة السلاح إلى العراق ماذا سيكون بعد ذلك ؟ سيتفوق على الجميع بقوته .. إنه ذكي جدًا ويجب أن نزيله .. إنه يريد أن يحرق أي شئ .. والتخلص منه يجب أن يتم في أتم سرعة وفي شتى الطرق التي قد تزيله إلى الأبد .. الحل الوحيد الذي سيمنحنا فرصة قتله هو خارج العراق .. فأنا لم أصدق أذني عندما أراد أن يتمم على صفقة السلاح بنفسه كدت أطير من الفرحة كالأطفال .. يُقال غلطة الشاطر بعشرة لقد كنت متحيرًا من أمري كيف أدبر له خطة نهايته .. ولكنه حفر قبره بيديه.

- حفر قبره بيديه !

- بالضبط.

- اطمئن إذًا كل شئ سيكون على مايرام.

- أعلم بأنك تحبها، ولكنها الوحيدة مَن ستستطيع قتل كل شكوكه لو كان في قلبه أي شكّ .. فهي بارعة في أداء دورها مما سيساعدنا في إزالة أفكارا مشبوهة قد تكون عالقة في ذهنه المريض .. قبل الموعد بليلة أريد أن يعاشرها حتى الصباح أنهكوه وشُلّوا أعصابه .. أريده أن يفقد تركيزه تمامًا في الدفاع عن نفسه عندما يُصطدم بالواقع .. و بأن كل شئ

قد تحوّل ضدّه فجأة.

- لقد بدأنا فعلًا بخلط خلطات سحرية في مشروبه الخاص ومن دون أن يتغير شيء من مذاق الشراب .. الرجل يعمل جاهدًا في مختبره من أجل إنجاح كلّ شيء .. تم صنع نفس العيّنة من المواد المخدرة التي بعثتها لنا كانت ذا فاعلية عالية لم أر مثلها من قبل .. لا أعتقد بأنه سيستطيع رد الهجوم عن نفسه مهما بلغ من الذكاء والسرعة .. سيكون فاقدًا للتركيز تماما.

- جيد قم بعملك ووافيني بكل جديد .. وعلى فكرة منظمتك الإسلامية قيد الدراسة وستبرز لها اسمًا إسلاميًا لا يستطيع أحد أن يردعها مهما كانت قوة الأنظمة .. فقط انتظر من عندنا الوقت المناسب للسماح لك بأطلاقها وتجنيد أعضاء أكْفاء لها ليساعدوك على انتشارها .. المهم أن يكون كل شيء تحت السيطرة قبل أن تنطلق الخلايا النائمة وتنفذ مآربها على أتم وجه .. أراك بعد العملية .. نومًا هانئًا صديقي.

انتهت المكالمة بين الطرفين ففرح «السوركي» من ناحية بتعجيل إتمام المهمة بأسرع وقت ممكن وتكدّر من ناحية ثانية بسبب الثمن الذي سيدفعه وهي زوجته .. بسبب مصالح «دانيال» الشخصية امتقع وجهه وتكدّر ذلك الوجه الهرم .. فهو من سيدفع بمن يحبها إلى مضاجعة مجرم جاء من بلد آخر ليلقى حتفه هنا ويذوق من الألم كما أذاق غيره .. هو أخطر رجل عرفه الإجرام لحد الآن .. ولكن «عفرا» بالنسبة له هي «إلهُ العِشق» .. كما يوصفها وجسدها الممشوق ككتاب مقدّس لن يمسها أحد غيره منذ أن تزوجها سرًا، تقدم بتؤدة شارد الذهن وفتح باب المكتب .. وقف يتطلع إلى أركان القصر .. مسح ببصره كل شيء قبل أن يخرج إلى

الحديقـة لا يلـوى عـلى شـئ سـوى أنـه كان غارقًـا في التفكـير.

الفصل السادس عشر

مَشارف حدود بغداد الساعة ٢:٠٠ صباحًا :

كانت أصوات الموجودين تدل على أنهم في سهرة شبه حمراء لو توافرت فيها النساء فهم يقضون بعض الوقت لقتل روتين الانتظار الممل .. المفروض أن يدخلوا الاجتماع المهم بعد زمن يسير .. حيث يتواجد الكبار في مزرعة كبيرة تضج أجواءها بأحاديث وضحكات عالية الجميع حضروا إلا «توفيق الدوري» الذي تعلل بالمرض ولم يثر شكّ أي شخص بسبب ثقتهم العالية به ..

وحيث ينير القمر منها سبلا .. مستمتعين بصفاء الجو وسكون الأشجار .. اكتظت تلك المزرعة بجماعات هم في الأصل شخصيات تجارية وسياسية مهمة جاؤوا لقضاء أمرٍ جلل ولسرّية الأمر لم يرافق أحدًا من الحاضرين أي حارس شخصي خوفًا من اختراق أسرار الاجتماع الذي قد يودي بحياتهم أن انكشف أمرهم .. فلو انتشر خبر هذا الاجتماع إلى المجموعات الاستخباراتية أو رجال من منظمات أخرى تعمل ضدهم فستكون الحرب أو النهاية .. فهو اجتماع مصيري يتباحثون فيها بشؤون التجارة وبعض القضايا السياسية وكيفية إزاحة خصومهم بعدما يئسوا من أمرهم ووصل التفاوض معهم إلى طريق مسدود .. أو منهم من انتهت ورقته وصلاحيته وبات لِزامًا عليهم التخلص منه وإيجاد البديل على الفور.

حيث تترامى في المزرعة الواسعة الحقول ذات الخضرة فكانت النسائم تعابث الأشجار حاملة في حناياها هسيس النبات، وشذى الأزهار والرياحين .. ورائحة شواء اللحوم فكان المظهر يدل على

أنها حفلة عادية .. وليس اجتماعا من العيار الثقيل.

كان اجتماعا مهما من المقرر أن يُقام بعد نصف ساعة حال حضور الرجل الكبير .. الذي يتأخر كعادته زياراته إلى بلدان الشرق الأوسط قليلة باعتبارها دول من العالم الثالث فيكتفي بأن يُرسل ممثلين له ليديروا مثل هذا النوع من الاجتماعات ما يتم إقراره يجب أن يُنَفَّذ في اليوم التالي وبلا تأجيل .. ومن أهم هذه النقاط التي ستُداول في الاجتماع كانت خطة اغتيال «عمران بيك» وتنفيذ انقلاب تجاري في سوق البلد والسيطرة على مداخل الأسلحة وتفجير عدد من مخازن الأعتدة التابعة لبعض المؤسسات المهمة .. وأيضا أضعاف «دانيال» وإبقاءه تحت سيطرة المافيا العراقية .. خطط مُدّمرة لمستقبل الكثير من الشخصيات أن لن تجد من يوقفها فالكارثة ستحل عليهم لا محالة.

خفّتت الأصوات إثر هتاف صاحب المزرعة .. فانعطفت الرؤوس نحوه لكي يسمعوا ماسيقول :

- أيُّها الإخوة سيحضر «السيد العام» بعد دقائق فلنكن جاهزين أيُّها الكرام .. لا نريد إرهاقه بأمور تافهة لقد وصل من إيطاليا اليوم وسيعود غدا .. فأرجوكم تحمّلوا شيئًا من التقييد الروتيني إلى أن يُغادر بسلام .. لا أريد أن أعيد : لا ذِكْرَ لأمورٍ لا تستحق الذكر .. خلافاتكم مع الخصماء ستُحل بيننا أما التهديدات التي تواجه مستقبلنا فهي الأهم الآن ركزوا عليها رجاءًا .. تفضلوا إلى الداخل لو سمحتم رفاق.

دخلوا جميعا حتى فرغت الساحة منهم وكان عددهم ١٥ رجلا كانوا من أهم الوجوه السياسية والتجارية في العراق .. فبقي عدد يسير من الحراس في الخارج وكان عددهم يبلغ ثمانية من أمهر الرجال في القتال.

بعد دقائق وصلت ثلاث سيارات دخلت المزرعة وساروا حتى وصلوا باب الفيلا الرئيسي .. نزل السائق على عجل ليفتح الباب لسيده .. الذي يمثل شخصًا رَبْعَة ضخم الهيكل .. كبير الرأس ومقوس الأنف، ذا لحية طويلة، وعيناه واسعتان جاحظتان فلم يَشُكْ أحدٌ حتى ممن لا يعرفه بأنه «السيد العام» فهو السيد العام الواضح من تصرفاته وحركاته .. بينما اعتبر حراس الفيلا بأنهم محظوظون لمشاهدتهم أكبر شخصية مهمة عن قرب حدث تاريخي بالنسبة لهم ولكن السرّية مطلوبة ومؤكدة .. ولهذا تمت الاستعانة بعدد قليل من الحرس بعد أخذ تعهد منهم بالالتزام التام بالصمت.

كان «السيد العام» ينظر إلى فضاء المزرعة بتكبر .. فأدام النظر إلى الفيلا شزرًا .. ولم ينبس بشيء .. ثم دخل مكان الاجتماع حيث تجلس الشخصيات بانتظاره .. يسير بِخُيَلاء وعظمة فما أن رآه الجالسين حتى قاموا من أماكنهم واصطفوا ليصافحوه بإجلال واحترام كبير لشخصه المهيب .. وتقدّموا إليه بإذلال للتحية وتقبيل يده.

أَذنَ لهم بالجلوس ثم بدأ يتكلم بصوته الخشن وهم ينصتون باحترام بالغ لسيدهم الذي لا يرونه إلا مرة في كل خمس سنين أو أكثر .. يتكلم قليلا ويستمع كثيرا إذا تطلّب الأمر لعقد اجتماع أو مؤتمر .. ثم يصدر قراره بعد تفكير طويل ينصتون بإجلال لكلامه المهم وقراراته التي يتخذها ليُغيّر واقع الحال .. واقعًا سيزلزل البلد لو طُبّقت خططه بحذافيرها فمن سيوقفه إن طبّق رجاله أوامره وغيّروا مسار البلد الاقتصادي والسياسي .. كان يتكلم معهم بلهجة تنطوي على الحنق بالرغم من احتفاظه على هدوءه .. ولكنه كان عظيم التكبر والجبروت فكلما كان يذكُر اسم «عمران» و«دانيال» ينقبض صدره

ويحتدم الغيظ في قلبه .. ويهدد بعجم عود هذين الشخصين وترويضهم على الذل قبل أن يُقتلا.

صار وجهه كالجمان عندما صرخ فجأة بالجالسين :

- أنتم المسؤولون عن هذه المهزلة التي لما كانت لتبرز في وجودي استولَيا على التجارة والأسلحة فلا نكاد نُدخلها حتى يُقبض على رجالنا ويُقتلون من قبل رجال «عمران» الوغد .. أنتم من عملتم على منحه القوة والسلطة بخوفكم هذا .. بل أصبح قويًا أكثر من السابق بعد أن ضعف فترة من الزمن .. أما بخصوص ما يجري الآن من أمور داخل البلد من سياسات بطيئة فلم تُعجب الرأس الكبير في لندن .. علينا أن نجد حلولا جذرية قبل أن يفلت زمام الأمور من بين أيدينا .. لم أكن أعتقد بأن أشخاصًا تافهين سيؤثرون على عملنا وخططنا .. أشخاص ننهي حياتهم بطلقة صغيرة وتنهي كل شئ كان .. لم أكن لآتي لولا أن الأمر يتطلب حضوري شخصيًا.

فأشار إلى أحد الشخصيات بالتكلم .. فاستمع الجميع وساد صمت الثقيل .. بينما الضيف الثقيل جمّد الجميع بنظرات تقطر احتقارا .. كان التوتر هو سيد الموقف .. الجميع يهابه من سرعة غضبه إضافة إلا أنه حادّ اللهجة وفظّ الأسلوب .. بدت ملامحه كأنها قُدّت من صخر وصبغت الغضبة على سحنته لونًا داكنًا كئيبًا وأحاطت محجري عينيه بظلال داكنة.

داخل الاجتماع كان كل شئ صامت وخافت .. فغضبْ «السيد العام» ليس سهلًا .. فلديه إمبراطورية كبيرة من أعمال وشركات وعلاقات مهمة في الخارج .. وسلطته هناك تفوق سلطة الملك نفسه في داخل العراق ..

أما خارج الفيلا فكان كل شئ قد بدا يسير بشكل سيء وسط الهدوء الكبير الذي غشا الحراس .. فالأنفس لا تشتهي أحيانا ما تخبئ لها الأقدار من سوء التدابير.

مجموعة مسلحة ظهرت بغتة وهجمت من الخلف بعدما تخلصت من حارسيّ البوابة .. ثم انسلّت عبر الأسوار وزحفت كالزواحف المرعبة وباغتت الحرس الموجودين من ورائهم وصرعتهم قتلى في الحال وبلا رحمة .. فقد كانت مقاومة الحراس بالرغم من قوتهم ضعيفة جدا وَرَدَّة فعلهم كانت في أدنى مستوى بعضهم بوغت من الخلف ونُحِر .. وبعضهم أَحَسَّ بالهجوم ولكنهم أصيبوا بعيارات نارية في صدورهم فأردتهم قتلى قبل أن يدافعوا عن أنفسهم .. ثم دخلت مجموعة أخرى إلى الفيلا لكي لا تتيح الفرصة للموجودين في الداخل في المقاومة .. ودخلوا المكان بسرعة كبيرة وأجبروا الموجودين على إلقاء أسلحتهم والاستسلام فورًا دون قتال يُذكر .. شرط أن يخرجوا أحياء ولكن الوعود لا تُنفذ ولا تُطبق في مثل هذه الظروف .. فالغدر سيّد الموقف دائما.

اندفع إلى الداخل أكثر من نصف المهاجمين بسرعة .. شاهري المسدسات فأغلقت جميع المنافذ والأبواب ووقف بعض المهاجمين في أنحاء متفرقة من زوايا الفيلا بعد أن تم الاستيلاء عليها..

أما في داخل قاعة الاجتماع فكان الاستسلام واضحًا .. فقد صاح بهم أحد المهاجمين ويبدو أنه من يقود مجموعته :

- الزموا أماكنكم .. وألقوا بأسلحتكم .. المقاومة فاشلة لأن عددكم لن يسمح بذلك .. لقد قتلنا جميع الحرس .. والأولى بكم الاستسلام .. لن ينالكم سوء ما دمتم لا تفكرون بالمقاومة.

فتقهقر الجميع ومن بينهم «السيد العام» الذي كان يريد أن يحافظ على أبهى صورته ويتجنب سوء العاقبة .. قَلّب أحد المهاجمين عينيه فيهم حتى وقع نظره على المطلوب .. فتقدم نحوه فشمل الصمت المكان وعلت الأنفاس وخفضت ولم يجرؤ أحد على الدفاع لإنقاذ حياة سيدهم.

أراد «السيد العام» من منع المهاجم بالتقدم نحوه بحركات من يده تفاداها المهاجم برشاقة فعولج هدفه بلكمات كالمطر .. تقوضت قامته فانهار على الارض لا حراك له .. يتأوه من الألم من جراء الضربة .. كان يحمل من الدهشة مما هو أكبر من الغضب ..

ثم جمعوا باقي الرجال في مكان واحد .. كمن سيُنفّذ فيهم حكم إعدام جماعي وشهروا أسلحتهم بوقت واحد وكسرعة الضوء جُهّزت مخازن الذخيرة وأطلقت النار على الرجال فورا حتى نفذت الرصاصات في الرؤوس والرقاب والأجساد.

حاول « السيد العام « من الاختباء وراء البار بمحاولة يائسة فتراءى شاحب الوجه .. بلون الموت لكن رصاصة نفذت في قدمه ورصاصة استقرت في رقبته وكأن من يصوبها عليه يتعمد تعذيبه قبل قتله حتى بات يصيح بصوت سائب من الأذى ثم رصاصة أخرى من مسلح آخر استقرت في منتصف جبينه فخر صريعا في الحال.

بعدما انتهت مشاهد القتل تقدم أحد المسلحين نحو جثته وانثنى عليها ليتأكد من مقتله ثم نظر خلفه إلى رئيسه ليقول له بصوت مطمئن :

- المهمة انتهت بنجاح .. لقد أجهزنا عليه.

وبعد زمن يسير انسحب الرجال وقد أضرموا النار في البيت الكبير بعد أن جمعوا الجثث في مكان واحد وأحرقوهم شرارات صغيرة من اللهب كانت تجري على جثثهم كأنها فئران حمراء صغيرة تنزلق عليهم .. حتى دارت السنة اللهب وكبرت وتلّوت مسابقة بعضها بعضًا إلى السماء حتى توهَّج الليل الأسود من عظمة النار وقد بدا الهواء نفسه كأنه يسيل من فرط الحرارة وأثاث البيت الكبير يطقطق بصوت أعلى وأعلى .. فاستحال المكان إلى عذابٍ يُجمّد الدماء في العروق تركوا المكان ليغدو محرقة كبرى .. تأجّجت كوحش عظيم تضّم في بطنها رجالًا كان لهم دور كبير في تغيير بلد بأكمله .. حيث كان اللهب يندفع إلى الأعلى ليلعق بطن الليل.

الفصل السابع عشر

لما انتصف الليل أو كاد كان القصر يشمله مناسبة احتفال يقيمها «السوركي» كل آخر الأسبوع سواء بمناسبة أو من غير مناسبة يعربد الضيوف من الرجال والنساء ويسكرون حتى تضحى حفلة ماجنة تلم كل أصناف الفساد الأخلاقي.

كان «عمران بيك» ثملًا منفصلًا عن العالم وكانت «عفرا» تجلس بجانبه تسقيه الخمر وتؤنسه .. ساحرة إياه بأنوثتها الطاغية كان لفمها مذاق العسل والقرنفل .. وكلما كانت تمسح بأناملها الناعمة خدّيه ازداد اشتياطًا ليعبّر عن شراسة وحش كاسر يريد أن يلتهمها حالًا .. فتزيد عليه اشتياطه تكسبه جنونا لا يغلبه أحدٌ في ولعه لها .. مسحت بفخذيها الناعمين فخذ «عمران بيك» حتى هاج وماج ما في داخله من شعور كابت وشهوة لا حدود لها يستعجل الانفراد بها .. لكن بعض أخيلة قامت غشاءً كثيفًا بين رأسه والنعشة التي اكتسته من أثر الشرب .. ثم اختلطت الأخيلة فيما يشبه الموج .. ورقت وتهافتت بغير شعور منه .. فانساب الخدر إلى جفونه ولكنه كان يقاوم بقوة رجل لا تكسره نشوة الشرب والسُكر .. فهو طامع قبل سفره أن يكون غازيًا مملكتها .. ويفتح مدنًا ويسقط إمبراطوريات ولربما يتعذر عليه بعد ذلك من رؤيتها مرة أخرى فصاحبة القد المشوق مُلكٌ لخنزير تافه ولو كان بيده لقتله .. وكان يشعر بطراوة ثدييها البضيّن المضغوطين بين حاملة نهديها .. كانت كلما تحاول أن تتحرش به وجدت أصابعها تلمس أزرار ثيابه لتحلّها .. يمنعها قليلًا ثم يتركها .. فكانت في الحقيقة رائعة لدرجة أنه استسلم لقدره.

همست له بإغراء بعد أن رأت من بعيد إشارة خضراء من «السوركي» بأن تبدأ معه مشوار الخطة .. فتظاهر الأخير بأنه مشغول مع عدد من الضيوف فخرج إلى خارج القصر برفقتهم ثم مالت على أذنه وهمست بصوت ناعس :

- «السوركي» خرج وسيتأخر .. نحن غير ملزمين أن نبقى مع هؤلاء فهم ضيوفه هو لا أنت .. وكما ترى أنهم سكارى وزوجاتهم في أحضان الغير يستمتعن بالحياة .. إن اختفينا فلن نثير إية مشاكل فالجو هنا مبارك من الشيخ «السوركي» فلا داعي للقلق.

ضحكا بصوت عالي حتى مسك بطنه ودمعت عيناه من سخريتها ثم قال :

- اللعين كيف حصل عليك .. ربّ الجمال والسموات والأرض لم يخلقكِ لكي تكوني جارية عنده.

استاءت هي من جملته فبان الامتعاض يغزو وجهها ثم أردف غير مبال بامتعاضها :

- بل خلقك ربك لتكوني أميرة على مملكتي وعرش رجولتي فلماذا لا تعودين معي إلى العراق .. حيث وطنك.

- العراق لم يهبني سوى الاضطهاد كيهودية .. هيا لا تنغص علينا جوّنا الجميل .. هيا لننسحب من هنا وبلا استئذان من صاحب المكان .. إنني توّاقة لرؤية ماستفعله بي رجولتك من معجزات .. قَلَّ فعلها لرجال من هذا الزمان.

قامت وانتصب جذعها الرشيق ثم مدّت يدها له ليقيم نفسه فسحبته بقوة مذهلة اثبتت فيها قوتها الغير متوقعة مع «عمران بيك» رغم ثمالتها .. وقف يترنح مدهوشًا من سحبتها له

انتصب وتوازن بعد ترنح ثم قال ضاحكًا بصوت عالي وسط صخب الموسيقى وضحكات السكارى :

- سكران صح .. ولكني سأظل رجل في أوج عظمتي .. أنا البرنس وسأظل البرنس الذي لا يُقْهَرْ .. أنا غضنفر لا يُقْهَرْ سيّد «بيت القاضي» .

ضحكت ساخرة وقالت :

- لنرى لأي ساعة سوف تقاوم أنوثتي أيُّها السبع.

- إلى الفجر .. حتى يأذن الله للشمس بالشروق.

- ولكنك على سفر والراحة واجبة.

كانت تريد أن تجس نبضه لا أكثر .. فأردف بتكبر :

- أنا «عمران بيك» لا تقلقي .. ثم سأنام في الطريق .. أَوَليس برفقتنا سائق يسوقنا إلى سيناء ؟

فقالت مؤيدة :

- نعم لدينا حمار يقودنا إلى النار.

- إذًا أنتِ لي «سحبها نحوه مطوقا خصرها العتيد بيديه» الليلة حتى الصباح.

أطلقا ضحكة عالية مجلجلة فتأبط ذراعها وهما يمشيان بترنح متكئين على بعضهما البعض .. ثملين نحو غرفة النوم في الطابق الأول من القصر.

دفعته على السرير .. فجلست إلى كرسي في مواجهة رقدته جلست واضعة ساقًا على ساق وبدأت تخلع حذائها وهي تنظر إليه مثبتة درجة إغرائها كمن يقضي على مقاومته ويختبر قوته نزعت

جوربها فتكشف عن عُري وركها الفاتنة ثم ساق ألقة تنادي لعق لذتها، رمت جوربها ناحيته فسقط على الأرض قبل أن يأتيه ثم نزعت جوربها الآخر .. وهي ترفع ساقها الممشوقة الملتمعة تعري وركها وركبتها ثم ساقها وقدمها فتلهب ظهره بشهوة تحيله عبد سيدته المتغنجة لم يكن «عمران بيك» يُصدق ما يراه .. وهي تلف بأصابعها إزرة قميصها حتى وصلت إلى طلة ثدييها وفتحة مشقوقة كنهر لذة بين نهديها .. مكتفية ببروز تفاحتين من دون أن تتدليا من صدر جارية يهودية تُغري سيدها كي يقطف بفمه عنب ثديها فأقسمت أن تقضي عليه تماماً بقفزها على السرير ..

تقبله محمومة تسعى إلى محموم .. يفعل ما أَمَرَهُ به شهاب جيدها العاري.

كان النعاس يكتنف دماغه من شدة السُكر .. ولكنها كانت تحافظ على أن تبقيه مستيقظًا فلا يفصلهم عن الفجر غير ساعة من الآن فالمحلول وظيفته أن يُبقي من تعاطاه سهرانا رغم التعب ولا يستطيع النوم حتى الفجر .. انسلّت إلى جواره تحت الغطاء وتحسّست بيدها إلى ما بين ساقيه لتتأكد من أنه منتصبا فاطمأنت على ليلتها .. فباغتها فورا وارتبكت من صعوده عليها وقد اتسعت عيناها فلاح بياض قزحيّتها الشّديد.

الفصل الثامن عشر

ولَّى ظلام الليل وانعكس الضياء الوّضاح على سماء الأفق فانتظمت صفوف السيارات الفاخرة في القصر .. خمس سيارات متشابهة في النوع وبألوانها الأسود القاتم.

كان «عمران بيك» قد أعياه تعب الليلة .. و«السوركي» يمشي بمحاذاته يرمقه بين حين وآخر بنظرات حاقدة .. وقد تأكد بأن ضيفه قد استنزف كل قواه وبأن تركيزه بفضل المواد المخدرة التي تناولها مع المشروب الروحي قد اضمحَلَّ بعد أن زادت شهوته بفعل المواد المخلوطة وأنه سيحتاج على الأقل يومين لكي يعود إليه القليل من التركيز .. ولكنه لن يؤجل قتله إلى اليوم الآخَر كان ينتظر هذه اللحظة منذ أن ضاجع الكلب زوجته سيتخلص أولًا من رجاله ليصعقهم بموت فتّاك شامل .. وبعدها يهشم رأس سيّدهم «عمران بيك» ببلطة يحتفظ بها في قصره ولا يستعمله إلا للأشخاص المهمين .. ويغتالهم بها سالبًا كل شئ جميل من حياتهم .. سوف ينطلقان إلى قصره في بادئ الأمر لكي يُغير الحُرّاس الشخصيين بغيرهم أكثر نشاطًا ويغير السيارات ومن ثَمَّ ينطلقون إلى الصحراء حيث سيناريو الاغتيال جاهز ولا ينقصه سوى التنفيذ.

كانت «عفرا» شبه نائمة ولكنها بكامل وعيها .. جالسة في المقدمة تراقب من ضاجعته بجنون بعين الشفقة والحزن ولكن عليها أن تنفذ الأوامر وحسبها أن تعيش مدللة كأميرة في كنف سيّدها .. فكلما تذكرت أيام الفقر كانت تخاف ولهذا فكل شئ وارد في قاموسها لكي تعيش في رفاهيتها فهي .. ما زالت في بداية

شـبابها صغـيرة .. عليهـا أن تبقـى في الكوكبـة الأثـيرة وتحـرص عـلى مـزاج سـيّدها.

«السـوركي» لا يريـد للمـوت أن يتدلـل كثـيرا .. فيكفـي أنـه تـرك البيـك يضاجـع زوجتـه ليلـة بأكملهـا .. ممـا زاد مـن حنقـه لقتلـه وبيديـه شـخصيًا .. وبـلا رحمـة.

*****

وبـدا سـور القـصر في سـيناء وبواباتـه الرائعـات تتصاعـد مـن وراء الأرض فبـدا الجـلال وعظمـة ونفـوذ المـكان الـذي يملكـه «السـوركي» فيهـا مسـلحين بأجسـاد ضخمـة وعضـلات مفتولـة فأنبـث في نفـس «السـوركي» نشـوة طـرب وهـو يراقـب خلسـة «عمـران بيـك» فاقـدًا قوتـه وعـدم سـيطرته عـلى الحـراك بشـكل تـام اهتـزاز السـيارة المتواتـر منحـهُ الرغبـة في الاسـتكانة أكثـر .. لـو لم يفعـل مـا فعـل بـه فإنـه مـن الصعـب التخلـص منـه بغـير الوصفـة السـحرية التـي بعثهـا لـه سـيّده «دانيـال» إنـه فعـلا ذكـي؛ فـ«عمـران بيـك» رجـل سـجّل في عـالم المافيـا والتجـارة والطغيـان أكـبر وأشـهر ملاحـم الجرائـم تشـهد لـه أكـبر شـخصيات المافيـا العالميـة.

كانـت الرطوبـة الليليـة المتأتيـة مـن المنـاخ خفّـت كثـيرا .. وخلّفـت جـوًّا معتـدلًا لطيفًـا والسـماء صافيـة الزرقـة والشـمس مشرقـة تغمـر آشـعتها كل شـئ عـلى المـكان وبالفعـل تـم تغيـير السـيارات والرجـال بسـيارات بيـض ومـن النـوع الفاخـرة ومـن طـراز واحـد .. ورجـال تـم تغييرهـم بآخريـن أكثـر نشـاطًا .. ولم ينتظـر «السـوركي» طويـلًا حتـى انطلـق الموكـب مجـددا يقصـدون الصحـراء.

وصلـوا الصحـراء «أرض الفـيروز» التـي تخلـو مـن الحيـاة .. منقطعـة تمامـا عـن العـالم لا يصلـه حتـى الذئـاب مـن شـدة الحـر والقيـظ

فقط أناس محددون يصلونها لإتمام صفقاتهم المشبوهة.

بينما كانت هناك سيارتين تنتظر الموكب الذي وصل إلى المكان فتراصّت السيارات أمام السيارتين .. ونزل كل فريق من سيارته تشملهم الرهبة والهيبة بأناقتهم وضخامة جثثهم التي كانت كجثث الوحوش .. لم يكن «عمران بيك» على استعداد لكي يقاوم التعب ولكن كبريائه أبى عليه أن يؤجل الموعد خشية أن يُقال عليه بأنه ضعيف.

عندما ارتجل من السيارة كان منهك القوى تماما .. فهرع إليه رجاله حالما وجدوه على إرهاقه وهو يترجل من السيارة متكئا على يد «السوركي» فأوقفهم الأخير بإشارة متعجرفة من يده وأمرهم بالتقهقر في الحال وإلا فسيلقون مصيرا لا يُحمد عليه فزع الرجال وفوجئوا بهذا التصرف الغريب .. فأدركوا بأن الأمر كمين مدبّر لكي يتم اغتيال رئيسهم .. وأيقنوا بأن كل شئ هو تمويه ولا أساس لصفقة السلاح .. والغرض كله هو لكي يتم القضاء على «عمران بيك» بطريقة ذكية لم تخطر على بال أحد في صحراء بعيدة لا يصلها أحد .. فيسهل قتله .. ولكن للأسف الإشارة وصلت متأخرة جدًا وقد فات الأوان الآن.

وما إن حاولوا الدفاع والقتال ونجدة رئيسهم حتى تم إطلاق الرصاص عليهم من الجانبين .. فحصدتهم كالهشيم وأرداهم الرصاص صرعى في الحال.

«عمران بيك» رغم وهنه انتبه للأمر ولكن ردة فعله الضعيفة لم تساعده في أن يقاوم شرّ الكمين .. وما أن همّ بأن يُخرج مسدسه من الكراب حتى عاجله «السوركي» ببلطته الحادّة وهوى بها على رأس غريمه .. بسرعة القاتل المحترف فأطاح الضحية أرضا .. وتفجّر منه الدم كالينبوع وثنى بضربة ثانية أقوى من سابقتها فوق العين

اليسرى .. حتى حطّمت عظامه وتناثر مخه في حالة بشعة فكانت مأدبة دموية شفّى بها «السوركي» غلّهُ من الرجل الذي ضاجع زوجته وجعله يشعر لأول مرة بأنه قوّاد رغمًا عنه.

فَوَجَّهَ إلى الجثة طعنات مجنونة لم تسلم العين والفم والأنف والخدّين والصدر منها .. فمزّقه أشرّ تمزيق وأغرقتها في بحر من الدماء .. ضحك بها «السوركي» ضحكة المجنون الذي أسَرَه المنظر الدموي فأمر رجاله بإحضار «عفرا» التي أكلها الرعب من مشهد القتل .. لم يخطر على بالها قط بأنّ زوجها رغم سِنّه الكبير لديه هذه القابلية من الوحشية على القتل .. جلبها أحد الرجال الأقوياء إلى مكان الحادثة .. يجرّها بقسوة وقوة حسب أوامر زوجها .. وعندما وصل الحارس إلى سيّده دفعها بقوة تحت قدمي سيده التي كانت يداه مضرجة بالدماء فصرخ بها كمن فقد عقله :

- لن تسلمي مني إن حاولتي خيانتي .. ولو فكرتي بالفرار فستكون البلطة مغروزة في رأسك إن صحّ ما أتوقعه.

ثم صاح برجاله :

- ادفنوهم في حفرة لكي لا يجد أحدٌ أثرًا لهم .. ولنعد قبل أن يحلّ المساء..

ثم فكر لحظة وقال :

- أو ارسلوا الجثث لتتمتع بها عيون احبائهم.

وهمّ الرجال بجمع الجثث بأقصى سرعة حسب الاوامر وركب القسم الآخر مع سيدهم في سياراتهم .. وانطلقت بهم بسرعة تنهب الأرض نهبًا.

البيت الثاني

- العرّاب الآخير-

الفصل الأول

بغداد

وانقضى من الدهر أعوام على اغتيال« العراب» .. الأكثر شراسة عرفته الأوساط بكافة طبقاتها آنذاك .. وانطوت حياته إلى الأبد فتأثرت باغتياله «عائدة خانم» و«أشرقت» التي جنّ جنونها عليه وأقسمت بالانتقام له حتى ولو بعد حين .. وتأثر الكثيرون حتى ممن كانوا يمقتونه .. لأنه كان رغم شرّه فقد كان أرحم عليهم ممن جاؤوا من بعده مستغلين غياب الأسد بكل حقارة وحقد دفين بعدما كانوا يدّعون النزاهة فأثبت الدهر أنهم سُرّاق ومرتزقة وعبيد للغير.

أما «جاهد بيك» فكانت فرحته لا حدود لها فأزدهرت تجارته وأصبح من أبرز وأهم الوجوه التجارية في العراق بفضل «دانيال» ولكنه لم يكن قوي الشخصية أمام الأخير .. أي إن صحّ التعبير « تابع له » .. وينفذ مخططاته على أتم وجه .. ولم يكن مسيطرا على سوق الأسلحة كما كان في عهد «عمران بيك» وكان مُعرّضا لمنافسات كثيرة في الأسواق ومشاكل مع أنظمة البنوك المحلية والعالمية الذي كان يتعامل معهم .. كان فاقد الهيبة .. وكانوا بقية التجار الكبار يتمنون لو يزيحوه بأي طريقة .. ولكن الأمر الوحيد في هذا الشأن كان «دانيال» الذي كان يُطيل من عمر «جاهد بيك» لغرض معين وأسباب يعلمها هو فقط.

تغيّرت الأوضاع في البلد تماما نتيجة تغيّر السياسات الحكومية الضعيفة .. فقد كان حال رجال المافيا قد بلغوا في طغيانهم وإقطاعهم في العراق مبلغًا عظيمًا فأصبحوا يعاملون الفقراء كعبيد

واستشرى نفوذهم حتى في مؤسسات الدولة .. حتى أصبح الحديث في السياسة ممنوعا منعًا باتًا .. تغيّر حال البلد كثيرًا وتمنى الناس لو يرجعون إلى العهد السابق فالخير فيه كان أكثر رغم الفقر .. اغتيالات الشخصيات التجارية والسياسية لم تتوقف بل أخذَت تتسّع اكثر .. حتى الملاهي الليلية والمغنيات فيها أصبحن حكرًا على فئة معينة من المافيا التي باتت تتشعّب خيوطها في كلّ شيء.

وكان «جاهد بيك» يحاول دائما أن يحتمي تحت ظلّ «دانيال» لا يهم لو يضحي قليلا بكرامته المهم أن لا يهدده أحد في مركزه أصبح سقوط وإفلاس التُجّار أمرًا طبيعيًا في هذا الزمن .. وعليه أن يحذر من كل الأمور التي قد تؤدي إلى خسارة ما يملك وما بناه طيلة فترة حياته من ثروة عظيمة.

كانوا أقربائه اللذين هم شركائه أيضًا في التجارة يحثّونه بشتى الطُرق على ترك تجارة السلاح والتركيز فقط على التجارة العادية لأن الدولة الان اصبحت تسنّ قوانين قاسية قد تؤول بهم إلى الإفلاس .. فكان رفضه قاطعًا لأنه يعلم أنه لا يستطيع اتخاذ القرار بدون موافقة واستلام أوامر كهذه من «دانيال» المسؤول عن إدارة التجارة في البلاد .. فهو يسيطر على أغلب المرافق المهمة ويُسيّرهم كما يُطلب منهم .. وإن انشق أحدٌ عن طوعه فمصيره كمصير «عمران بيك» الذي أفزع بمقتله أغلب المنافسين في السوق وباتوا يتحسّبون لتصرفاتهم الف حساب.

*****

أما «محمود بيك» فقد كبر ودخل عالم التجارة وتوسعت نشاطاته وأيضًا تعلم ألاعيب تجارة الأسلحة بفضل ما يتمتع به من ذكاءٍ حاد وشجاعة كبيرة .. وقاد شركة العائلة بكل ثقة وكبرياء إلى

نجاحات لا يُستهان بها .. وأصبح الخطر الجديد الذي يهابه الجميع وكانت تدابير التخلص منه مستمرة في الخفاء وعلى قدم وساق.

حيث في إحدى الأيام كانت سيارة تقف بانتظاره بينما هو ينزل من سيارته برفقة سائقه متوجهًا إلى الشركة .. حينما دارت في مكانها دورة مجنونة ثم اقتربت من محمود الذي ألقى بنفسه خلف إحدى السيارات مُحْتَمِيًا بها .. قبل أن تُطلق عليه عيارات نارية كانت كفيلة بتفجير سيارتين في نفس المكان ولحسن الحظ خرج «محمود» سالمًا .. وبعد أيام أُلْقِيَ القبض عليهم من قبل رجاله وتم إعدامهم خارج حدود بغداد.

وكان «محمود بيك» في ريعان شبابه .. بشرته سمراء .. حَبَتْهُ الطبيعة طولًا فارعًا .. وقدّا نحيلًا دقيقًا وكان صدره عريضًا ومتينًا ينطق وجهه المستطيل بالنضارة والجمال الفائق ووسامة رائعة عيناه السودتاوان تدلان على الصفاء والحسن وأنفه المستقيم الأشم بالقوة والتناسق فهو من الوجوه التي أودعتها الطبيعة جلالها وجمالها معا .. يرتدي بدلة سوداء وقميص أبيض ورباط عنق أسود قدّت على صورة جسمه الرشيق ملك مالًا كثيرًا وأصبح صاحب مُلك وفير قياسًا لسنه الصغير .. وتعلم لعبة التجارة في فترة وجيزة وأثبت مدى ذكائه وخطورته في المستقبل في عالم المافيا والتجارة.

كلما كان يتمشى في حديقة القصر كان يتطلع إلى مكان جلوس «عمران بيك» وبعينين مشوّقتين جرى فيهما الحنين كان عظيم الحماسة قوي التصميم وكان دائما يُطمئن والدته التي زادتها الكِبَرُ جمالًا وبهاءًا وبرجاء مؤثر يقول لها :

- لاتقلقي علي مادمتُ ابنك وما دُمْتِ راضية عني «فالله خيرُ حافظ».. ولكنها كانت دائمة القلق عليه وتصر بأن يكون

تحت أعين حراسة مكثفة أينما حل.

كان صدره يضطرم بالحنين فأحسّ وهو في بداية حياته بلذة الشباب تزداد في داخله كثير العلاقات بالنساء ولا يكترث لقيمة الهدايا التي يُقدّمها لهن.

الفصل الثاني

سمعت عن ذكاءه كثيرًا حتى جاء ذات اليوم الوقت المناسب لتراه بعد أن تأكدت من حكمته وقوة شخصيته التي كان يتمتع بها رجل واحد فقط من بين الرجال وهو «عمران بيك» كانت معجبة به وترى فيه صورة عشيقها المغدور ينقصه فقط بعض القسوة ليكتمل ويهابه الجميع كما كان حبيبها.

لم تتزوج إكرامًا لذكراه ولكنها كانت تُقسم في كل لحظة على أنها ستنتقم من قاتله .. تقدّم بها العمر ولكنها ما زالت فاتنة وذكية جدًا وتعرف من قتل حبيبها .. أنقذَت حياة قاتله لقاء أن يترك عشيقها بسلام .. قتل «دانيال» من كانت تهواه بجنون ..

عندما سمعت بـ «السيد العام» قد حضر إلى بغداد ليخطط لمقتل «دانيال» وخطط تتلخص في التخلص من بعض رجال الدولة وبأمر من جهات أوروبية عُليا .. فعلت كل ما بوسعها لتتفق مع الأخير على النيل من الضيف الغير مُرّحب به .. الذي دخل العراق بِاسم مستعار وطبعا لم يكن أحد يعلم بذلك سوى عدد يسير من أهم الشخصيات التي كانت تنتظر تغيير مسار البلد على خلفية زيارته.

فعملت على أن يبقى حبيبها بأمان من المؤمرات التي كانت تُحاك ضده .. كانت تعرف مدى قدرة خصمها على الإطاحة بالأعداء وحبّه إلى منافسة الجميع سياسي كان أو تاجر كبير..

فتخلصت بخطة مُحكمة من الضيف الثقيل .. لكي يبقى «عمران بيك» قويا يسانده «دانيال» من كل عواقب السوء التي ستواجهه بسبب قسوته .. فالمؤامرات زادت عليه مؤخَّرًا .. ولكن « دانيال »

كان نـذلا كـما كانـت تعهـده فاغتـال عشـيقها وتخلـص في الوقـت نفسـه مـن عـدد كبـير مـن أهـم الرجـال في الدولـة لكـي يؤمّـن لنفسـه مكانـة بـارزة في البلـد .. ويقـضي حياتـه الباقيـة بأمـان مـن الخصـوم.

حـان الوقـت الآن للقـاء بـه ابـن العشـيق بالتبنـي تمنحـه ثقتهـا ويمنحهـا ثقتـه لكـي تعـود الميـاه لمجاريهـا .. فـلا مانـع مـن أن تعشـقه ولـو لليلـة واحـدة تجلـس معـه وتتطلّـع الى عينيـه .. تحميـه ويكـون مسـتظلا بظلهـا فهـو بحاجـة لقوتهـا حتـى وإن رفضـت «عائـدة خانـم» تلـك الفكـرة .. فـلا يهـم «أشرقـت» ذلـك إنهـا لا تأبـه بـأي شـئ.

وحانـت الفرصـة لتدعـوه لزيارتهـا في قصرهـا الفخـم وافـق بعـد تفكـير قصـير .. فالرسـول الـذي ذهـب إليـه كان شـخصا ذكيًـا جـدًا ويجيـد أسـلوب الحـوار ببراعـة .. أَقنَعَـه في وقـت قصـير بـأن يلبـي طلبها وإن رفـض محتـوى الفكـرة فباسـتطاعته أن يتخـذ قـراره بـكل أريحيـة وطيـب خاطـر .. ويـصرف النظـر عـن الدعـوة بـل وأنهـا سـتتعهد لـه بعـدم الاتصـال بـه بعـد اليـوم .. فالسـيّدة لا تحمـل في قلبهـا لـه إلا كلّ الخـير .. كان الـكلام قانعًـا وكافيًـا بـأن يوافـق الشـاب عـلى لقاءهـا.

فاللقـاء سري للغايـة ولـن يعلـم أحـدٌ بذلـك .. لأن الرسـول سـيوصله بطريقتـه إلى القـصر وبـكل سرّيـة لإخفـاءه عـن العيـون التـي تراقبـه وبعـد اللقـاء سـيرجعه إلى مسـكنه وبسرّيـة تامـة أيضـا .. خوفًـا عليـه أولا .. وثانيًـا للمحافظـة عـلى سرّيـة الموعـد واللقـاء.

وفي رونـق الضحـى اسـتقبلته .. كانـت تعلـم بأنـه سـيقبل وسـيأتي «أشرقـت» داهيـة في قـراءة أفـكار الرجـال وفـرض شـخصيتها عليهـم ولكـن ليـس أي رجـل يحظـى بلقاءهـا في قصرهـا ..

كانـت ومـا زالـت تحتفـظ برونـق جمالهـا ونضارتهـا التـي تشـع كالنـور في السـماء .. هـي كـما هـي رغـم بلوغهـا سـن اليـأس.

فتغديا معًا وقدّمت له بيديها قدحًا مُتْرَعًا بنبيذ مريوط .. فكانت تريد بذكائها البارع أن تمهد له الحديث في الموضوع الذي سيغير كل الأوضاع في عالمهم الكبير .. فانتظرت حتى يُكملا الغداء ويجلسا في باحة حديقة القصر الواسعة وتُفضي له بما يشعل صدرها ويُعذب وجدانها .. ثم جاء وقت كلام الجّد فقالت بعذوبة وهدوء :

- شاب قوي وجميل مثلك تتمناه كل أنثى ألم تفكر في أن تتزوج ؟

نظر إليها بعينيه الجميلتين وكأنه أصابها في قلبها بسهم لا يرحم من نظراته المثيرة :

- الحقيقة أفكر بالزواج .. ولكن لا أريد التسرع بهذا الموضوع فهو حسّاس جدًا.

- لو كان والدك حيّا لسألك نفس سؤالي.

- أعرف ذلك .. وإني لأعترف بأني فقدت شخصًا مهمًا في حياتي.

- هل حاولت بعد أن توليت منصبك في شركات العائلة أن تجد قاتل والدك ؟

- قاتله ؟

- نعم عليك بالرأس الكبير الذي أعطَى أوامر باغتياله وجرّه بعيدًا عن بغداد لكي يقطعوا عليه سبيل النجدة وأمل الحياة لِمَ لا تحاول أن تجده ؟ وخصوصًا أنك ذكي وتملك رجالًا يكفون لتحرير دولة بأكملها .. دم والدك لم يجف رغم الأعوام التي انقضت قاتل والدك ما زال حُرًا طليقًا وعليك أن تنال منه ومن ثم ممن ساعدوا القاتل في قتل والدك.

- ما ان أجده لن أرحمه سوف أمزقه كما مزّق جسد والدي.

- وماذا لو كان الرأس المدّبر أقوى منك ؟

- أعلم بأن هناك الأقوى مني في هذا البلد .. ولكنهم معدودين جدًا .. والتخلص منهم ليس صعبًا فأنا أعرف نفسي وأثق بقدراتي جدًا .. ومَن قتل أبي سيدفع الثمن حتى ولو كان الملك نفسه.

عندما رأته بِأَوُجٍّ ثقته وشجاعته أعجبت به أكثر ففار تنورها ووجدانها .. رغم سنّها وتمنت لو تلقي نفسها بين أحضان هذا الشاب ويحرقها لهيبًا وعنفوانًا .. فضحكت ببراءة وحيته على كلامه الشجاع حتى دنت برأسها وحرّ أنفاسها الجميلة بدأ يلفح وجه الشاب حتى التصق رأسها برأسه وبدأت تداعب خديه بجرأة غير متوقعة .. وتمرر بأناملها الرفيعة على شفتيه حتى جعلته يستسلم بعد أن أخذته المفاجأة ولكنه لم يرفض ما أقدمت عليه السيّدة ثم بغتة ابتعدت عنه .. فطاش به الهوى وانتفض مستيقظًا مشتتًا من فعل أنوثتها وغمرة النشوة رمته بنظرة لا ترحم ثم مهدت لتفاجِئه بهدوء وهي تضع الثلج في كاسه وتملؤه بالويسكي :

- أنا أعرف من اغتاله غدرًا .. «قالتها وهي تناوله الكأس بهدوء».

تغير كل شئ الآن .. ذهب طيشه وفاق على ما قالته فاستعَرَّ على الفور في نفسه على إثر كلامها ثورة دموية فاهتاج غضبا وقال بحنق :

- من ؟

- «دانيال».

صمت وسكن معه العالم لفترة وجيزة وفجأة قال وكأنه خرج

مـن غبـار المـوت في لعبـة المـوت التـي لا تنتهـي :

- كيف أعرف صدق ما تقولين ؟

عبـس وجهـه حتـى بـدت كلّ ملامحـه نافـرة وقـد بـرز عِـرق رقبتـه فأردفـت :

- لقـد كنـت أريـد دائـما أن يكـون والـدك هـو الأقـوى .. ودائـما كنـت اسـانده بـكل شـيء ولكـن عنـاده أضاعـه .. في السـنوات الأخـيرة ضعـف بسـبب تغـيّر وضـع البلـد وبـروز رجـال سياسـيين وتجـار مـن مختلـف العوائـل .. وتقريبـا قـلّ شـأن والـدك ولم يعـد باسـتطاعته أن يكبـح منافسـيه «دانيـال» التقفـه مـن شرّ التجـار وبعدهـا كسـب ثقتـه وخطـط لاغتيالـه عـن طريـق شراء صفقـة اسـلحة مشـبوهة بغيـة بيعهـا في العـراق .. والـدك بعنـاده أصرّ عـلى أن يتمـم العمليـة بنفسـه فاسـتغل «دانيـال» الفرصـة فأمـر رجالـه بـأن يتخلصـوا منـه في صحـراء سـيناء .. ولـو سـألتني لماذا لم يقاوم مع رجاله أجيبك بأنه كان مُخدّرا قبلها بليلة ..

كان وقـع الكلـمات قـد زادتـه غضبـا .. والنـيران المسـتعرّة تتحـرك في داخلـه بهمجيّـة وحُرقـة .. فجـرى الـدّم الحـار في عروقـه فوضعـت يدهـا عـلى سـاقه مـرددّة :

- لا تقلـق لا تقلـق .. لـن أَدَعَـهُ حيًّـا مادمـتُ حيّـة .. سـنقتله نحن الاثنين.

ومسّـت أصابعهـا فخـذه بخفّـةٍ شـديدة مقدّمـة لـه أنعـم الوعـود وأضافـت :

- فالمسـألة لا تخصّـك وحـدك أنـت .. والـدك كان أقـرب النـاس إلي فكيف أترك ثأره يا عزيزي.

وصعدت يدها إلى وجهه وشَعره وهي تواصل :

– لن يمسّك أحد بسوء .. سأحافظ عليك يا ابن العزيز.

الفصل الثالث

شـقّ الظلـماء بسـيارته مُسْرِعًـا يمخـر سـكون الكـون بجنـون قيادتـه ثمـلا .. والنجـوم سـاهرة يقَظـى تراقبـه بأعـين لامعـة .. كان الغضـب يتأجـج في صـدره متلهفًـا عـلى الانتقـام دخـل مـن بوابـة القـصر بعـد أن فتـح الحـراس لـه البوابـة .. كان كل همـه أن يلقـن القتلـة درسًـا قاسـيًا وأن يكونـوا عـبرة لـكل مـن يريـد المسـاس بسـمعة وسـيادة «عائلـة القـاضي» التـي كـبرت وأصبـح اسـم العائلـة تلمـع في كل ءمـكان .. معروفـة بالغنـى والنسـب المُشرّف وسيتسـاقط كل مـن يفكـر بإيذائـه أو إيـذاء والدتـه كأوراق الخريـف اليابسـة هبـت عليهـا ريـح عاصفـة.

كيـف للبـشر أن يُظهِـروا تلـك القـدرة عـلى التلّـون .. ؟ يُصاحبـك ثـم يتآمـر عليـك !

عـن نفسـه فهـو لا يسـتطيع فعـل ذلـك .. رغـم تلّونـه حسـب الظـروف كالانبسـاط رغـم الضيـق وإلى الجدّيـة رغـم التهتـك .. وأن يُحافـظ عـلى وقـاره حتـى عـن الثمالـة .. فكأنـما تاهـت وماهـت النفـوس عـن فطرتهـا ليتحولـوا إلى وحـوش آدميـة تفتـك بـكل شـئ .. فيفضـل أغلـب الأوقـات أن يُحـيّر الجميـع بصمتـه .. يخطـط بصمـت لدرجـة يسـتغربون صمـت المتكلـم الكلاّمـة .. وهـو يسـتغربه تلونهـم في الحيـاة هـو كـما هـو .. لا يوجـد شـيئًا متوحـدًا بـين الدُرْبـةُ وحـذق ملبِّـي بعض مـا تمليـه عليهـم أنفسـهم الشريـرة .. هـو شـخصٌ واحـد ولـن يتغـير.

ارتقـى السـلالم متوجهـا إلى غرفتـه فخرجـت عـلى إثـر صـوت مقدمـه والدتـه وخرجـت تسـتقبله وهـي متوتـرة وقلقـة عـلى فـترة غيابـه المفاجئ فنادتـه بسرعـة :

- حبيبي أين كنت هذا اليوم ؟ ألا تلتزم ولو يومًا بوصية والدتك ونصائحي لك ايها الصغير المدلل.

تدفق الدمع من بين عينيها فتأثر الشاب .. توجه إليها بهدوء وقف أمامها وكعادته وكما تعلمّ من الأدب الرائع لثم جبينها ثم يدها يُهدِّئ من روعها ثم قالت بحنان :

- قلقت عليك أين كنت ؟

- سأخبرك فيما بعد كنت في عمل مهم تطلب مني التأخير فلم أكن أتوقع عمل اليوم سيأخذ مني كل هذا الوقت.

ثم استأذن منها متحجِّجًا بالتعب وتوجه فورًا إلى غرفته ولكنها لم تتوقف عن قلقها ثم وجدت نفسها تسير نحو غرفتها والخوف لا يفارق مقلتيها .. ابنها يواجه مشاكل ورثها من هذه العائلة التي تورطت في أمور كثيرة في معركة ترتفع فيها النصال ويُطلق فيها الرصاص لكنها تسعى جاهدة على حمايته وحيدها الذي خرجت به من هذه الدنيا البائسة.

*****

فما إن ارتفعت الشمس في الأفق وأرسلت نورها إلى المدينة حتى رأى منظر القصر مهيبا وضاء وجوه العاملين فيها يعملون بكل دأب ونشاط .. يبثون الحياة في أرجاء القصر كأنهم يستقبلون يوم العيد فنزل «محمود بيك» كعادته ليشارك والدته فطور الصباح فتفاجئ بـ «جاهد بيك» حاضرًا على غير عادته استغرب حضوره .. وحاول جاهدًا على مضض على ألَّا يظهر على وجهه شئ من الوجوم والقلق .. حياهما بابتسامة جميلة وصافح جده وجلس بجانب والدته.

كانت عيناه تمسحان وجه «جاهد بيك» .. يعلم أنه قد جاء

لأمر جلل .. ساد صمت قصير وتظاهر «محمود بيك» بالأكل حتى انبرى «جاهد بيك» قائلا :

- ما سر لقاءك بـ «اشرقت» ؟

لم يثر السؤال رد فعل قوي على وجه «عائدة خانم « وأدرك على الفور أنها قد علمت من والدها كل تفاصيل لقائه بالسيدة ألا تفاصيل الحديث .. لكمهُ جدّه بالقاضية ولكنه تماسك لينهي الجولة بسلام معه .. وفضّل أن يقول ولو شيئا لكي يخفف من حدة التوتر :

- كانت تريد أن تشاركني في عدد من المشاريع التي تُدار في أوروبا .. وأنا بدوري لم أقتنع فرفضت طلبها وأنهينا الموضوع كله بكل سلام.

حدجته «عائدة خانم « قائلة :

- «أشرقت» لديها ما يكفي من شركات في جميع أنحاء العالم ولا تحتاج إلى شراكتك .. جدك يقول أنك ذهبت لأمر آخر أما لما لم تخبرني فهذا أمر آخر .. اه على فكرة حبيبي رجالي كانوا يراقبون كل شئ من أول زيارة للرسول إليك حتى آخر لحظة تركك فيها أمام بوابة القصر.

أطلق ضحكة وكأنه يسخر من نفسه .. ولكنه أثار حفيظة «جاهد بيك» .. كلامها شقّ نفقًا في هذا الصباح .. ثم قال بصوت صريح :

- لا أعتقد أنها تريد إسقاط جدي عن عرشه .. فهي لا تتآمر عليه ولا أعتقد أنها تخطط لذلك.

- اخرس.

صاح به «جاهد بيك» وكأنه يتلقى سَيْلًا من الإهانات على يد صبي لا يفقه الكلام.

لم يبال «محمود بيك» بصياح جده وكأنه لم يسمع شيئًا ولكن «عائدة خانم» علمت ما يختلج في صدر وحيدها .. مسكت يده ورفعته إلى فمها فلثمته .. لكي يبرد أعصابه التي يكاد أن يفقد السيطرة عليها غير مبالية بعصبية والدها .. ثم قالت بهدوء :

- أرجوك والدي هوّن قليلًا من الأمر دعه يفطر.

- هل تشجعينه على التآمر علي ؟

- اهدأ يا والدي أرجوك فكيف سيتآمر عليك وأنت جدّه.

- أَوَلم يتآمر «عمران» على والده ؟

هنا آلمتها حديث والدها فقالت مرددة بصرها بين ابنها ووالدها :

- والدي أرجوك كفّ عن هذا الموضوع ..

الشاب يعلم تفاصيل القصة كاملا .. فكان له وجهة نظر معينة ولم يكن يُعقب أو يهتم بتاريخ «عمران بيك» سوى أنه كان يعتبره مثله الأعلى فلولاه لما كان هو سيّدا الآن.

نهض «محمود بيك» مسرعًا والغضب يلوح من عينيه ثم خرج من القصر .. مستقلًا سيارته بعصبية لا يلوي على شئ .. حاول حرّاسه أن يتعقبوه فمنعهم من ذلك وصرخ في وجههم ان يتراجعوا وانطلق مسرعا يلعن العالم وما فيه.

نظرت إلى والدها ثم قالت بهدوء وثقة تامة :

- «دانيال» يحميكْ فلا يُقلِقُكَ مكر النساء.

ثم ارتشفت قهوتها ببرود ووالدها يحدّجها بنظرة الغير مطمئن.

حرارة الصهد بدأ يخرج من صدره متذمرًا فلم يستحسن تصرفات ذلك المتهور الصغير منذ أن شبّ وإلى أن أصبح شابًا يافعًا يدير مصالح والدته فهو يخشى أن يلحق قول الناس عليه بأنه لم يعد له أي سلطة على آل بيته .. الصمت المُطبق يكبس عليه ويهدد وجوده .. إذًا لن يقطع دابر الفتنة فسوف يضيع كل شئ.

- علامُك يُخيفك لقاء هذا الصغير بتلك العاهرة ؟

- هل نسيت أنك «جاهد بيك» ؟ أم نسيت نفوذك ؟ أم ستترك الصغار يفتقون كل شرنقات حياتك .. ويضربون عميقًا مصالحك ؟! .. كالحشرات هم هذا الجيل الجديد .. من الصعب فكّ طلاسمهم .. كلٌ يسعى لغرض معيّن .. فمن غدًا يا تَرَى سيخرج عليّ ؟

الفصل الرابع

وفي رونق الضحى نزل «جاهد بيك» من عند زوجته السرية بدون حماية كما كان يفعل في بعض الأحيان .. وحيدًا ثَمِلًا يحمل في صدره الحقد على «محمود بيك» .. غضب عارم يتأجج في صدره انتصف الليل و«رحاب» تجاهد في إرضاءه ولكن دون جدوى فقد كان زوجها مُسْتَعِرًا في ثورة غضب على حفيده بالتبني الذي كان يوما قطعة لحم صغيرة تحت رحمته .. وكان بإمكانه أن يخنقه وبلا أي مجهود يُذكر .. فكيف لم يفكر في ذلك ؟

ترك زوجته وجلس في البلكونة تاركًا نفسه للنسيم الذي تخلل أنفاسه وأذاقه طعم الراحة ولو بشكل مؤقت وهو يدخن سيجارته «الكوبي» .. كان متلهفًا على الانتقام .. وكانت النجوم ساهرة ويقظى تراقبه بأعين لامعة .. وظل جالسًا متلذذًا بدخان سيجارته وهو يخرجه من صدره بغضب ممزوج بتفكير عميق .. مما جعل «رحاب» تسند رأسها على وسادتها وتَغُطُّ في نوم عميق .. تلعن حظّها العاثر في هذا الرجل العجوز.

وظل جالسًا يدخن السيجار حتى انقشع الظلام نسبيًا، والطرقات باتت تتجلى للعيون قليلًا .. فَبَدَّلَ ملابسه على عَجَلٍ وقرر الخروج وقطع أجازته وخلوته بزوجته بسبب مشاكل نفسية طغت على أفكاره بشدّة .. و كانت زوجته وقتها نائمة كالفراشة في فراشها الناعم المريح.

نزل السلالم على عجل وكان وقع خطواته الصاخبة كافية لإيقاظ «ياسين» من نومه الخفيف .. وعلم من خلال صوت قرقعة الحذاء الغليظة أنه ذلك الكلب الذي طالما كان ينتظره للنيل منه ويشفي

منه غليله طوال أعوام مضت والذي تسبب في عاهته الدائمة .. فلا بد أن نزوله يعني بأن وقته مع «رحاب» ربما قد انتهى وقته لهذا الاسبوع .. ولكن ما الذي جعله يقطع خلوته بها ويخرج باكرًا على غير عادته ؟

تلقف من تحت وسادته قطعة حديد غليظة متوسطة الطول والشوق يكابده في إنزال هذه القطعة على رأس غريمه.

التمعت عيناه وهو يتطلع إلى سلاحه الفتاك .. ولم يُطِقْ قُعودًا فانتصب ينتظر نزول «جاهد بيك» .. يتوعد ويسب في سره وقد ارتسم الغضب على وجهه بصورة مروّعة تبعث سحنة وجهه الرعب في الأفئدة فجمع كل قوته ليضربه ضربة الموت الزؤام فصرّ على نواجذه وانتظر نزول عدّوه.

نزل «جاهد بيك» فاضطرب «ياسين» فاضطرب جسمه النحيل لمباغتته وما أن وطأت قدم الضحية آخر درجات السلم نزولًا حتى خرج من وكره يتعقبه حَذِرًا وبيده قطعة الحديد .. فتبع الرجل حتى بات قريبا منه لا يفصله عنه غير نصف متر اقترب اكثر رفع يده الممسكة بالحديد .. ثم ضربه ضربة قوية على مؤخرة رأسه .. قبل أن ينتبه «جاهد بيك» ويُخرج صوتا مخنوقًا محشرجًا في حنجرته .. فجرت الدماء في رأسه وترنح كالثمل ثم سقط على وجهه يتخبط في دمائه فلبث «ياسين» واقفًا مشدوهًا على ما أَقْدَمَ عليه من عمل .. اندثرت حواسه وفقد صوته .. وقف قليلًا على رأس الجثة يراقبها وهي تتذوق مذاق الموت الذي أذاقه لـ «جاهد بيك» ..فرجع القهقري وهستيريًا عظيمة قد طغى على ملامحه لا إراديًا .. ثم أطلق ساقيه للريح حتى غيبه باب العمارة.

الفصل الخامس

لقد غيرتها هموم السنين بتعاستها أكثر من سعادتها .. تغيرت كثيرًا ولا سيَّما فاجعة مقتل والدها قد ترك أثَرًا من الحزن العميق في نفسها وقد غيرت تلك السنوات منها ماغيرت فترك فيها الجد والصرامة والحزن لا يمحوها أحد أبد الدهر .. فجفّ عودها ومالت قامتها إلى الانحناء قليلًا فحفرت الآلام في جبينها الوّضاء تجعداتها ولم يبق سوى بريق عينيها ونظراتها الدّالة على خوفها من أن يمسّ أحد بالسوء فلّذة كبدها الوحيد وبالرغم من مأساتها فقد بقت محافظة على صبرها وهدوءها حتى بعدما فقدت والدها بشكل مريع وإلى الأبد وارتسمت على وجهها الحسن مسحة حزن شديد ووجوم.

وكانت آنسة جميلة هيفاء الطول قد زارتها مؤخرا في زيارة ودّية حيث دخلت في خطى متزنة يدل مظهرها على الوقار وتتجلى قسماتها عن حسن وكان حينها «محمود بيك» جالسًا بجانب والدته حينما سمحت الأخيرة للخادمة بإدخال الانسة «نورهان» عليهما.

فبرزت من خلف الباب شابة كأنها شعاع من النور الساطع يغشى العيون شقراء جميلة.. فقالت بصوت رخيم :

- السلام عليكم.

فهوى قلب «محمود بيك» بالحال ولم يجد نفسه إلا في متاهات جمالها يتأوه من شدة ما تحمله من مفاتن لم تحملها فتاة من قبل.

أخذَت مجلسها بجانب «عائدة خانم» بعد أن قبّلتها الأخيرة

وحضنتها بحرارة .. فأدرك «محمود بيك» بأنها معرفة قديمة إنها «نورهان» ابنة أكبر تاجر عراقي في بريطانيا .. سمع عنها وعن والدها الكثير ورآها مرات عديدة في الحفلات الكبيرة التي يقيمها الملك في قصره.

أخذ ينعم النظر إلى أناملها وقوامها اللدن الرشيق فتنبه إلى نفسه فجاة فعاد ينصت بأدب إلى كلمات المجاملات بين والدته والآنسة الفاتنة.

ثم دخلت الخادمة واخبرتهم بأن الشاي قد تم تحضيره وكل شئ جاهز في الحديقة .. فقاموا مبتسمين وبادروا بالخروج تتقدمهم السيدة ثم الآنسة ومن ثم الشاب الوسيم.

وما إن خرجوا إلى باحة القصر حتى بدأ النسيم يعبث بحاشية ثوبها الأبيض ويراقص ذؤاباتها الرقيقة الذهبية وكان مسرورًا لانتجاعه النسيم مع الأميرة الفاتنة الاي أَفْتَرَ ثغرها عن درر نضيد قائلة بابتسامة :

- الهواء هنا يجنن لم أشعر بهذا الارتياح والانتعاش في قصرنا .. الجلوس معك «عائدة خانم» له ميزة خاصة ياليتني زرتك من قبل لكي أتمتع بنشعة المناخ هنا .. كأنني جالسة في جزيرة.

ابتسمت الأم .. وكانت جالسة في الوسط متألقة كزهرة جميلة وقالت برضا :

- «نورهان» هل تقبلين ولدي «محمود» زوجًا لكِ ؟

أضاء وجه الآنسة والشاب بوقت واحد بالابتهاج لا يخلو من المفاجأة .. فأدركت الجميلة بأنّ السيدة كانت تخطط لذلك منذ فترة طويلة ولكنها كانت تريد فقط أن تتأكد من مشاعر الاثنين

قبل أن تنطق جملتها .. قال ابنها بأستنكار مُفتعل بعدما رأى وجه «نورهان» وقد ضجّ بالحُمرة من شدة الخجل :

- أماه ماهذا القول ؟

فتمتمت «نورهان» بخجل بالغ بكلمات لا تعرف بماذا ترد مفاجأة لم تتوقعها هي .. بينما أدركت الأم الموقف وقالت بثقة سيدة لها وزنها وشخصيتها في المجتمع :

- «محمود» غني عن التعريف وأنتِ أيضا حبيبتي هذه فرصتي لأجمع بين شخصين ناجحين .. صيتكما واسع في المجتمع العراقي ولا سيَّما أنتما من بيت واحد وستحافظان على سمعة العائلة مهما قست الظروف وطغت -لا قدَّر الله- .. لن اعيش لك طويلًا يا حبيبي فأنت الآن رجل وينقصك امرأة قوية الشخصية تستطيع أن تحافظ عليك وعلى أولادك أريدكما معًا .. ما حييت وحتى وإن غادرتكما فسيكون بالي مطمئنًا عليكما .. لهذا رأيت في «نورهان» المرأة القوية التي ستساندك وتساندها في الحياة.

كانت لوقع كلماتها الجادّة أَثَرٌ بالغ في نفس الاثنين .. فلاحَ الرضا في الوجوه .. وانتشر بينهم الصمت خاليًا من أي تجهم أو قلق يطغي الحب والقناعة مشهد الاجتماع وقد هفت ذؤابات من شعر «نورهان» الذهبي على جبينها الأغر وأذنيها .. فوجب قلب «محمود بيك» ونظر إلى زرقة عينيها فرأى نظرة استسلام وحنو أعذب من الحياة التي وهبته إياها وأَحَسَّ أن ما بينهما من هواء ينتفض بحرارة عميقة بسحر يجذب إليه روحيهما ليلتقيا ويمتزجا ففقد لبّه وكاد أن يهوى على قدميّ أمه ليقبلها شاكرًا على هذا الاختيار المُمَيّز .. ليربط حياته بشريكة جديدة ستعوضه عن كل شئ.

الفصل السادس

لم يكن له سوى أمّه بالتبني .. منذ أن تبّنته وحمتهُ من كل المؤمرات منذ الصغر إلى أن كبُر .. بينما هو كان يعاني من فاقة الأبوة .. فهي قد أنقذَته من صعوبة الحياة ومآسيها .. هكذا أخبره جده قبل عدّة سنوات طويلة .. قبل أن يفرّق بينهما المال والسلطة.

كانت تحذّره من شرّ المنافقين الذين كانوا يتقربون منه لأغراض ومصالح ترتبط بمراكزهم المهمة .. ويظهرون له الصداقة بالظاهر والحقد في باطنهم .. كانت أمّه تستميت لحمايته من اي شرّ يواجهه.

السلطة كانت تهبه قوة التحدّي كما يمنحهُ سائل الحياة .. خشونة القسوة كما نعومة الحُب يلمس عدوانية قاسية تقاوم انكشافها في هذا الحصار الجسدي الذي يمارسه عليه كلّ من له نفوذ في الدولة كان يكرههم بسبب إحساسهم وتعاليهم الشديد والسَّمِجْ على أي مشروع ناجح كان يظفر به .. فأكدّت له الحياة بأنّ وجود هؤلاء الأشخاص أكدّ له إلى جانب احتراف المتملق الذي تدّربوا عليه أنهم مستعدون للتبدّل الفوري للتحوّل الانقلابي إلى مؤذين بلا رحمة حيثُ صراعهم المتشاحن داخليًا بين كرامة ابتذلت وأنسحقت تنغص عليهم نفاقهم وتسوّلهم وبين عوز السلطة ينتظر الحل الصعب رغم المال الوفير الذي يملكونه إلا أنهم يتحسسون تحت جلدهم حكّة مخافة من أن يخسروا كل هذا.

إلا أن زوجته ورفيقة عمره كانت تؤدي واجباتها الزوجية تجاه زوجها على أتمّ وجه لم تنس أبدًا بأنّ واجبها مقدّس نحو زوجها بل وأخذَت القيادة من والدته لكي تُكمل رسالتها وتُرضيها بكل ما لديها من عزيمة بعدما مرضت الأم وضمر كل شئ فيها

ومرضت مرضا شديدا فها هي «عائدة خانم» على فراش الموت تتألم والعجز المرضي يقف حائلا بينه وبينها لا يستطيع أن يوقف الألم لا بمالـه ولا بأي شيء آخر متاحٌ له أن يفعله .. زوجته حزنت وحاولت أن تهب الطمأنينة إلى نفس زوجها ولكنها فشلت .. أمْرُ الله نافذ لا محالة.

السيدة الكبيرة تحتضر الآن كان نقاء صوتها يملأ القصر سرورًا وسعادة بدفء صوتها الغامر الآسر والمُدّثِرْ للنفوس.

كانت تضم تحت لوائها حضور عائلة متضافرة أو متنافرة لكنّها كانت مجموعة على موعد يصنع بينهم الذكريات ويُراكم فيهم تلك اللحظات على مدى مرور العمر كانا يرقبانها وهي مستسلمة للألم رغم أنها كانت تتحمل وتعاني رغمًا عنها ولكن لكل شيء طاقة محدودة.

يمتزج نظرتيهما إلى الأم الراقدة على فراش الموت بالحنين والشجن وفوات الزمن وكان حتى زوجها المغطرس يحتمي تحت لوائها بالبراءة التي فاتت وماتت كان الابن يتخيل أن روحه تأخذ ذلك الوضع الجنيني جسده التي كانت تلوذ بما كان ضد ما يكون تحتمي بما كان أمام ما يكون حينما كان يعود غاضبًا إلى القصر يقرفه أحدهم بشدّة من تصرف خبيث ويعتمل فيه مرجل نار فتسارع أمّه وتطفئ ذلك الغضب العارم بحنانها وعقلها العبقري بانتزاعها وساخة الكُره الملتصقة في شرايين مُخّه.

وعندما كانت تراه نائمًا في وضعه الجنيني كانت غريزة الأمومة تدفعها لكي تشاركه نومه كانت تراه واضعًا ذقنه في ركبتيه يضم ساقيه على ظهر فخذيه وشابكًا قبضتي يديه واضعًا ذراعًا مثنية تحت رأسه وطرف كتفه وأخرى فوقهما ساعتها تقترب هي وتبتسم ببراءة وهي واقفة على رأس صغيرها .. فتتشكل هي أيضًا

جنينًا إلى جوار ابنها بالتبني بذات النومة والرقدة دونما تقلّب ولا تمدد.

ولّما سمعت خبر محاولة اغتياله كأنّ جنيًّا استعار جسدها ساعة فأرسلت رجالها للبحث عن الجُناة .. ولم ترتح حتى قبضت عليهم وأعدمتهم بلا رحمة.

كانت تؤكلّه وتُشبعهُ أفخر أنواع الأكلات ومما لذّ وطاب ليكون قويّا وسيّدا يكون قادرًا على إدارة أمور العائلة .. وعندما يكون الأكل كبس والشرب حبس كانت ترفعه من الأرض وهو نائم على الأريكة فتصعد به سلالم القصر غير آبِهَةٍ بثقله وتُسّجي جسده على السرير ولا تفارقهُ حتى تتأكد من أنه قد غرق في النوم بسلام وفي أغلب الأحيان كانت تلقي نفسها جنب صغيرها وتشاركه سريره.

هذا هو شرع المنهج الإلهي ولا رادّ لقضائه أحد ها هي قد أسلمت روحها فجأة لبارئها بعد صراع طويل مع مرضها الذي فتك بها كتمت أسرارًا كثيرة عن ولدها ماتت بعدما عجر الأطباء من علاجها ولم تُدْرِك أن من تركت ورائها ما يزال طفلًا صغيرًا لا يستطيع استيعاب أنه فقدها وإلى الأبد .. يبكيها في كلّ وقتٍ .. وحين.

*****

الطريق الضيّق لا يتسع إلا بالهدم وهي سلكت طريقا ضيقًا مليئًا بالانتقام كلما تُوغِل فيه ضاقت جنباته تاركةً جزءًا ضيقًا لمشاها طريق ضيق تحت الأجساد والأرواح رغم جمالها ولكنها قاسية من الداخل بَنتْ قاعدتها في اللأجرام لَبِنَةَ لَبِنَة بعدما فشلت في بناء جسرًا للحب الذي كان سيحميها من كلّ العواقب.

الثراء والوجاهة كانا كل همها التسلط واللعب مع الكبار هم

كل غايتها نَشَأَتْ في القصور في عائلة فاحشة الثراء لم تعرف العوز والحرمان وتعلّمت أن تأمر لا أن تؤمر .. واغتيال كل من يقف في طريقها .. وصناعة القرارات الصعبة .. شخصية فذة...

لم تكن تبال بكل صيغ التبريك التي انصبّت عليها كانت تسعى باستمرار للحصول على أعلى المراتب الإدارية ولم تهتم بالسياسة بقدر اهتمامها بالتجارة العالمية والمحليّة جنت أرباح مذهلة حتى تصادمت في طريقها إلى عرش المجد مع أشد الرجال فتكًا بخصومة «دانيال» الذي عَلِمَ من خلال عصافيره التي ترّف في جميع الأنحاء من البلدان أنها تنوي الانتقام منه رغم كل شئ.

شخصيتها وثرائها مكّنت وساعدت العديد من الرجال المهمين من اجتياز صعوبات واجَهتهم في أعمالهم وعقبات صعبة للغاية كانت مخططة من قبل رجال الدولة .. حيثُ كان اسمها كجواز عبور لا تَرُدُّهُ الأبواب الموصدة .. فكانت تساعدهم وبلا مقابل.

هي ستنهار !

هذا ما قرّر «دانيال» فعله .. وخطّط لذلك الرجل الأكثر رهبة وشهرة سُلطته هي الوحيدة التي لم تنهر انهارت أكثر العوائل غِنًى ولا سَّيما من -بيت القاضي- الذين كانوا هدفه الرئيس هو في إفنائهم .. ومن بينهم كان «عمران بيك» الذي أصبح ترابًا الرجل العنيد والشرس فلاقى ما لاقاه من أشد أنواع القتل فتكًا وانتهى كل شئ بضربة واحدة موقوتة.

كانت الفاجرة عشيقته كانت تُعذّبه بأنوثتها وصمت عينيها حتى نثر الطرف الذي يجمعها لتحريك ركودها أما الآن يهزمها إحساس الفقد .. ووجمت وأبحرت في صمت وفِكْرٍ مُحَيِّرٍ جَمُدَت حيويتها رغم أنها لا تزال قادرة على نزّ سمومها في جسد

أقوى رجل في الدولة أُحيلت الآن إلى تمثال فاتن صلب تشخص في الفراغ.

منحت الرجل الذي تُحبه خلاصة أنوثتها.

حرث حقلها متصببا من جيدها لأخمص قدميها وفي كلّ لقاء كانت تستل من بكرة خيوط عشيقها حتى أصبحت تعرف أخطر أسرار عشيقها السابق.

خرجت كالعادة من قصرها متبرجة .. أنيقة تعكس ركبتيها آشعة الشمس فتزدادان لمعان ونضارة جلدها كلؤلؤة كانت تلقي نظرة وكأنها نظرة وداع على ممرات وحدائق قصرها وهي تجلس في المقعد الخلفي وأمرَت سائقها ليمشي متمهلًا لتستمتع بمنظر الحديقة والأشجار الباسقة وكأنها تراهم لأول مرة أو تريد توديعهم فتحت نافذة السيارة ومدّت عنقها إلى الخارج تنتشي من عذوبة هواء الصبح وعطر الجُنينة المليئة بشذى الأزهار والياسمين .. كانت في ذلك اليوم يطغي عليها قليلٌ من المرح وكثيرٌ من القلق تحاول أن تنسى كل شئ .. ليرتاح رأسها المثقل بهموم كبرت وتكبّر حيثُ جُرِف عنها بعض القلق واليأس كما يجرف السيل غصنين يابسين أَلْقِيا في مجراه .. تريد أن تنتقم وسوف تنتقم .. منه .. من «دانيال» وسترقص على قبره .. وإلى الأبد سوف يذوق الموت الزؤام .. هناك خطة ستنفذها بعدما تم وضعها مع «محمود» وستنفذها مهما كلّفها الثمن.

كان السائق وهو يقود السيارة يكبس على ضروسه قلقا وترتعش عروق خديه وهو يدوس الفرامل بسرعة ليخرج من حدود هذا القصر اللعين .. ولعلها تكون المرّة الأخيرة فينفذ مخططّه ثم يحصل على جواز مرور إلى لندن كما وعده «دانيال» ويغدقه بأموال تكفيه بأن يعمل في التجارة طيلة حياته ويعيش كما يعيش الأغنياء

والمترفين في أوروبا..

وما أن خرج بسيارته حتى سار على بعد كيلو مترات من القصر وبحركة فجائية استغلها أخرج مسدسه وصوبها بدّقة نحوها خافت ولكن لم يسعفها الخوف .. فأَطْلَقَ رصاصة استقرت في جبينها ومالت ببطء على المقعد مضرجة بدمائها .. قاد السائق السيارة إلى مكان بعيد ومن ثم انحرف إلى طريق زراعي مجهول أوقَفَ السيارة ثم نزل منها وأطلَقَ ساقيه للريح قاصدًا «دانيال».

الفصل السابع

بغداد ١٩٤١

«الفرهود»

كانت فاجعة كبيرة ومخيفة تنتظر يهود العراق في هذا اليوم بالتحديد .. حتى تدّخلت القوات البريطانية لتمنع استمرار المذبحة المريعة التي حدثت بحق اليهود.

فأراد شيوخ السوء استغلال كره العرب لليهود فدعوا المسلمين الى مهاجمة بيوت اليهود وأباحوا لهم الدماء والأعراض والأموال ونسى المهاجمون أن اليهود لا علاقة لهم بالاحتلال البريطاني ومشكلة فلسطين وأن وجودهم يمتد لأقدم من وجود المسلمين في بلاد النهرين وأنهم مواطنون عراقيون .. وبالأحرى كانت خطة إسرائيل في تخويف اليهود من العرب كما حدث في العراق ومصر .. فعملوا على نشر الفتن بلا ملل أو كلل.

فهجم العراقيون على جموع غفيرة من سكان اليهود يحملون السيوف والخناجر وهي تنشد «حلو الفرهود .. كون يصير يومية».

وقتلوا المئات وحُرقت البيوت ودُمرت المحال التجارية وسرقوا ما يمكن سرقته بالإضافة إلى اغتصاب اليهوديات أمام الأزواج والآباء ...

كان الجار المسلم يقتحم بيت جاره اليهودي الذي ترعرع منذ الطفولة وعاش معه العمر بسلام وصداقة .. ليسبي بناتهم ونساءهم وينتزع منهن مصاغاتهن الثمينة ويُغتصبن بضراوة جنسيًا فشهدت ازقة بغداد والأعظمية وبيوت اليهود فيها مآسي ظل الناس يرددونها

بتلذذ غريب فبُقرت النساء الحوامل وقُتل الأطفال .. ثم عمد المهاجمون إلى سرقة أثاث الدار فيسرقونها بأسلوب النهب البدوي المتوارث.

كان «دانيال» يشاهد المشهد الفظيع من شباك مكتب شركته برعب شديد .. بعدما تخلوا عنه حراسه وموظفيه وهربوا إلى بيوتهم .. وبات وحيدًا يشمله الخوف والصمت في مكتبه المظلم الذي أضحى كمقبرة موحشة ومخيفة يسكنها الأشباح.

كان يشاهد مشاهد مروعة لم يكن ليتوقعها أبدا وبات يستعرض جرائمه في ذاكرته ثم قال بلهجة تنطوي على الحنق :

- ماذا تريدون ؟ سفلة فعلا سفلة.

وكان يكابد الحيرة تقذفه الذكريات إلى متاهات الخوف المروعة حتى أَفْزَعَهُ منظر المذبحة بأجساد تحجب السبل والجدران والمنازل وضجّ الجو بأهازيج غاضبة وتتصاعد حدتها شيئا فشيئا .. أجساد المهاجمين غطت كل الشوارع كالبحر اللُجِّيِّ صعب جدًا اختراقها ومنعها من الهجوم الوحشي كان يقذهم بأشنع الألقاب وهو لا يدري أن كان سيخرج اليوم سالمًا أم لا.

ثم أَفْزَعَهُ صرير الباب وهو يُفتح ثم دخول شبح ملثم .. لم تكن هيئته غريبةً عليه .. فبطُل عجبه ما أن أزاح الشبح الداخل الوشاح عن وجهه .. «محمود» !..

صاح بفزع وقد تأكد أن اليوم هو آخر يوم له .. إحساسه لا يخيب.

تقدم «محمود بيك» ببطئ نحو «دانيال» .. وحاول الأخير أن يتحرك باتجاه المكتب ليُخرج من الدُرج سلاحًا يدافع به عن نفسه فعاجله «محمود بيك» بطلقة في فخذه الأيمن تفجر الدم على إثر

الإصابة من ساقه ترنح بشدة وتأَوَّهَ بصوتٍ عالٍ ثم خانته قواه فسقط على الأرض .. ولكنه جثى على ركبتيه يحاول أن يصمد أمام الهجوم .. ولما أدرك بأنه سيفشل من صدّ هجوم عدوّه سأل بسذاجة :

- ستقتلني ؟

- إياك أن تفكر بالمقاومة .. دم والدي لم يجف بعد .. قتلته بغدرك انظر اليوم إلى حشدكم كيف يتقتلون في الشوارع مشهد لن يتكرر ولكني سأكتفي بك هل توقعت يومًا أن يدرككم هذا اليوم وتُقتلون كالحيوانات يا بني اليهود .. استمع إلى هذه الأهازيج ...

فأصغَيا السمع معا إلى أهزوجة تعالت بين صفوف الغاضبين المتلذذ بالفرهود :

- «الله اشحلو الفرهود ياسلام .. ياريته يعود كل سنة وكل عام».

ثم اقترب من «دانيال» الذي خارت قواه تماما بسبب النزيف فوجّه فوهة مسدسه نحو رأسه مبتسمًا ثم قال :

- الوداع يا كبير اليهود.

قالها بقسوة لم يعهدها من قبلْ قبل ان يُطلق عليه رصاصة من مسدسه الشخصي .. لتخترق جمجمة «دانيال» فخرّ صريعًا من فَوْرِهِ .. فأصبح المكتب الكبير شبه المظلم يحتوي على جثة يهودي .. وقاتل منتقم.

الفصل الثامن

ومضت الأعوام .. ورُزِقَ «محمود بيك» بثلاثة أولاد ....

«راسم» أكبرهم «وسام» الأوسط «مأمون» الأصغر والمدلل بين إخوته.

تغيّر كثيرًا ولم يعد ينافس التُجار في السوق واكتفَى بما لديه من تجارة وثروة حذّرته زوجته كثيرا من الطيبة الزائدة حيث كانت تُحذره من السقوط في شباك الضُعف .. ولكنه لم يستمع لها واكتفى بالقول «أبنائي هم كل شئ لي الآن .. ولا أريد لحياتهم أن تحيطها الكراهية لا أريدهم من بعدي أن ينتهجوا نهج جدّهم فالتجارة والمنافسة فيها طبيعية ولكن لا تنس بأن هناك رجال ينتظرون نهايتي .. ونهاية أُسرتي»..

كان يحاول أن يحمي بيته من غلواء التفاعل ضد المنافسين لا يريد ان يُدخِل الغلّ والكُره إلى بيته.

حين كان في خبيئة روحه يُمعنُ سلامًا .. فالشرّ قد وَلَّى بموت «دانيال» أو هكذا كان يعتقد.

*****

كان «محمود بيك» جالسًا مع «مائدة خانم» امرأة في الخمسين صديقة زوجته لها شركات في خارج البلد وداخله «أرملة» ووحيدة كانا في مكتبه يتحدثان عن مشاريع مهمة فكانت «مائدة» رغم تقدمها بالسن فوجهها ما يزال يحتفظ بجمالها بل كلما تكبر ازدادت تألُّقًا وأنوثة بشفتيها القرمزيتين .. وقلب زمردي مدّلى على صدرها الناهد وصوتها الرخيم كانت تزلزل نفس «محمود

بيـك» زلـزالًا شـديدًا .. كان يختلـس نظـرات حـارّة إلى صدرهـا العـالي وتـزوره نشـعة المخمـور عندمـا كانـت تضحـك ضحكـة رقيقـة سـاخرة وتمنـى لـو ينهـل مـن عسـل شـفتيها ويلهـج لسـانه بكلـمات عشـق جنونيـه كلـما مـرّ عـلى كل نقطـة مـن جسـدها البـض الجميـل وكان «محمـود بيـك» عنـد رؤيتـه «مائـدة» تهاجمـه نشـعة السـكران لا يملـك هذيـان سـكره ناصيـة عقلـه فـلا يسـتطيع بالنهايـة أن يجمـع شـتات أفـكاره .. ثـم فجـأة سـمعا طـرق بـاب ودخـول «قـادر بيـك» أحـد أقربائـه ممـن يعملـون في الشركـة بقامتـه الطويلـة .. وكان متأنقًـا كعادتـه .. وسـيما .. نحيـف القـد دقيـق الأطـراف .. واسـع العينـين بَرَّاقُهُـما فَتَحَلَّـب ريقـه حـال مشـاهدته سـاقيّ «مائـدة» الناصعتـي البيـاض التـي وضعتهـما سـاقًا عـلى سـاقٍ مُرسِـلًا لهـا نظـرات إعجـاب وضـجّ فَرِحًـا عندمـا سـمح لـه «محمـود بيـك» بالجلـوس فاتَّخَـذَ مجلسـه أمامهـا مبـاشرة .. وبعـد أن تعارفـا اندمجـوا جميعًـا في جوّهـم الجميـل جذلـين مسروريـن .. وفي نهايـة اللقـاء قامـت «مائـدة» مـن عـلى الكـرسي فشـمل «قـادر بيـك» ذهـول عظيـم مـن شـكل وانسـيابية جسـدها وخصرهـا المصقـول .. وكأنهـا جسـد امـرأة في العشريـن .. صقلـه الـرّب وباركـه ونحـت صدرهـا العـالي بدقـة لا يسـتطيع أي فنـان أن يـأتي بمثـل هـذا الجسـد الـذي حافـظ عـلى نضارتـه ..

قالـت السـيدة وهـي تهـمّ بالخـروج بعـد ان دسّـت ملـف مليـئ بـالأرواق في حقيبتهـا :

- أسـعدني جـدًا زيارتـك «محمـود بيـك» وأيضًـا سـوف أدرس الملـف الـذي تناولنـا بحثـه وسـأعرضه عـلى مجلـس الادارة لغـرض البـتّ في العمل به .. إلى اللقاء إذًا.

ثـم خرجـت .. جلـس «محمـود بيـك» ثـم جلـس بعـده «قـادر بيـك» وكان حديثهـما تفتـق شرنقـة سـيرة السـيدة المُترعـة بالأناقـة والجـمال

فقال الأخير :

- سيدة أعمال ناجحة تملك ثروة لا نهاية لها.

ضحك «محمود بيك» بعد ان تفككّت روحه قطعا وشيعا يخشى على نفسه من هواها ومن جمالها الباهر :

- هي فعلا سيدّة ناجحة ليس لي أي تحفظ في ذلك ولكن العمل هو عمل يا بيك.

أحَسَّ «قادر بيك» بالجواب قاطعا بنصل سكين شرائح من لحم قلبه لكنه لم يواصل الحديث عنها خوفًا من إثارة غضب مديره فغيّر الموضوع .. ولكنه بقى هشًّا في داخله ينخرهُ التفكير في هذه السيدة المُتَّقِدَة بأنوثة لا مثيل لها.

الفصل التاسع

بغداد -١٩٦٨

أحيانا ترمينا الأقدار في أماكن لا نعلم خفاياها حيث الحقد يعمي العيون .. ويتمثل لنا كل شئ بلون الدم .. وقد يغيب عن العقل مخاطر المغامرات التي يجهلها صاحبها من أجل الفوز بالمال أو السلطة أو غير ذلك مما يسطير على عقل المغامر سواء كان سياسيًا أو تاجرًا أو ..حتى رجل المافيا.

بعد أعوام من الهجرة .. وبعد أن تقدّم بها العُمر .. فكّرت بالانتقام ولاتدري كيف.

غيّبتها الأقدار ورمت بها في براثن المتاهات .. غابت عن بغداد عمرًا طويلًا ورجعت وقد صبغ البياض أغلب شعرها ولكنها ما تزال تحتفظ بقوتها ومكرها .. غنية جدًا لها نفوذها بين أغنياء اليهود وإن أَمَرَتْ أحدهم يُنفّذ أَمْرَها في الحال .. ها هي تضع قدمها على أرض بغداد .. خرجت من المطار برفقة عشرة حراس .. استقلت سيارتها الخاصّة ثم تبعها ثلاثة سيارات تختلف ألوانها عن الأخرى .. عادت قوية جبروتها يكفي بأن تخوض في مجال السياسة أو التجارة بكل سهولة .. ولكن ماذا لو قُدّرَ واستلمت مقاليد حُكم العراق ؟ .. طبعا فستنتقم لمجرزة ضحايا «الفرهود» بل وستفقع عيون المنفذين صغارا وكبارا .. شيوخًا ونساءًا .. إلاّ أنها لن تغادر العراق قبل أن تنتقم لـ «دانيال» مثلها الأعلى وصاحب فضل كبير عليها .. فلولاه لكانت إحدى جواري «السوركي» الذي كان يخطط لقتلها بعد حادثة سيناء ولكن «دانيال « تخلّص منه بسرعة وفي الوقت المناسب

وجعلها ترث كل أملاكه بفضل علاقاته .. وساعدها على ترك القاهرة وتسافر إلى بولندا وتفتتح من هناك محلات تجارية التي تحولت فيما بعد إلى شركات كانت تديرها بمساعدة ومشورة من «دانيال» .. هرّب لها كل أموالها وخلصها من مشاكل قانونية ولولاه أيضًا لكانت ضحية من ضحايا المجازر التي كانت تضرب بين فترة وأخرى مدنًا من المدن المنكوبة البائسة بسبب جهل سُكان المنطقة.

باعت أغلب قصور «السوركي» وهربت بعدما استولت على عقاراته ومعظم ثرواته .. ثم أوصلها «دانيال» إلى بر الأمان في بولندا .. ثم بعد ذلك صفّت أعمالها ورجعت تستقرّ في إسرائيل بعد أن أعلنت قيام دولتها عام ١٩٤٨.

ولم تنس «عفرا» أنها يهودية وأنها كانت عراقية .. ولكنها رجعت إلى بغداد لغاية لا يدركها أحدٌ إلَّا من بعثها وخطط لها طريق العودة لتنفيذ أمْرٍ ما .. فهي ماتزال تحتفظ بجنسيتها البولندية وجواز سفرها البولَندي .. وبهذا آمنت شر الخلق لو واجهها أية محنة غير متوقعة .. أقسمت أن تنتقم لوليٍّ نعمتها وألَّا تغادر بغداد إلا وقد أخَذَت بثأرها كاملا.

*****

إسرائيل «تل ابيب» ١٩٦٠ قبل «٨ سنوات» من الآن ...

بعد محاولات عديدة لإقناعها .. استسلمت ورضخت بشكل أوَلي بالمهمة الموكلة إليها ولكنها كانت خائفة ومترددة من الذهاب إلَى مبنى المخابرات وتلقي نفسها في أمور قد لا تَصُبُّ لصالحها.

ارتقت السلالم بهدوء برفقة رجل من جهاز المخابرات الإسرائيلية قاصدة مكتب الضابط «موشيه ديان» كان رجلًا طويلًا معتدل

القامة يرتدي قميصًا رماديًا وربطة عنق مفتوحة تتدلى على صدره وبنطلونًا أسود اللون .. بدا كَنِسْرٍ جيف أصلع ملامح وجهه كأنها تعاركت مع الزمن .. أخذت أصابعه تداعب فنجان القهوة قبل أن يدُق الباب ويدخل الرجل ليُعلمه بوصول الضيفة فأمره بإدخالها.

اطفأ السيجار ورشف آخِر رشفة من القهوة بعبوس غريب اجتاحت ملامح وجهه .. ولعل قلق أو أمر ما يثقبه دخلت «عفرا» فقام من فوره وصافحها من وراء مكتبه فدعاها للجلوس.

سألها إن كانت تريد أي شئ تنعش ريقها فطلبت هي ليمون وطلب هو من الرجل الرابض على الباب بابتسامة مقتضبة رُسمت على وجهه بالصدفة :

- وأنا قهوتي المعتادة.

بعد أن خرج الرجل .. رحب «موشيه ديان» بضيفته قائلا :

- «عفرا» ما زلتِ كما أنت جميلة .. رغم خيوط المشيب الذي يخلل شعرك ولكنك مازلت جميلة .. كيف حالك ؟

- ممكن أعرف سبب استدعائك لي حضرة الضابط ؟

ضحك باقتضاب كعادته دائما .. فمال برأسه نحوها قائلا بهدوء:

- مبارك علينا قيام دولة اسرائيل .. هذا أول وأهم شيء وثانيًا: كُنّا مُشَرَّدين فجمعنا الله للمرة الثانية كما وُعِدنا وأعتقد بأنَّك جربتِ طعم التشتت كامرأة .. إذ علينا أن نحافظ على وحدتنا مهما كلفنا الثمن .. وإلا فسنكون هذه المرة حَطَبًا ولن ينجو منا أي أحد .. وهذه المرة بالذات.

سألَتْهُ بعينين تبعثان غضبًا على مُضّيفها :

- أنت تعرف بأن لي علاقات على مستويات أعلى من مركزك

كضابط كبير في المخابرات .. وكنت أستطيع أن أستغلها وأرفض طلب المجيء.

- نعم وفشلتِ لأننا كنّا بالمرصاد لتدخل أصحابك .. ولأن الأمر يخص بالأمن القومي الإسرائيلي .. فلا تقولي لي حقوق الإنسان فحينما تُمس سلامتنا بضرر لن نرحم أحد حتى ولو كان طفلا .. نحن قدمنا الغالي والنفيس لكي تعيشي على هذه الأرض بسلام .. ولهذا فنحن أمرناك بالحضور ولم نطلب منك الحضور.

اختفت ملامح الثقة في وجهها .. بل انطفأ فيها أي أمل في السلام وظهر عليها الترد د.. ولكنها حاولت أن لا تجهر بذلك فواصل هو :

- الحاخام «فيشمان» عضو الوكالة اليهودية لفلسطين قال في شهادته الخاصة للأمم المتحدة في« ٩ يوليو ١٩٤٧ »:

«إن أرض الميعاد تمتد من نهر مصر إلى نهر الفرات وتشمل أجزاء من سوريا ولبنان»...

- لقد تعبنا جدًا يا سيدتي لكي نجتمع مرة ثانية على أرض الميعاد «السوركي» اغتصبك ثم تزوجك وانتشلك من ضياعك ليطيح بك في ضياع أفظع .. واستغلك كثيرا لتحقيق مطامعه الشخصية .. وبعد أن انضم إلى الإخوان المسلمين أراد أن يقتلك لولا تدخل «دانيال» وخلصكِ من بين مخالبه .. هرّبكِ إلى بولندا مع أموال زوجك الذي استوليتي عليه بمساعدة «دانيال» .. وحده كان قادرًا على تحقيق ذلك لكِ بعلاقاته تخيلي لو كانت دولتنا موجودة أو لم تكن لتحفظك من كل هذا الضياع .. ماذا كاد أن يكون وضعك ؟ أكيد أحسن

فلماذا لا نفكر بمستقبل الأجيال القادمة ونحفظهم من الضياع.

- وماهو المطلوب مني ؟

- أن تثأري لـ «دانيال» العزيز علينا جميعا .. وأعتقد هذا هو حلمك في الوقت الحالي.

صُعقت وكأنها تلقت صفعة على خدّها ولكنه استدرك الموقف قائلا :

- لا تقلقي كل شئ تحت السيطرة خطتنا هي كالآتي : ستزورين العراق كسيدة أعمال وبجواز سفر بريطاني وتحت اسم مستعار هو «لميعة» سوف نخبرك بتفاصيل الخطة والمغزى الحقيقي تفصيليًا للعملية جديدة التي نحن بصددها من قبل مجموعتنا هنا في تل أبيب .. طبعا لديك الخيار للرفض ولكن تأكدي كلنا أجمعنا على اختيارك .. أنت أكثر واحدة تعرف تفاصيل بغداد .. وأنت يهودية بالدم ويهمك جدًا مصلحة اسرائيل.

دخان كثيف وغامض يعبئ قلبها اليوم تحس نفسها كغريقة في بحر لُجيٍّ .. أي عمل هذا يجمعها بعالم كذوب ومخاتل سألته بجدية مُكثفة :

- هل تستطيع أن تخبرني موجزًا عن هذا العمل ؟

- لدينا صراع طويل مع العرب ولن نكون بمأمن منهم كيهود حتى نقسمهم ونتخلص من ترهاتهم كدولة أَعَزَّهُمُ الله بالإسلام كما يزعمون .. مخططنا هو اكمال بناء دولة إسرائيل ولهذا اخترناك لكي نمنحك شرف المساهمة في هذا الحدث العظيم.. ولكي يتم بناء دولتنا يجب علينا أن نقسم مصر إلى

اثنين : مسيح وإسلام .. وسوريا إلى ثلاث دويلات «درزية- علوية – عربية سنية « .. ولبنان إلى «مارونية- وشيعية» وتفتيت العراق بين الكرد والسنة والشيعة لذا يجب أن نضع نصب أعيننا كيفية الاستيلاء على هذه الأراضي والتي ستزودنا بسيادة مطلقة على المنطقة وتكون كفيلة بسد احتياجاتنا كلها قيام دولتنا مبنية على وفاء أبناء دولة إسرائيل لها .. سنقوم بتدريبك وسنتكفل بكل شئ .. أموالك في بنوكنا لن تضيع .. ويهمنا جدًا راحتك النفسية والعقلية لدينا برامج لتدريبك سيمنحك ثقة أكبر .. وحينما تسافرين إلى بغداد ستكون لديك حصانة أمنية قوية .. وقع اختيارنا عليك لأننا واثقون من وطنيتك كمواطنة اسرائيلية .. ووعد منا بأننا سنسهل عملية انتقامك من غريمك.

- أنا... ؟

- علمنا بأنك تريدين الانتقام من قاتل «دانيال» .. والرجل الذي تريدينه سيكون تحت رحمتك .. ستجرينه إلى المحرقة وحالما تنتهي مهمتك سوف نسحبك على الفور تحت حراسة مشددة توصلك إلى اسرائيل بأمان .. وبقية حياتك ستعيشينه بسلام ولن نستدعيك ثانية .. وعد .. وقبل أن أنسى غريمك له علاقات واسعة مع ضباط الجيش والمخابرات ورجال السياسة هي فرصة لأخذ ما نريد أَخْذَهُ من معلومات أو نغتال من لا نستطيع الوصول إليه.

- ومن سيضمن لي كل ذلك ؟

- دولة «اسرائيل» يا سيدة «عفرا» .. ورأب الجروح العميقة صعبة ولكننا سنسهلها كثيرا .. على فكرة هناك ضابط يدعى «يعوديد بن يامين» يعمل معي في المخابرات في عقده الخمسين ولكنه

ما يزال في أتم صحته اسمه المستعار «الحاج رضا» له شركات كبيرة ومتعددة في محافظات العراق .. وأغلب رجال السلطة هم من أصدقائه المقربين .. وهو من سيوفر لك كل شئ وهناك سوف يراقبك رجاله لسلامتك وسيتابع معك التفاصيل.

كان جبينها يتفصد عرقا غير مصدقة يأكلها الذهول .. فتحت ثغرها لتأخذ أكبر قدر من الهواء لتتنفس بصعوبة .. ترمق الضابط نظرات حيرة .. صعقها الضابط بأمور أغرب إلى الخيال عقّد لسانها ولم تستطع الرفض .. ذلك الرجل الماكر الذي بات أمامها كالهلال الهزيل يبتسم بمكر .. فزادتها ابتسامته خوفًا على خوف.

الفصل العاشر

بغداد -شارع الرشيد-

من نافذة المكتب المُطِلَّة على شارع الرشيد كان وجهٌ يرتسم عليه القلق .. يراقب السيارات والمارّة .. ينتظر بحرارة «عفرا» .. جلبت له السكرتيرة القهوة ووضعتها على سطح المكتب شكرها فخرجت ينظر بعيون كعيون الصقر إلى الأسفل .. الشارع المزدحم بعينين مظلمتين أضناهما الملل يلقي على الناس نظرة شرزاء وكأنه برم من الصمت فقال محدثا نفسه :

- متى ستصلين أيتها اليهودية البائسة «لميعة» اسم مناسب لكِ صاحبة المرقص الليلي الجديد وصاحبة بعض الشركات الوهمية .. أتمنى لكِ مهمة موفقة بين هؤلاء الهمج.

رمى الطُرقات بنظراته الجامدة فجلب أنظاره سيارة سوداء فخمة وقفت تحت العمارة لتنزل منها «عفرا» مع شخصين قاداها إلى الداخل.

تحول عن النافذة وضغط على زر صغير بجانب الهاتف فدخلت السكرتيرة بسرعة ثم قال لها :

- «عفرا» تحت وستكون هنا بعد دقائق .. أدخليها عليّ فور وصولها .

وبعد زمن يسير دخلت «عفرا» ثابتة الخطى متماسكة .. قد ولّى الخوف من ملامحها الداكنة .. التي كانت قد طغت يومًا على فكرها الكئيب .. رحب بها «يعوديد» بابتسامة عريضة .. بانت على ملامحه الجد صافحها ثم جلسا على أريكة سوداء وُضِعَت ملاصقة

للشباك طلبت هي قهوة فأشار بإصبعه للسكرتيرة أن واحد قهوة ..

بعد كلمات الود والترحيب فرك «يعوديد» كفّيه ببعضهما ثم قال :

- الرسالة لو سمحتي .

أخرجت له الرسالة المُشفرة .. كانت تفاصيلها عادية تسأل عن أحوال الحاج وعائلته ولكنه استطاع أن يقرأ فحوى الرسالة المكتوبه بخط سري .. ما إن مرر الحبر الشفاف على الكتابة حتى ظهرت وبانت بشكل واضح الكتابة المخفية على ظهر الورقة.

بدأ يقراها بملامح لم يدم عليه الراحة .. فعبس على سطر قرأه ثم سألها :

- يقول بأن صفقة السلاح التي كادت أن تدخل العراق قد فشلت وألقت شرطة الحدود القبض على كل رجالنا من الفلسطينين وسيحاكَمون قريبا .. «عبدالرحمن عارف» ليس سهلًا .. يجب أن نطيح به هذه السنة .. فحزب البعث بقيادة « البكر» يترقبون فرصة الإطاحة به بأسرع وقت ممكن .. احذروا من العيون .. لا تنس حرق الرسالة فور انتهائك منها.

- قالوا لي في تل أبيب بأني سأتلقى مزيدًا من المعلومات عن الشخص الذي سأقوم بقتله .. متى سيكون هذا.

- من الطبيعي رجالنا سيساعدوك .. أنت ستنفذين خطط عديدة فلا تقلقي التنفيذ الحكيم مهم جدًا في عملنا .. «محمود بيك» ما يزال يسيطر على سوق السلاح رغم أنه قد خفف العديد من نشاطاته .. وبالرغم من سيطرة الحكومة على الأوضاع فإنه لا يزال يعيش صراعات داخلية تتأجج يومًا بعد يوم

وعلينا بتغذية هذه البلبلة .. أما بخصوص خصوم «محمود» من المعارضين في أهبة الاستعداد للنَّيْل منه .. لديه قريبه يدعى «قادر بيك» يعشق السلطة ويحب المال حبا جمّا بل وأكثر من كل شئ .. سنمكنه من أحلامه ونمدّه بكل أسباب القوة والسيطره على منافذ التجارة ليكون خير عون لنا في تمزيق كل مايزعجنا من الداخل ..« ثم وهو يحرق الرسالة » : كل شئ مدروس لا تقلقي.

- وكم ستطول مهمتي ؟

- عام أو عامين أو دهرًا .. أو شهر .. لا أحد يعلم.

ثم أطلق ضحكة سخرية على إثرها امتقع وجه «عفرا» وفتحت فاها مندهشة من سُخريته .. بينما قام هو نحو المكتب ليدّس عود الكبريت في قلب المطفأة .. ثم قال :

- جهزنا لك بناية الملهى الليلي منذ أول يوم تدريبك في تل أبيب .. وأوراق ملكيتك للشركة جاهزة ومكتبك الرائع فخم جدًا وراقي في التصميم .. ومهدنا لك الطريق لينتشر اسمك بشكل طبيعي .. ظهورك سيكون على مراحل .. تصرفك يجب أن يُدرس جيدًا وسأكون أنا أقرب إليكِ من حبل الوريد سأحميك .. لا نريد العجلة فهي أول طريق للفشل.

دخلت السكرتيرة بصينية القهوة ووضعتها بهدوء على الخوّان وخرجت .. سلّم فنجال القهوة لها .. فأخذ قهوته والتفت نحوها ثم أطال إليها النظر بابتسامة جعلت «عفرا» تتساءل في نفسها :

- كيف ستكون النهاية ؟

ثم أردف :

- لديك خبرة واسعة في التجارة والحياة ولذلك فإن من السهل

تجنيدك لإنجاز ما قد نطلبه منك بسهولة ودون خوف ستبدئين من مهمات صغيرة ثم سنجعلك تخوضين مسار العمل بمفرك وتحت حماية تامة من قبل رجالنا.

لم تتفوه «ببنت شفة» فهي تريد الآن شيئًا واحدًا «محمود بيك».

الفصل الحادي عشر

مضت الشمس ترتفع إلى كبد السماء ..

وكان «قادر بيك» على موعد مهم مع رجلين وامراة في مكتب فخم يقع في منطقة باب المعظم ببغداد .. كانوا ينتظرون قدوم المرأة التي ستاتي خصيصا للقاء «قادر بيك».

وبعد ساعة حضرت «المرأة» التي طال انتظارها .. دخلت المكتب واعتذرت عن تأخيرها .. وحال رؤيتها «قادر بيك» شدّ أعصابها حقد مؤرث وسخيمة مستعرة ...

جلسوا جميعا حول طاولة مستديرة .. فأخذ «قادر بيك» مجلسه بجانبها وبدأ النقاش الجاد يخيم على الجميع وبدأت «عفرا» كلامها :

- لقد سمعت عنك كثيرًا وأنا في لندن .. وسرّني جدًا لقائي بك يا «قادر بيك».

- الشرف لي «لميعة خانم».

- هناك في لندن مشاريع ضخمة .. وتوجد شركات تتطلع إلى أن تورّد للعراق بضائعها ولكن للأسف بعد إسقاط الملك تم منع أشياء كثيرة .. حتى تُجّار الأسلحة تضرروا من سياسة النظام الجمهوري الصارم .. فأيام الملك لم تكن هناك قوانين متشددة كما الآن .. ولذلك نحن نحتاج إلى رجل مثلك بشخصيتك وذكائك إن أمكن التوصل إلى اتفاق معك فلن يعوزك لا المال ولا السلطة التجارية التي من خلالهما ستسيطر على السوق بمفردك كما كانوا أجدادك سابقا .. وهذا

سيوفر عليك تعب أعوام لكي تصل إلى ما ستحققه من مكاسب معنا.

فقال أحد الرجلين :

- «قادر بيك» يُدرك كل هذا .. لديه خبرة واسعة في الحياة والتجارة .. ويعجبني أنه لا يعتمد على أحد .. ولا حتى على أقربائه .. قراراته يُصدرها بدون تردد.

وعقّب الآخر مؤيدا :

- نعم ولهذا اخترنا أن نتكلم معك بمواضيع قد تغير مجرى حياتك كثيرا .. فنحن نتعامل مع بعض منذ سنين وهذا سبب ثقتنا بك .. «لميعة خانم « أرادت شخصًا بمثل مميزاتك ولكي تتفق معها لتسهيل أعمال تجارتها بالإضافة إلى أن لديها ملهى ليلي خاص وبالمرّة نستطيع أن تُريح نفسك دون متاعب هناك .. سيد «قادر».. أنت لديك خبرة عالية في مجال التجارة وتستطيع أن تسهل أصعب الأمور .. تاريخكم يشهد بذلك كل ماعليك هو وضع يدك بيدنا وستحقق ما لن تحققه خلال مسيرتك التجارية مع قريبك.

كان «قادر بيك» يستمع باهتمام بالغ للثلاثة .. أعجبته فقرة الملهى الليلي جدا .. كان في هذه اللحظة قليل الكلام كثير السكوت يستمع بنهم دون أن يُقاطع أحدًا، كان توّاقًا للانخراط في الأعمال التجارية الضخمة التي تربط بغداد بلندن .. وكان حلمه أن يشتغل بمهاراته في إيطاليا فقد أذهلَتْه أعمال المافيا هناك وقصصهم .. أراد أن يوسع نشاطه لو توفر له راس المال ولهذا السبب كان يتوق ليسمع أكثر ويقرر إن كان مصيره معهم لا يمس حياته.

كانت «عفرا» تنظر إليه كثيرًا وكلما كانت تتحدث كانت تنكزه

من تحت الطاولة بقدمها وكان هو يتشتت رغم أنها كبيرة في السن ولكنها تستحق الاهتمام غنية لا يكترث لسنها .. كان ينتظر هذه الفرصة منذ وقت طويل فكيف لا يقبل .. ولكن يحتاج إلى المزيد من الاستماع لكي يُقرر.

- «قادر بيك» النادي الليلي تحت خِدْمَتك وأفَضِّلْ أن نمد جسر التواصل أكثر وتكون ضيفي دائمًا .. سأزداد شرفًا بزيارتك لي هناك .. نتواصل على رقم الهاتف الذي سيكون لديك أرجو أن تقضي وقتا ممتعا وكن على ثقة تامة أن العمل معنا سيكسبك مميزات كثيرة.

- طبعًا .. طبعًا .. الشرف لي قبل كل شئ.

ثم وجهت «عفرا» كلامها للجميع :

- «قادر بيك» سيقرر أن كان سيوافق كلامنا أم لا وأرجو من حضراتكم أن تمنحونني أنا أيضًا فرصة لكي أدرس المشاريع القادمة التي سننجزها في العراق.

مال «قادر» بجذعه نحوها وقال بأهتمام :

- أرى بأنّ هناك أمورًا تستوجب بعض الإيضاحات سيدتي.

ابتسمت «عفرا» ثم أجابت :

- أعلم ما تريد أن تسأل عنه .. لا تقلق كل ما تريد أن تعرفه سوف أجيبك عليه .. الأيام ستكون كفيلة بذلك .. فكما أعلم أن لديك خبرة عالية في استيراد وتصدير الأسلحة ومشروع التعامل معك بشكل مباشر أمر مهم جدًا أن توافق في الانضمام الينا.

- لن أسألك كيف تعرفتي على نشاطي .. ولكن ممكن أسالك

لصالح من تريدين إنجاز صفقة الأسلحة هذه ؟

- سأكون صريحة معك لأنني أعرفك جيدًا على الرغم من هذا هو أول لقاء بيننا العشائر هنا بحاجة إلى أسلحة الانقلابات التي قامت في العراق تمت بأسلحة تم إدخال أغلبها بطرق غير مشروعة الى العراق .. وأما بخصوص الأحزاب فيلزمها أسلحة حديثة لأنّ الدولة لا تسلح أحدًا وتسعى إلى إضعاف المكوّن الرئيسي في البلد وهو الشعب لكي يخضعهم تحت دكتاتوريته وجبروته.

- إذًا تريدين أن تتيسر أمور الصفقات لمساعدة المغلوبين على أمورهم .. من المعارضة !

- ليست فقط أسلحة بل هناك بضائع مُنعت بحجة أنها أجنبية وشعارات المقاطعة للمنتجات الاسرائيلية والأجنبية ملّ منها الشعب .. بينما الحُكّام يهنئون بما لذّ وطاب من رغد العيش.

- ولماذا لم تختاري «محمود بيك» ؟

- سيرفض فهو غير ممن سبقوه من أجداده .. أما أنت فإنك مختلق وتسيطر على أكبر مداخل التهريب في البلد ولكن الحظ يخونك دائمًا ولا يجعلك تهنئ بالمال لتنفقها على سهراتك والليالي الحمراء وأيضًا لديك أمور كثيرة تحتاج إلى أموال طائلة لكي تتحقق .. تجازف بكل شئ من أجل الوصول إلى أحلامك ..تريد أن تكون الملك ؟ ستكون و...

سكتت هي لحظة وراقبت عيناه ثم اكملت بحرارة :

- سنجعلك ملكا .. سنهبك ثروة إن تعاونت معنا.

ساد الصمت قليلًا ثم أكملَت بهدوء أكثر :

- وأنا هنا أعرض عليك صفقات مالية وستكون أنت من سيديرها كشريك وليس كمدير .. ننقلك من وضع إلى الأفضل لن يقف أمامك أحد .. فكِّر جيدًا ..إن أردت مقابلتي ثانية رجالي لن يتأخروا بإحضارك .. احتفظ بهذا استعملها في الوقت المناسب.

أخرجَت من حقيتها خاتم عليها رسم «النجمة السداسية» .. لبسها في إصبعه ولم ينبس بكلمة .. لاحظ بأنها تلبس نفس الخاتم وعندما استرق النظر إلى أصابع الرجلين وجد نفس الخاتم في إصبعها.

ثم قامت وقاموا معها وساروا معا حتى باب المكتب .. مدّت يدها إليه لتصافحه قائلة بصوت أنثوي حار :

- بانتظارك لإكمال الحديث .. على فكرة الخاتم هو الذي سيوصلك بنا فحافظ على سرّه جيدا «بيك» .. واحرص على ألَّا تفقده أو أن يعلم بأمره أحد .. البسه فقط عندما يتم استدعائك في اجتماع أو شئ طارئ ليتم التعرف عليك بسهولة.

الفصل الثاني عشر

العراق ثورة ١٩٦٨ «الثورة البيضاء» ...

لم تحتفل بغداد بانتصار ثورتها حتى ولو كذبا بالثورة البيضاء تمييزا لها عن انقلاب ٨ شباط «١٩٦٣» الدموي الذي بدأ بالهجوم على وزارة الدفاع «عرين الزعيم عبدالكريم قاسم» قائد ثورة ١٤ تموز ومرورًا بحفلة الإعدام الدموية في الإذاعة .. حيث قتل الثوار الزعيم وأغلب رفاقه ومن ثم المباشرة بهدر المزيد من دماء العراقيين والعراقيات من الشيوعيين والديمقراطيين الغير منتمين والمؤيدين لعبد الكريم قاسم .. وتم تسمية الانقلابيين بأنهم جاؤوا بقطار أمريكي حيث اعْتُقِلَ الناس من قبل جماعة الحرس القومي الدمويين .. والاعتداء الجنسي على المعتقلات من الآنسات والسيدات بالإضافة إلى تعذيبهن ومن ثم إعدامهن.

*****

في صبيحة يوم ١٧ / ٥ / ١٩٦٨ تسلّم «عبدالرحمن عارف « تقريرًا من مديرية الأمن العامة كُتب فيه :

- «إنه تم رصد بعض التحركات السياسية لعناصر بعثية دائمة الاتصال بـ «عبد الرزاق النايف» .. وترتإي الدائرة عدم التحرش فيهم حتى تكتمل الصورة لعناصرها القيادية».

فاتصل «عبدالرحمن عارف» بـ «النايف» وأَبْلِغْه بمضمون التقرير وأن البعثيين يستغلون اسم الأخير في تحركاتهم فنفى «النايف» ذلك واقترح اعتقال من بعثي ولكن الرئيس أجلّ ذلك كي لا يفسد تحركات الأمن .. وعندها أيقن «عبدالرحمن» أن هناك حركة

مـا لقلـب الحكـم وعـلى إثرهـا دعـى إلى اجتـماع ضـمّ أربعـة عـشرة شـخصية مهمـة ليُناقـش معهـم مـا جـاء في التقريـر.

وفي صبيحـة ١٧ مـن تمـوز ١٩٦٨ وقـع الانقـلاب ولم يفاجـئ ذلـك الحـدث الرئيـس العراقـي ممـا شـاهده مـن خيانـة صـدر مـن «احمـد حسـن البكـر» الـذي خـان عهـده برئيسـه .. كـما ولم يتفاجـأ مـن دخـول الانقلابيـين إلى القـصر .. حيـثُ كان جاهـزا ليـس كعادتـه ولم يُصـب بـأي أذى .. بـل سـألوه الثـوار :

- أين ترغب الذهاب ؟

فاختار الرئيس «عارف» تركيا لسببين :

* قربها من وطنه ...

* ولكونـه تـوًا عائـدًا مـن تركيـا .. وقـد سُـلّم إليـه مفتـاح مدينـة اسطنبول .. وإجلالًا لهم اختار تركيا ...

ورُبّ موقـف لم ينسـاه عندمـا كان السـفير البريطـاني متواجـدا في مطـار بغـداد حـال دون مغادرتـه العـراق بعـد أن صافحـه قائـلًا :

- وداعًا هذا ثمن من لم يحترم التاج البريطاني.

*****

قـوّس القـط الأبيـض ذو الشـعر الكثيـف ظهـره .. حالما فتحـت «عفرا» البـاب لضيفهـا .. وهسـهس بوجهـه عندمـا مـال عليـه وارتـدّ برأسـه إلى الـوراء ليتقـي مـن خربشـاته التـي ضاعـت عبثـا في الهـواء حتـى رفعتـه «عفـرا» عـن الارض بخفـة الريـش معتـذرة عـلى هـذا التـصرف البـذئ مـن قبـل القـط .. وأذنـت لـ «يعوديـد» بالدخـول قائلـةً بـأدب :

- أهـلًا بـك يـا حـاج رضـا وأعتـذر لهـذا الاسـتقبال الغـير مهـذّب من قبل القط.

- قطط السيدات المرفهة ذات الشعر الممشط والطبيعة الودود وقطط بائسة في أزِقَّةِ بغداد مشعثة تبحث عن رزقها في أكوام القمامة.

جلسا في صالة الاستقبال الواسعة فأمرت خادمتها بأن تحُضر الشاي .. وكان وجه «يعوديد» مُصفرًا وقلقًا مما أثار قلق «عفرا» بشكل غير طبيعي.

سألته بعد صبر قصير عن سبب هذا القلق الظاهر عليه بشكل غير طبيعي .. مما أدى إلى سريان بعض من الخوف في بدنها كسريان الدم في شرايينها .. فأجابها بعد أن تنفس عميقا ليقتل اضطرابه :

- يقول الأديب «شموئيل مورية» :

قالت لي أمي والأسى في عينيها

ظلمونا في العراق

وضاق المقام بنا يا ولدي

فما لنا وللصبر الجميل ؟

«فهيا بنا للرحيل»

- ماذا تقصد ؟

- بعد العصر الذهبي الذي عشناه كهيود العراق .. جاء «عبد السلام عارف» لقلب كل الموازين .. سنّ قوانين تعسفية بحقنا ومنعنا من السفر كما منع الطلاب من دخول الكليات بالإضافة إلى إسقاط جنسيات اليهود وتجميد أموال كل مَن لا يرجع للعراق خلال ستة أشهر.

أثار هذا الموضوع قلق «عفرا» ولجأت إلى الصمت .. وفرّت حواسها إلى قعر الجمود .. ثم وبحركة منها وضعت القط على

الأرض .. انتظرت الخادمة لتضع صينية الشاي على الخوان وخرجت صبّت فنجانين من الشاي .. سلمت «يعوديد» فنجانًا بيد ترتعش شيئًا ما .. لاحظها الأخير ولم ينبس بكلمة .. فقالت بقلق :

- ماذا يقلقك ؟ الانقلاب ؟

- بعد حرب الأيام الستة قرر رئيس الوزراء «طاهر يحى» صب غضبه على يهود العراق .. واعتقل العشرات في العام الماضي .. وتم تصنيفنا كطابور خامس لأننا حسب قول الصحف المحلية نقوم بنشر الفتن .. وأَمَرَ الشعب بمراقبتنا وعدم التعاون معنا طُرِدَ اليهود من الوظائف ولم يُسمح لنا بتجديد تراخيص الاستيراد ..ودفع ضرائب دخل إضافية كما مُنع الطلاب اليهود من دخول الجامعات .. وقطع الهواتف .. وطُردنا من النوادي الأهلية وجمّدوا حسابات اليهود في البنوك وحدّدت كمية النقود التي يتم سحبها من البنوك وبيوت اليهود باتت مراقبة ٢٤ ساعة من قبل الشرطة السرية والمخبرين ومُنعنا من السفر .. كل هذا يؤرقني وخصوصا بعدما تسلم «البكر» الرئاسة وأصبح الجزار «ناظم كزار» مدير الأمن العام.

ثم نظر باستسلام إلى «عفرا» قائلا بصوت حزين :

- عفرا يجب ان ننجز مهامنا وزرع ما يمكن زرعهم من مرتزقة ونرجع إلى ديارنا .. حزب البعث سيكشف كل ألاعيبنا إنهم أولاد زنا.. مهَّدْنا لهم الطريق ولكنهم جاحدين.

- سنُكشَف ؟

- حزب البعث ليس سهلًا .. إنهم ينوون على طرد الشركات الأجنبية قريبًا .. لديهم خطط ستؤول بنا إلى الدمار .. وهمهم

الآن قنـص كل الجواسـيس .. عليـكِ بالتحـرك بسرعـة وحـذر لكـي تنجـزي أهدافنـا .. فاليـوم أن أكـون معـك وغـدًا لا أضمـن لـكِ هـذا .. حـاولي تجنيـد «قـادر» لخدمـة مصالحنـا ومـن ثـم تخلصي من قريبه .. أوَليس هذا حُلمك ؟؟

- نعـم حُلمـي .. وحُلـم «دانيـال» .. ولكـن مـا الـذي يحـدث الآن بحـق الجحيـم .. أيـن ذهبـت شـجاعة اسرائيـل ؟ ولمـاذا كل هـذا الخـوف مـن العـرب ؟ ومـن الانقلابـات التـي تحصـل في العـراق أوَلسـتم أنتـم مَـن تقـررون وتشـعلون الفتـن ! إذًا مـاذا يحصـل لكـم الآن ؟ بدأت حركات المقاومة تقلقكم وتربك أفكاركم ؟!

الفصل الثالث عشر

تعاظمت مخاوف «عفرا» مع كل فرسخ مغامرة تخوضها في مهمتها الجديدة التي أُنيطَت بها من قبل الضابط الإسرائيلي فمنذ أن تركت «تل أبيب» لم تذق طعم الراحة بل يعصف بها الخوف كثيرًا وإن وارتها تحت قناع من الحزم والثبات .. أيامها صارت حافلة بالقلق منذ قيام الثورة البيضاء .. في الليل تدير النادي الليلي وهي جالسة في مكتبها العلوي وفي داخلها مليئة بالاضطراب التي تضربها كالعرادات وبدون رحمة .. والأيام الباقية تتواجد في مكتب الشركة تستقبل تُجارا وأناسا مختلفين بغية عقد الصفقات ولعلّ من بين ضيوفها أناس يعملون معها في المخابرات.

تتخبط في أفكارها .. تُرى لماذا قبلت بالمهمة ؟ أَحُبّها الشديد لإسرائيل أم هو نهم الانتقام الذي بدأ ينمو في داخلها لتنتقم من قاتل «دانيال « الذي لولاه لكانت ضائعة في بلاد لا تشفق على أحد من مواطنيها .. أو خوفًا من أن يصادر أملاكها أن رفضت المهمة وإلا فاغتيالها سهل للغاية ولكن لماذا هي بالذات ؟

تقدّم بها العمر وعوامل الإغراء في جسدها أغلبها قد جفّ كما تجفّ الأنهار في الوديان والمراعي الخضر إنها تتجه نحو الذبول الذبول ...

تملك نادي ليلي ؟ وشركات تجارية بأسماء وهمية .. ضحكت بعد أن مرّ على بالها بأنها يومًا كانت تعمل مغنية وماتكسبه من مال كان يضيع للإتاوات .. زبائنها الآن من كل الطبقات الاجتماعية والسياسية .. تتعرف كل يوم على ضحايا من الشخصيات المهمة يدخلون منتشين مع إحدى المومسات اللواتي يعملن في الملهى ..

ويتم تصويره من دون أن يعي ذلك وهو يمارس الجنس مع المومس في إحدى غرف المتعة.

رجال مهمين في الدولة سقطوا ضحايا .. يتم استغلال مناصبهم وتهديدهم بالفيلم «الصاروخ» الذي سيحطم جبروته .. وعند انتهاء صلاحية أحدهم يتم إرسال الفيلم الجنسي من قبل مجهول إلى الوزارة أو مديرية الأمن أو المخابرات فيتم عرض الفيلم على المسؤولين ثم يُقرر بإعدامه لثبات خيانته للوطن .. وتسريبه أسرارًا أمنية.

الوقوع كفريسة مع إحدى مومسات النادي سهل جدًا وخصوصا لو كانت فاتنة ولم تُكمل العشرين بعد .. فالرجل يفكر في الجنس أكثر من الوطن .. فكل هذه الحروب تدور رحاها من أجل المال والسلطة .. والنساء هن قلب المتعة.

استطاعت «عفرا» من تحقيق تقدم كبير لصالح عملها خلال فترة قصيرة من العمل الجاد .. فأوقعَتْ بالعديد من السياسيين ورجال الأعمال في مآسي خطيرة من خلال الانتقاء الدقيق للطُعم والإيقاع بهم بسهولة في خطة جهنمية تنهي حياتهم .. نزواتهم لم تتحمل .. نظامهم الدفاعي هوجم بسهولة من خلال إدمان القمار واقتراضهم أموالًا كبيرة بالإضافة إلى الفوائد فيضطرون إلى توقيع وصل الأمانة وهنا بداية السقوط .. ليُقصم ظهورهم ويُلبّوا ما يُطلب منهم تحت تهديد السجن أو من خلال الأفلام الجنسية التي صُوّرت لهم خلسة.

«قادر بيك» زار النادي مرة واحدة ثم كرّرها عدة مرات .. توالت زياراته وتشجع أكثر بعدما كانت طلباته كلها مستجابة وبدون أن يدفع فلسًا أحمرًا «كما يقال».

اطمأنت «عفرا» بأنه أصبح لقمة سائغة ولن يتواني الآن في بيع أقربائه في سبيل المال .. وكان على عكس «محمود بيك» حاد اللهجة مكروه من قبل الأغلبية .. فظّ الأسلوب لا يثق بأحد تعرض لعدة محاولات قتل وفي كل مرّة تسعفه الظروف ويُنْفَذْ من الموت المُحَقَّق ويلين أمام سحر المال وبريق سبائك الذهب.

*****

كانت الشمس الحمراء قد بدأت رحلة المغيب عندما كانت سيارة مجهولة يستقلها اثنان يتعقبان كل تحركات «محمود بيك» حتى وصل إلى الفيلا التي تسكنها «مائدة خانم» وانتظر فترة قصيرة لكي تُفتح له البوابة الكبيرة .. ثم دخل وغاب عن العين بينما الرجلان المجهولان جالسان يراقبان بصمت وصبر الهدف .

أثار غياب «محمود» لساعات طويلة تساؤلات الرجلين اللذين يحاولان أن يصمدا أكثر لينفذا المهمة بنجاح.

تمتم أحدهما :

- خمس ساعات في الداخل ؟ عليه اللعنة ماذا يفعل في الداخل ؟

أجابه الآخر ساخرًا :

- اسأله.

- لن أسأل رجلا سيُقتل على يدي كالكلب بعد قليل .

- في هذا المكان من الصعب قتله صاحبة الفيلا لن تتركنا نمر بسلام سنقع في مواجهة خاسرة مع رجالها إن لم نتدّبر أمر قتله بحكمة .. تذّكر أنه رجل له خبرة في القتال أيضًا علينا أن نختار مكانًا أكثر أمانًا من هنا.

هنا فطن الثاني على شئ فجهر به على الفور متسائلا :

- خرج بدون أن يصاحبه حتى ولو شخص واحد.

- لربما لا يريد أن يعلم أحد بتحركاته حتى ولو رجاله وهذا أكيد طبعا.

كان هدوءًا قد ساد على المكان .. يملأ الشارع وحشة غريبة وكأن المكان قد ضربته عاصفة أو مرض فتك بالجميع فأصبح المكان كقرية مهجورة الأمان قد تبخر الآن .. وبات المكان ملاذًا للأرواح الشريرة تجوب المكان براحة تامّة.

بعد فترة خرج رجلين جابا أطراف المكان ثم رجعا الى داخل الفيلا ومن ثم بفترة يسيرة مرت سيارة سوداء اجتازت السيارة الواقفة بمسافة قليلة ثم توقفت على مسافة قصيرة منها.

لم يشُكا من تلك السيارة التي تقف على مقربة منهما فقط .. بل فقد كان تحرك الرجال مشكوكين من امرهم .. المشهد الآن يوحي بأمور تُنذر ببعض الشؤم .. دقق الرجلان من خلال المرآة على السيارة الواقفة في الخلف فكان بداخلها ثلاثة أشخاص ظلوا ساكنين فيها لا يريمون هنا نظرا بعين الريبة وقد وثقا من شئ .. ولكنهما استبينا ذلك بعد فوات الأوان ...

فالرجال نزلوا بسرعة ثم التفوا حول السيارة وتم تطويقها وهم يشهرون بمسدساتهم ويصوبونها عليهما ولم يمض زمن يسير حتى أطلقوا النار عليهما فتناثرت قطع الزجاج واخترقت الطلقات رأسيهما فقُتِلا على الفور .. ولاذ القتلة بالفرار على الفور.

لم تمضي دقائق حتى خرجت سيارة «محمود» يقودها بنفسه واتجه عكس اتجاه مكان الحادث ليبتلعه الطرقات بسرعة.

الفصل الرابع عشر

تنداح إلى مخيلته في أغلب الأوقات : أي ذنب اقترفه ليكون هدفًا مهما للقتلة ؟!

خسة الروح تجعلها تنزلق للإجرام وبخطى واثقة لا يصدّه أحد فالمجرم يتمتع بمميزات قاسية فغالبا يكون لديه قوة أعصاب تميزه عن الآخرين .. يقتل ببرود يترأس عصابة .. يظلم بجحود يكون مغمورًا في دناسته حتى النخاع ولا يستطيع أحد من أن يتسربل إلى داخل عقله ويقرأ محتواه الإجرامية .. أو حتى أن يُفكر أحد بمحاكمته بسبب قابليته على إسكات الأفواه بسحر المال.

أما في الليالي الحمراء .. يتزاحم الضيوف في القصر ملبين دعوة كبيرهم .. فتنحني له قامات تنحني له في حالة ركوع دائم.

ونساء يحرقن أطراف الرجال بهز قدودهن وغنجهن الفائر حيث تثقل الرؤوس .. وتبقى دائما كلمات النفاق والمجاملة معجونة تستعر على لهيب شهوة مؤجلة.

هذا ما يفعله كبار الساسة والتُجّار ممن عرفهم بزمانه هو لم يفعل ذلك .. لم يتملق أو يقتل فقط قتل شخصًا ليس لأنه يهودي .. بل بالعكس اليهود بشر مثلنا وفيهم الطيب والشرير ولكنه قتل قاتل أبيه بالتَّبَنِّي .. قتله غدرًا .. تحكي له أمه كيف وصلتها جثته مشوهة .. الرأس مكسورٌ اندلقت حشوة دماغه وكان منظرًا وميتةً تخلو من الرحمة .. هو يؤمن بأن الانتقام ليس حرامًا إن كان على حق .. ولو عجز القانون حينها ينطق السلاح بالحق .. «العين بالعين -والسن بالّسن- والبادئ أظلم».

الحمدلله أنه لم يظلم أحدًا بعد أن تولى رئاسة شركات وأملاك ورثها بالحق خان زوجته عدة مرات وتلك مسالة تؤرقه ولكن النفس أمّارة بالسوء .. فـ «مائدة خانم» قنبلة موقوتة لا ترحم بني الرجال خان زوجته مع عشيقة والده قبل ذلك .. والآن مع صديقة زوجته الدنيا كدولاب الهواء تدور وتدور ثم تعود إليك ولكنها لن تستقر لديك .. فكل شئ مُغادرك .. ونحن أيضًا مغادرون .. فلِمَ يظلم الناس بعضهم البعض وهم يُدركون بأنهم زائلون .. «مائدة خانم» تسللت إلى قلبه رغم فارق السن .. يومًا سمعها تقول له «أَتَعْلَم أن فارق السن تزيد من نشوة العلاقة وتزيد حلاوتها .. حيث لا تشبع المرأة من لذّة الشبق» ..

يحترم «مائدة خانم» وأعجبته ذكائها حينما أنقذت حياته من محاولة اغتيال أكيدة فأرسلت برجالها ليقضوا على الشخصين .. وسهلت عليه مغادرة المكان بعد ذلك .. أَعْلَمَتْه بالمحاولة بعد مضاجعة دامت ساعتين .. كانت تعلم بأنه مستهدف وأخفت عليه السر كانت وهي مستسلمة له .. مستلقية تحت جسده العاري .. تفكر في راحته وراحتها .. ولم تشأ أن تُخرّب عليه ساعته .. إنها تشعر براحته من خلال حرارة قذفه ملئ بحيوية ولوعة وبعد الشبق الأول والثاني ووووو.. جعلته يرتاح ويستحم ومن ثم فاجأته بالخبر فصُدِم .. أي نوع من أنواع النساء هي ؟

كيف علمت بكل هذه الأمور وهي لم تغادر سكنها هذا الصباح ؟ هل رجال المخابرات يضاجعونها لكي يُعلموها بالأخبار أولا بأول ؟

الحقيقة .. والحقيقة تُقال .. أن ... «مائدة» .. ذكّرته بشخصية «أشرقت».

الفصل الخامس عشر

«بعد عدّة سنوات» :

كان سنّ «راسم» قد بلغ الحدّ القانوني لكي يُساعد والده في إدارة أمور شركاته ومصالحه في الداخل وفي الخارج خصوصا بعدما تجاوز والده سنّ الستين بالرغم من أنه ما يزال يتمتع بصحة جيدة وكأنّه شاب في الثلاثين ولده «وسام» قرر ترك أعباء التجارة لـ «راسم» بينما سيكمل هو الجامعة في أمريكا ويقيم هناك لسنوات و«مأمون « دخل كلية الشرطة وتَخَرَّج مُلازِمًا .. أما «راسم» فقرر إكمال مشوار والده التجاري وقد كسب في نفس الوقت ثقة عالية من والدته التي منحته صلاحيات ادارة الشركات وتنسيق إمضاء العقود والاتفاقيات مع بقية الشركات وإلى آخره من مميزات حصل عليها من والدته بسبب ذكاءه الحاد وعلاقاته مع مسؤولين كبار في الدولة بالإضافة إلى علاقاته بالقُضاة فقررت هي أن تتقاعد وتُسَلِّم الأمور إلى «راسم» الذي قرّر بدوره دمج شركات والدته الاستثمارية مع شركات والده الكبيرة .. وقرر أن يُكمل أيضًا مشوار والده بعد أن قرر الجلوس في البيت إثر مرض القلب الذي أَتْعَبَه كثيرًا ولكنه بالرغم من كل ذلك لم يستطع أن يكسب ولاء كبار الشخصيات من -بيت القاضي- وبدلًا من أن يبني جسر العلاقات لتمتد بينه وبينهم .. اعتبرهم أول أعداءه .. وأن التصفية الحقيقة يجب أن تبدأ منهم.

وكان على عكس والده تمامًا يحتمي بجيش من الحرس الشخصي سريع الغضب وله قلب ران عليه الكره والحقد وكان يصطدم كثيرا بنقاشات حادّة مع «قادر بيك» بالرغم من تحذيرات والده

بعدم المساس أو إهانة أي شخص سواء من أقربائه أو غريب و مهما بلغ الأمر من سوء .. فعليه احترام الناس.

في إحدى المرّات اكتشف «راسم» عن طريق أحد رجاله .. بأن هناك صفقات وهمية تم التوقيع عليها وعلى إثرها تم سحب مبالغ طائلة لا أحد يعرف إلى أي جهة أو شركة تم تحويلها ومما زاد من حدّة المشكلة اختفاء «٣٠٠» ألف دولار من خزينة الشركة الواقعة في فرعهم الكائن في لندن.

على الفور سافر «راسم» بعد أن أبلغ والده بالخبر .. وبدأ يعمل جاهدًا مع المجلس التحقيقي لاكتشاف السارق .. وتبّين بعد فترة بأن الفاعل الذي هرب .. هو موظف في قسم الحسابات يهودي الأصل .. تم تعيينه بناءًا على توصية خاصة من «قادر بيك» وأن المبالغ لا تزال في مكان مجهول.

رجع «راسم» إلى بغداد .. غاضبًا .. وطلب من سائقه قبل أن يغادر المطار أن يتوجه به إلى الشركة فورًا ومن دون تأخير وعندما وصوله إلى الشركة دخل وقد اشتاط غضبه وكانت النار تستعر في جسده لم يجرؤ أي موظف أن يرحب به كانوا حراسه يومؤون إلى الموظف الذي يقابلوه في الممر بطرفة عين صارمة بأن يتنحى جانبًا عن الطريق .. الغضب بدأ يتلوّن بألوان غائمة في عيني «راسم» .. والجميع خائفون .. أخذوا وضعًا رجائيًا توسليًا على الرغم من أنهم لا يعرفون سبب الغضبة.

يمخر الطريق الطويل كثور هائج أو كقطار سريع ينفث الدخان من دماغه .. توقف هو عند مكتب «قادر بيك « فتقدّم أحد حراسه وركل الباب بقوة بساقه ليسمح لسيده بالدخول .. وجدوه منهمك مع السكرتيرة .. يوقّع أوراقًا مهمة .. طردها «راسم» بحدّة وغادرت على الفور .. بإغلاق الحرس الباب كان كافيًا في نشر الرعب في قلب

«قادر بيك» .. ارتبك جدًا فرفع يده يحذرهم ولكن أحد الحراس لوى يده بسرعة وعاجله بضربة في رأسه استقرت في منتصف وجهه .. كانت كفيلة بانفجار الدّم من أنفه سقط يصرخ على الأرض ولم يجرؤ أحد من بعض الموظفين اللذين باتوا يرقبون الحدث خلسة من إسعافه سقط ضعيفًا يركله الحرس من كل حدبٍ وصوب .. و«راسم» يشاهد بأعصاب باردة ما يحدث .. وكأنّه يفشّ غِلّه من هذا الشخص الغير مرغوب فيه ولكن الحساب لم ينته بعد.

هنا تغيّرت الموازين تولّد عداءًا أبديًا بين الاثنين رغم انتمائهما الواحد إلى شجرة واحدة الاثنين لهما ثقليهما بين العائلة لم يكن والده «محمود بيك» ليتوقع يومًا أن الأمور ستسوء لهذه الدرجة في العائلة الواحدة وخاصةً عندما رأى بأن «راسم» قد اكتسب نفس قساوة جدّه الذي فقد حياته بسبب عجرفته وسوء تقديره للأوضاع.

«راسم» يحتمي بجيش من الحرس .. وبدأ يخوض في عمليات الاغتيالات التي تُطال كبار التُجّار وبعض الشخصيات السياسية من الحزب الشيوعي .. مستغلًا عدم الاستقرار السياسي الذي كان يعصف بالبلد آنذاك.

لم يسكت والده على تصرفات ولده وخاصة بعد الهجوم الأخير على قريبه .. الذي فتح بابًا للحروب التجارية القذرة والشرسة في سبيل المال مع كبار الشخصيات من بقية العوائل .. فقد كان «محمود بيك» طيلة السنوات الماضية يسعى وبنجاح أن يبني سلامًا معهم.. ولكن ظهور «راسم» على الساحة أنهى كل شئ فلم ينصع لأوامر أو نصائح والده واعتبر الهدنة بين العائلات هو ضعف وإهانة لـ «بيت القاضي» والذين كانوا يملكون بدورهم

علاقات واسعة مع رجال السلطة من السياسيين المهمين .. ولّما اطَّلّع والده في البيت على ملّفات الاختلاس التي تورطّ بها قريبه رفض أن يقام التحقيق على أساس العنف والقتل .. وأنه يجب أن يُحاسب المقصر بالقانون وليس بالقتل والعنف .. وكان دائم النصح لابنه بأن يعقل ويراجع نفسه.

*****

لم تتقبل «عفرا» ما وصلتها من أخبار عن الضرب المبرح لعميلها فاستائت و بشدّة واتصلت بـ «يعوديد بن يامين» أو «الحاج رضا» تُعلِمهُ ما لاقاه العميل من الضرب على يد «راسم».. وعلى الفور طلب مقابلتها.

في مكتبه التقيا .. لم تُخْفِ عليه بالمرة قلقها على وضعها أيضًا بعد الثورات التي اجتاحت العراق مؤخرًا فقد أمضت فترة طويلة فْي العراق قدّمت خلالها خدمات جليلة للمخابرات الإسرائيلية وبالرغم من ذلك باتت توجس خيفة من الأحداث الغير مطمئنة التي تجري في العراق من اعتقالات للعملاء .. تقدّم بها العمر وما زالت منشغلة بواجبها السري المهم الذي غير مجرى حياتها تريد انقضاء المدّة بأقصى مدة زمنية ممكنة والعودة إلى برّ الأمان والاكتفاء بما تملكه من ثروة هائلة تكفيها مدى الحياة هذا ما تتمناه الأن وحسبها ذلك .. تريد أن تنهي حياة الغربة بأسرع ما يمكن وأن تتقاعد وإلى الأبد.

- تعلمين أنه متورط في سرقة «٣٠٠» الف دولار أمريكي من خزينة الشركة التي في لندن .. غير الفُتات الذي لم يُعلن عنه بعد .. عميلك يا سيدتي لم يُبّلغنا عن اتصالات «محمود» بالقادة العسكريين العراقيين ولقاءه بهم حول بناء قاعدة عسكرية مهمة وضخمة تشرف على بناءها إحدى شركات

«القاضي» للبناء رغم أنه من المفترض أن يكون متقاعدًا من كل شئ .. ولكن بسبب غباء عميلك فشلنا في تجنيد أحد كبار الضباط العسكريين .. وهذا سيكلفه الكثير.

- أعرف أنه مُقصر ولكن علينا ألَّا ننسى بأنه قدّم لنا خدمات كثيرة ولا سيَّما في الآونة الأخيرة.

- ولا تنس أن ما يكتنزه من مال فهو بسببنا .. وفضلُنا على هؤلاء الكلاب الخونة لا يُحصى .. «عفرا» عليكِ أن تعلمي شيئًا واحدًا فقط .. مثل هؤلاء لا يهمهم سوى مصالحهم ونحن مصالحنا أهم .. أنا هنا درست في حوزاتهم سنين طوال .. وصليت معهم وصُمت رمضانهم .. وحفظت كل شوارع النجف وكربلاء ومعالم مدن الجنوب وانغمزت في تفاهاتهم وقد كنت أول شخص ممن يموّلون شعائرهم وإقامة مجالس التطبير ليطبّروا رؤوسهم الفارغة .. وأقمت للزائرين سرادق وولائم ودروس كل هذه الظروف هي أكثر من كافية لكي نتقدّم في احتواء هذا البلد .. إن لم نتحرك فسوف لن ننجح بشئ .. هؤلاء أقوام خلقهم الله حميرًا يُحمِّلون أنفسهم عبء الحياة وجريمة عمرها أكثر من ألف عام .. الأدمغة مغسولة بالدّين .. رجال الدّين سيطروا عليهم بأقاويل من زخرف لا أول لها ولا آخر.. ثم أحالوهم إلى دُمَى ..» البَكر» لن يقبل بهم هكذا وهو يعلم بتدخل إيران بشؤونهم .. ولا سيَّما فهناك ثورة عارمة ستجتاح إيران ضد «الشاه» وستقوم ثورات وثورات في العراق ولربما تجتاح كل الأقطار العربية .. المهم أن نزوّد العشائر بالسلاح .. سنبيع لهم كل شئ وسنمدّهم بما يطلبون .. إن لم نضرب البلاد ببعضها فسوف لن تستمر دولتنا .. فكّري في ذلك جيدًا .. أعلم مدى لوعتَكِ لقتل

غريمَكِ وأنا سوف أخطط معك لتحقيق هذا الحلم وسترجعين إلى إسرائيل قريبًا.

حلم الرجوع إلى إسرائيل بدأ يجتاح تفكيرها .. وأيضًا هدفها في الانتقام بات من ضمن قائمة الأولويات التي فرضتها عليها الأيام .. هناك حاجز يفصلها عن قتله والذي تدعوه بالفرصة ومن خلال الثغرات المشؤومة راحت تنظر إلى ما وراء هذا العالم نظرًا موصولًا فلم تتوفق في رؤية شئ سوى ظلام الانتقام وكأنها ترى كيف أن السكين يحتز عنق «محمود» الذي تقدّم به العمر .. وأحيانًا تعصف بنا صدمة من العنف بحيث تجبرنا على أن نتخذ قرارًا أو موقفًا ضد أو مع فكرة الانتقام.

إنَّ قتْلُهُ هو تخثُّرُ القانون وهي تُدْعَى المنتقمة .. وأي امرئ يرى الموت كأنه يزلزل بارتجافات ليس أعجب منها ولا أشد غموضًا ففي القتل هواجس مروعة التي تقذف مشهدها بالنفس الإنسانية إلى خضمها السلاح شريك القاتل في الإثم .. يأكل ويفترس ويسفك الدم .. والانتقام غول من ضَرْبٍ ما .. فهو شبح يبدو وكأنه يحيا بضرب من الحياة راعب فكيف هان عليه أن يقتل الرجل الكبير ؟! كيف ستتركه يحيى ذلك الأرعن .. كيف ستتركه يموت موتًا طبيعيًا من دون أن ينزف قطرة دم أو أن يتألم وهو يموت ؟! مُحالٌ أن تتركه بدون أن تسفك دمه.

- «محمود» تقاعد ولكن ليس بشكل كُلّي فهو ما زال يلتقي بالضباط الكبار سواء من الجيش أو بقية الأجهزة الأمنية وفي قصره يقيم مجالس العزائم والولائم وقرقعة الكؤوس المملوءة في هذه الدعوات تصم الآذان لن يكون سهلًا أبدًا إيقاعه في الفخ .. ولهذا السبب فإن «قادر» عليه يغير سياسته مع «راسم» ويقترب منه أكثر .. لا أن يوّلد عداوة نحن في

غنى عنها.

أجابت «عفرا» بلهجة تعبّر عن خيبة الأمل في هذا الكلام :

- وهـذا لـن يكـون سـهلًا «راسـم» مجنـون إلى حـد غـير معقـول لقـد وصلتنـي أخبـار تقـول بأنـه يضاجـع القاصريـن مـن الأولاد وأيضـا القـاصرات ومـن ثـم يضربهـن بشـدّة دون أن يدفـع لهـن أجـر الليلـة .. وهنـاك أخبـار عـن نيتـه عـن عـزل والـده مـن كل شـئ وهـذه الاخبـار وصلتنـي مـن مصـادر موثوقـة مُقربـة منـه لقـد لعـب بقـذارة في اوراق مهمـة مـن أجـل أن يخلـع والـده نهائيـا ويبعـده عـن طريقـه .. لكـن بقـاء والدتـه عـلى قيـد الحيـاة هـي كحَجرْ في حذائه تحول دون ذلك.

- المجنـون سـيقتلها حتـمًا .. ليسـتولي عـلى ثـروات طائلـة .. مـاذا عن إخوته ؟

- «وسـام» في أمريـكا منشـغل بدراسـته ويُقـال بأنـه قـد تـزوج ومأمـون يعمـل ضابـط شرطـة الحـدود الشـمالية ومقـرّه -أربيـل- حاولنـا أن نقـدّر مـدى درجـة الاسـتفادة منـه والإمكانيـات والثغـرات التـي ممكـن أن تقربنـا منـه .. ولكـن للأسـف هنـاك شـكوك بأنـه يتعامـل مـع أحـزاب أخـرى ويديـر رئاسـة مجموعـة مـن الضبـاط عملهـم عقـد صفقـات مشـبوهة مـع روسـيا ومـع دولة مجـاورة أخـرى .. لتهريـب أسرار وملفـات عسـكرية لقـاء حصولهم على دعم عسكري كبير.

اشْرَأَبَّ عنـق الرجـل ثـم مـال برأسـه نحوهـا مـن خلـف المكتـب قائـلًا :

- أي نوع من المؤمرات التي يريد أن يتورط بها ؟

- مـن المحتمـل قلـب النظـام الحـالي .. وهنـاك صفقـات أسـلحة

دخلت عن طريق الحدود السورية عبر أراضي شمال العراق وتوجهّت إلى إيران .. وكانت جميع الأدلة تشير بأن «مأمون» بالتعاون مع بقية الضباط قد وفّروا غطاءًا أمنيًا لحماية هذه العملية.

- «عفرا» أريد معلومات تفصيلية عنه .. ركزي عليه جيدا ابعثي بعض المصادر لكي ندرس أكثر عن تحركاته .. هذه معلومات مهمة أن لن نستغلها قبل فوات الأوان فلن ينفعنا ما عملناه سابقا أبدًا .. هل لديه عشيقة ؟

- لا فهو ملتزم جدًا.

مال بظهره إلى الخلف وقد لاحت علامات الرضا والارتياح على وجهه :

- الملتزمون هم أكثر الناس حُبّا وولعًا بالعشق .. راجعي قائمة الفتيات واختاري الأذكى منهن .. أريدك أن ترسلي له أنثى طاغية لا ترحم .. وفري لها السكن والمال الكافي وما تحتاجه في مهمتها من أمور.

الفصل السادس عشر

كان مرضها المفاجئ توقيتًا خاطئًا اجتاح فجأة حياة العائلة ولا سيَّما «محمود بيك» الذي تفاجأ بالمصيبة التي أهلكت زوجته فجأة وأجبرها المرض الفتّاك أن تدخل المستشفى لتلقي العلاج بعد أن أكدّ الطبيب خطورة حالتها وأنها قد تعرّضت إلى حالة تسمم خطيرة بمادة الزرنيخ .

قبل أسبوعين من مرضها ناولها «راسم» كالمعتاد كوبًا من الحليب لكي تشربه .. أعده «راسم» لها كما يفعل كل صباح قبل أن يخرج إلى عمله .. ولكنّها أحسّت بأضطرابات نفسية اجتاحتها بقوة وتشنجات وغيبوبة بعد أن ضرب هذا العنصر في جسمها ضربًا خطيرًا .. فتأثرت قشرتها الدماغية ومن خلال الأعراض والتحاليل التي بانت عليها أكدّ الطبيب المعالج لزوجها بأصابتها بتسمم خطير جدًا .. وان المادة المسممّة تدعى «الزرنيخ» تم دّسها في كوب حليبها صباحا فلم تكن هناك أية علامات على الحياة وبالرغم من ذلك تم تنفيذ عملية الإنعاش القلبي الرئوي ولكن بلا جدوى.

وبسبب الجائحة المرضية التي أصابت زوجته فقد تبدد على أثرها صحة «محمود بيك» كثيرًا وقوته الذهنية باتت شبه منتهية وفقد التركيز وصار يخلط بين الأشياء كلها .. أنها الشيخوخة المبكرة التي ضربته فجأة .. بسبب مرض زوجته بالتسمم.

*****

لم يكن «راسم» مرتاحًا من تقرير الطبيب الشرعي الذي طلب

فـورًا فتـح تحقيـق مسـتعجل للاسـتبيان في موضـوع التسـمّم الـذي حـدث عمـدًا .. فبعـث برجالـه لكـي يُعاقبـوا الدكتـور العنيـد الـذي رفـض أن يرضـخ للرشـاوي مقابـل تحريـف مجريـات القضيـة .. وفعـلًا تـم تصفيتـه عـلى الفـور ورمـوه جثـة متفحمـة في إحـدى المزابـل .. بعـد أن تـم تعذيبـه بشـدّة.

كان مستسـلمًا لهدوئـه تحـت خريـر الميـاه السـاخنة التـي انسـالت عـلى رأسـه وغطّـت أذنـه وعزلتـه عـن عالمـه تخللـت أصابعـه فـروة رأسـه التـي كان يحرثهـا خـدرًا واسـترخاءًا .. ثـم خـرج مـن الحـوض منتشـيًا ووقـف أمـام المـرآة عاريًـا وتَطَلَّـعَ إلى نفسـه بـكل رضى وخيـلاء .. مسـح بخـار المـاء وتَطَلَّـعَ إلى نفسـه راضيًـا جلبـت انتباهـه شـعرة تعمّـدت أن تفضحـه ببياضهـا وعنادهـا عـن باقـي أخواتهـا فعاقبهـا بالنتـف عـلى الفـور فاصِـلًا إياهـا إلى الأبـد عـن جلـد رأسـه المثقـل بهـوس السـلطة خـرج مـن الحـمام يلبـس شـورت وتي شـيرت فـبرزت عضلاتـه ووسـامته اللتـان أضفتـا لشـخصيته الهيبـة .. كان هنـاك ضيـف ينتظـره قرابـة سـاعة في صالـة الجلـوس أراد أن يقـف إحترامـا فـردّه «راسـم» بكـفّ يده باسـمًا فمنعـه مـن الوقـوف بابتسـامة مـن وجهـه .. ربـت عـلى كتفـه برفـق ثـم توجـه نحـو البـار ليصـبّ كأسـين مـن الويسـكي .. نـاول الضيـف كأس واحتفـظ بالثـاني لنفسـه ثـم اتخـذ مجلسـه عـلى مقربـة منـه قائـلًا :

- أهلا دكتور.. زيارة عزيزة.

بابتسـامة صفـراء سـلّمه الدكتـور ورقـة مختومـة ثـم رجـع بظهـره إلى الـوراء فخـورًا بإنجـازه ينتظـر كلمـة رضـا مـن صاحـب الطلـب أخـذ «راسـم» الورقـة وقرأهـا بصمـت ثـم مـا لبـث أن انفرجـت شـفتاه عـن ابتسـامة كانـت مدفونـة بينهـما قائـلًا :

- هـذا هـو الـكلام المضبـوط أنـا تخلصـت مـن التقاريـر المقرفـة التـي تنسـب القضـاء والقـدر إلى جريمـة ومحاولـة بالقتـل

كلمات فارغة كانت مكتوبة في التقارير السابقة .. سأستبدلها بهذه الورقة .. أتعابك ستصلك غدًا وكما اتفقنا وقبل أن تغادر أعتقد بأن المريضة التي تعاني آلامًا يكفيها عذابًا ارحمها ولتذهب إلى دار حقها .. بدلًا من أن تتألم بلا فائدة من شفائها.

- أمرك «بيك» الليلة سنرحمها.

*****

صكّت الدنيا أبوابها في وجهه فهام بصدمته وغامت الوجوه أمام عينيه المحشوة دمعًا تفجّر قطراته مع شوك الخبر الذي تلقاه رآها غير مصدّق .. ودّعها إلى مثواها الأخير غير مصّدقٍ تصلّب في مكانه وقد طلى المكان كآبةً لم يعتادها من قبل فقط مرّة واحدة ضربته موجة الفاجعة عندما توفيت والدته تركته بائسًا للأقدار مع شريكة حياته الجديدة آنذاك.

لكنه لم يُصدق عينيه وهو يودع زوجته .. غادرته وتركته بين أمواج التحدّيات يُصارع رعونة الحياة وحيدًا ..

لم يثق يومًا بالدنيا لأنها مفعمة بالغدر .. سلبتها قساوتها كل أنواع الوفاء .. لكن كلمات الدكتور كانت كالخنجر في خصره وصل أذنيه فخرقتها .. بحزن مكلوم .. صُدم وتجمدّت أطرافه أراد أن يريح عجيزته على الكرسي .. لكنه لم يساعده في تخفيف الوجع فتدحرج حزنه إلى قلبه وعقله وشُلَّت أطرافه وصار يبكيها ليل نهار .. ذلك الزوج الباسق الراشق نهشته غربان الأقدار في لحم قلبه .. لتتركه مكدودًا وجسدًا مشدودًا وعينين متورمتين.

كم كان قويًا .. وكم أزاح من الرجال من أمامه ودّمرهم ودّمر مصالحهم .. عندما كانوا يسعون لهلاكه ولكنه قلَب خططهم

عليهم بذكائه .. واغتصب منهم نفوذهم وماهم .. فقد كانوا رجالًا بلا رحمة فأزاحهم بعقل وحكمة.

الفصل السابع عشر

كانت تصرفات ابنه كافية بأن يتكدّر وجهه أكثر وأكثر .. بل لم يتوقع نفسه أنه سيلبد يومًا إلى طلب الحماية من الغرباء ولكنه صُدم بقوة ابنه وأن عليه أن يستسلم للأمر الواقع .. فقد أعلن الجميع رفضهم واعتذروا من حمايته من شرّ ابنه .. لأنه الأقوى الآن في الساحة بالرغم من التغييرات السياسية التي تجتاح البلد .. لم يتوقع أنه سُيسلّم كل شئ وبسهولة إلى ابنه وبالإأكراه وخاصة بعد أن حكمت المحكمة بشكل نهائي على صحة العقود والمستندات التي قدّمها لهم .. وأن الأملاك قد تم بيعها بعقد رسمي وقانوني .. وأن «راسم» قد ورث كل شئ من والدته بشكل شرعي لا غبار عليه .. خاصة أن الوصية المكتوبة كانت بشهادة أربعة اشخاص جلبهم بعد أن دفع لهم بسخاء كبير أهلكته بذلك تصرفات ابنه وكانت ضربة تحت الحزام ..

اشتدت حمرته وضاقت عيناه وارتجّ كفّه يضرب على المكتب بغضب .. عندما قرأ عقد البيع والتنازل الغير مُقنع والمفاجئ لهذا الابن المزور.

كان ليلتها قد استغل وجود جثة أمه في الغرفة .. في حين كان يُخاط لها الكفن فأخرج السيدات من الغرفة ليختلي بها بمفرده بحجة وداعها .. فلم يستطعن السيدات الرفض فخرجن بهدوء كان والده في الخارج جالسًا بين المُعزين يبكيها وقد انهار كُليًا من الحزن على ما أصابه من هم وغم عظيمين .. فاستغل «راسم» انشغال الجميع فأخرج من جيبه ورقة بيضاء ثم بصّمها عليها بسرعة وأرجع الورقة إلى جيبه .. جلس لحظات يتمتم بكلمات وأدعية .. وذرف

دمـوع التماسـيح عليهـا وبِقَلْـبٍ بـارد .. ثـم خـرج متظاهـرًا بالاسـتياء والحـزن .. ثـم سـمح للنسـاء بإكـمال إجـراءات الواجـب للجثـة القابعـة في الداخـل.

كان جالسًـا بهـدوء .. يُغلفـه السـكون في حديقـة القـصر مستسـلما لآشـعة الشـمس السـاطعة .. قبـل أن يقطـع عليـه خلوتـه ولـده «راسـم» ذلـك الابـن الغـير لائـق بهـذه العائلـة .. بابتسـامته الصفـراء سـلّم عـلى والـده ثـم اتخـذ مجلسـه أمـام والـده ..

كان ينظـر إلى والـده بنظـرات شـفقة .. ولعلـه سـيكون صدمـة غـير منتظـرة مـن هـول الخـبر الـذي يحملـه لـه وهـو تجريـد والـده مـن كل سـيادة بعـد سـنين طويلـة مـن السـيطرة والقـوة .. قبـل أن تنتهـي بـه الآن بـ «الـلا شيء» .. صـبّ لنفسـه فنجانًـا مـن الشـاي .. تطلـع بعيـون وقحـة إلى والـده الشـارد .. الـذي لم يبـال بوجـود ابنـه وكأنـه غـير موجـود .. كان شـاردًا إلى حـد بعيـد .. ارتشـف قليـلًا مـن الشـاي ثـم قـرر أن يكـسر الصمـت ويتكلـم :

- والـدي هـل أسـتطيع أن آخـذك إلى المكتـب .. فهنـاك أمـور مهمة يجب أن تتطلع عليها لو سمحت.

حرّك رأسه ببطء وتثاقل نحو مصدر الصوت ثم أجاب بوهن :

- ماذا تريد ؟

- هناك أوراق مهمة قد تمّ إثباتها في المحكمة .. و ...

- محكمة ؟ أية محكمة هذه وأي أوراق ثبوتية تتحدث عنها ؟

قالها مقاطعا ...

- ممكـن نناقـش الموضـوع في الداخـل لأننـي لا أريـد أحـدًا مـن الحراس أن يسمعوا ما سنتحدث عنه من أمور مصيرية.

ببطء وانحناءة سيطرتا عليه فمنعت ظهره من ان يحافظ على استقامته لينهض .. رفض يد «راسم» التي مُدّت إليه لتسنده وفضّل الدخول إلى الداخل معتمدا على نفسه وقوته التي تعثرت تحت ثقل سقمه.

كان «راسم» أثناء هذه اللحظة يلعب دور الرقيق والطيّب الهادئ مع والده .. يبتسم ظاهريًا ومن الداخل يستولي عليه حب المال والسلطة .. يحاول قدر إمكانه أن يُطمئن من روع والده .. عندما يأتيه صوت والده أحيانا كثيرة نحيلة مكسورة الحروف .. فقد كان القلق الأسود يسبغ وجه والده .. الذي طالما كان رمزًا للقوة والشباب.

دخلا المكتب فتوجّه والده على الفور ليجلس خلف المكتب ولكن «راسم» قذفه بنظرة استنكار على هذا التصرف الذي اعتبره غير لائق بشخص تقاعد وما زال يعتقد بنفسه سيّدا فلم يمنعه من ذلك .. و لم يتفوه ببنت شفة على تصرف والده .. فاتخذ ابنه مجلسه بشكل عادي على الكرسي المقابل لوالده .. ووضع حقيبته الجلدية على الطاولة التي أمامه ليُخرج منها بعض الأوراق ويسلمها إلى والده .. وبكل هدوء.

رنّ حزن في بحة صوت «محمود بيك» متسائلًا وهو يستعيد أمجاده التي فاتت :

- اعتقدت أنني تقاعدت وها أنت الآن تُثقلني بأوراق العمل مجددًا.

لكن «راسم» لم ينبس ببنت شفة ولم ينطق بكلمة تصعق والده بل فضل أن يصعقه من خلال الأوراق .. كان يتحضر لردع عاصفة هوجاء أو لربما تكون ريحا خفيفة ستهبّ من عجوز متهالك

فتنتهي آثارها سريعًا .. لبس والده نظارته ثم مرّت عيناه على السطور وبدأ يقرأ مضمون الورقة .. بانت علامات الفاجعة تُعلن عن نفسها شيئا فشيئا .. ولكنه حاول أن يجمع شتاته ولكن بلا فائدة .. فالانهيار بدأ يأكله قليلًا قليلًا .. وفي النهاية لم يتمالك فزعق رغم ضعفه وقد أخذَت الرجفة منه مبلغًا عظيمًا :

- ما هذا بحقّ الله ؟ أي أموال تركتها لك والدتك ومتى ؟ وأين ؟ وأي عقد تنازل اعتمدت المحكمة عليه ؟ أم اصدقائك القضاة ساعدوك كالعادة مقابل الرشاوي العظيمة التي تغدقها بها جيشك من المحامين والقضاة والمسؤولين .. هل نسيت إخوتك يا ولد .. أنت مُزَوِّر.

قام «راسم» متضايقًا من زعقة أبيه ومن نعته الأخير له بالـ «مزوّر» وتقدّم بغضب نحو والده الذي أراد أن يقوم ولكن ابنه دفعه بقسوة وأعاده إلى الكرسي مرة ثانية قائلًا :

- لقد حجرت عليك أيضًا وأنت منذ اليوم تحت الإقامة الجبرية تقرير الطبيب يقول بأنك لست في كامل قواك العقلية وأن نسبة الخرف عندك قد استحوذ على صحتك وبات كل شئ فيك ينهار .. يعني لن يصدقك أحد ولن يسمعك أي شخص بعد الآن .. والدي العزيز.

لم يستطع أن يتحمل سيل الإهانات من ولده فصار يزعق بصوت متهدّج .. كان نشيج لهثه يفسر حمرة وجهه وقطرات عرقه :

- أنت مزوّر كيف تجرؤ على عزل والدك وإنا مازلت على قيد الحياة .. أخويك لن يسكتا .. «وسام» قادم مع زوجته و«مأمون» سيكون هنا في الأسبوع المقبل .. سيمنعاك حتى لو تكن من تكون.

عـبرت كلماتـه فـوق رأس «راسـم» لهبًـا أشـعله غضبًـا ثـم صـاح بوالـده بعـد نفـاذ صـبر :

- اهـدأ قبـل أن أخنقـك أيهـا العجـوز .. جميـع الرجـال في الخـارج لـن يسـعفوك فكلهـم أتباعـي الآن .. اهـدأ واستسـلم لقـدرك تقاعـدك الشـهري وخدمـات إعالتـك لـن تتوقـف عنـك .. ولكـن إن أجبرتنـي فسـوف أعاقبـك ولـن تجـد نفسـك إلا وتتمنـى المـوت ويحـك إن فكـرتَ بالخـروج .. بالمناسـبة أنـا غـيّرت اسـم القـصر ورفعـت اللافتـة التـي كانـت عليهـا اسـمك ووضعـت اسـمي بـدلًا مـن اسـمك .. وإن حاولـت الخـروج مـن بوابـة القـصر فسيؤسـفني أن أقـول لـك يـا «سـيد محمـود» بـأن رجـالي لديهـم أمـر بالتخلـص منك.

الفصل الثامن عشر

لم يُصدّق ما جرى له لكنّه جرى فعلًا.

كان جالسًا على سريره في غرفته التي صارت كمعتقل له في أواخر أيامه .. خائر القوى يهمهم متلعثم الكلمات تتقطع حروفها بين أسنانه تخرج متآكلة من حنق حلق مخنوق بالغضب :

- كيف لهذا العاق أن يعزلني ويحجر علي ويستولي على ممتلكات أمّه ! ويزوّر كل هذه الأوراق والمستندات ويزوّر إمضائي ويغتصب حقوقي كلّها وتحت غطاء قانوني كامل وأنا مازلت حيًّا أُرْزَق ! أين أنتما «مأمون و وسام» ؟ أين أنتما ؟ هل انْستكَ زوجتك والدك الذي ربّاك ؟ هل نسيتني وأنت الآن في أمريكا تخرّجت وتوظفت .. !

لم تمر سويعات حتى أتاه الخبر اليقين عن مأمون .. خبر غيّر كلّ شيء في لحظة !

أحد حراس القصر وبتكليف شخصي من رئيسه «راسم» أمره بإبلاغ «محمود بيك» أنباءًا كانت كافية بأن تندلع رعدة في جسد والده الطويل ما إن تلقى الرسالة وفتحها .. فانفجرت نبضات عروق رقبته منتفضة لم يحتمل الأخبار بخصوص «مأمون» التي كانت فعلا صادمة لا ترحم؛ فقد كان أمله في الحياة ومن المفروض أن ينقذه من هذا المأزق .. فارتعَشَ هذا البدن الجسيم الفارع الذي ظهر عليه عبور السنين وعبراته وطعنات الأقرباء قبل الغرباءْ برماحهم ونصالهم .. تجمّدت نظرات الحارس على «البيك» بينما كان يبلغه شفويًا أخبارًا أخرى تقول بأنّ جهاز الأمن والاستخبارات

العراقي ألقَيا القبض على ابنه وهو يُهرّب بمساعدة من الضباط الآخرين شحنات أسلحة حديثة إلى شمال العراق .. ومن المرجّح أن تكون الأسلحة متوجهة إلى المعارضة الكردية.

اقترب بوهن من سريره ثم سقط لا إراديًا بظهره على فراشه فأهتزت جنبات السرير كأن حمى الطاعون ضربته كان يتخبط فكّاه وشحب ملامحه وأبيضّ جلده...

فأسرع الحارس إلى إبلاغ الجميع بالخبر .. فاحتاروا هل يتصلوا بالطبيب أم لا ؟ ولا سيَّما و«راسم» لم يكن لا في مكتبه ولا في أي مكان معلوم لإعلامه بالخبر .. فقد كانوا يخافون من غضبه فيما لو ساعدوا والده .. فهل سيكون راضيًا أم سيغضب فاجتهد أحدهم قائلًا :

- إنه والده ولن يُمانع في إسعافه دعوا الأمر عليَّ لا تقلقوا.

ثم اتصلوا بالطبيب في الحال .. وتم جلبه على الفور بسيارة خاصّة .. وبعد أن فحص المريض أخبَرَهم بأنه أصيب بصدمة عصبية قوية ويجب نقله إلى المستشفى على الفور .. رفض الجميع ما قاله في البداية .. ولكن الطبيب هدّد وزعق فيهم غاضبًا فأجبرهم على القبول وهو يهرف :

- هل أنتم أغبياء .. سأبلّغ المسؤولين عليكم .. هذا الرجل ما زال مهما لدى أغلب الجهات ولن أبرح هذا المكان حتى أنقذ حياته أو أُهلَكْ.

الفصل التاسع عشر

– لقد قبضوا على عدد كبير من الجواسيس التابعين للمخابرات الاسرائيلية وعلينا أن نغادر هذا البلد في أقصى سرعة ممكنة لقد قبضوا على رجالنا وهم متلبسين .. حزب البعث يعمل جاهدًا على كشف العملاء ولن نسلم منهم أبدًا .. إذا تأخرنا فهذا يعني الموت بعينه .. لم تجرّبي سجون البعث بعد فهم سفلة وقتلة علينا أن نوقف كل النشاطات والخطط .. لقد أبلغْتُ القيادة بذلك وسيتم قطع الاتصالات وأنا سأكون المسؤول الأول في تصفية كل نشاطنا وما نملك من الشركات .. أريد منكِ أن تكوني حذرة جدا هذه الأيام.

كان يتكلم مع «عفرا» التي حضرت إلى مكتبه .. كان يتكلم بوجهٍ ملتهب بالحنق وقد وقف متخفيًا وراء الستارة يسترق النظر من خلف الشباك الذي يطل على الشارع .. يتابع تحركات الدوريات العسكرية النشطة التي تجوب في الشوارع.

– هل كنت تعلم بأننا سنواجه مثل هذا اليوم يا حاج ؟

كان يفرك خاتمه ذو النجمة السداسية وكان يَقْطُرُ عَرَقًا فتتصاعد أنفاس صدره بقلق وتوتر بالغَيْن .. يتحول بياض مُقْلَتَيْهِ احمرارا بينما رأت «عفرا» ارتعاش أطرافه ثم تتحول فتتخشب متصلبة متشبثة بالستارة .. بدأ يتكلم وقد استبانت حروفه وألفاظه بعدما تاهت وشاهت في حكايته لها :

– جميع الخطط يجب أن تتغير .. وأول شيء يجب فعله التخلص من «قادر بيك» وبأسرع وقت ممكن .. هذا الغبي لديه أشياء أن اعترف بها فسيكشف كلّ شيء.. لقد قسّمت

أشخاصًا لهذه المهمة ووضعت اسم هذا الغبي في أول القائمة وبدأت أيضا بتصفية كل الشركات التابعة لنا بأمر من القيادة وسأباشر بإخلاء مكتبك وتصفية شركتك الوهمية .. وأيضا سأبيع الملهى الليلي حالما تسنح الفرصة المناسبة .. ولكي ننتهي من هذه الكارثة البعثية التي حلّت علينا إلى الأبد.

غمغمت :

- وهدفي ؟

قذفها بنظرة استنكار ملتفتًا إليها بغضب ثم تقدّم نحوها وقرّب رأسه منها حتى التصق بوجهها وهمس بحنق :

- «عفرا» هل أنت مجنونة ؟ هل تدرين أين هو الآن ؟ راقد في المستشفى .. رااااقد ومريض .. فاقد الوعي .. ولربّما قد مات سريريًا الآن .. يرافقه حارس شخصي .. الصراعات في هذه العائلة تكبر وتكبر .. ولا سيَّما بعد أن ألقي القبض على «مأمون» .. أخوه المجنون هدّد «وسام» من مغبة زيارة العراق وقال بأنه سيتخلص منه لو حاول أو حتى إن فكّر بزيارة العراق .. لقد استولى على كلّ شئ .. وليس بعيدًا أن يرسل رجاله ليقتل «وسام» أو حتى أن يذبحوا زوجته .. إنه مجنون يعدم كلّ شخص لا يطيعه أو يقدّم ولائه له .. لن أوافقك على رأي كهذا أبدا .. لقد زرعت عيونًا لنا في العراق وسأكلفهم بالقيام بهذا الواجب حال مغادرتنا قريبا.

حركة جسده الثقيلة في إيماءاته الضجرة في إيشاحات يديه وشذرات عينيه وصوته الزاعق بلهجته وتبرمه من كلامها لا يخفي إحساسه بالتمني لو يبقر صدرها بخنجر مسموم ويسمع آهات الوجع وهي تنزف .. أو حتى يبقر صدر عدّوها الذي بات جثة

هامدة على سرير طبّي.

عنادها سيكلّفها كثيرًا .. في حين هو لا يرى فيها مرتبة عالية تستحق الاحترام بل غانية وراقصة ملاهي قديمة كبُرت وأصبحت عجوزًا شمطاء .. بل لعله ظهر غير مبالٍ أصلا بكلامها لوية رقبة سريعة وينهي كل القلق .. خلف نظارته تبرز عيونًا عازمة على قتلها .. قبل أن يضيع كل ويذهب ما فعله من أجل دولة إسرائيل أدراج الرياح .. كان يخفي قلقًا وغدرًا تحت جلده كان يلهج في طلبه ويحاول أن يردعها في ترك الفكرة ولكنها عنيدة .. لن تترك البلد دون أن تأخذ بثأرها.

*****

لما فاتح «يعوديد بن يامين» أو «الحاج رضا» قيادات الموساد الإسرائيلية بنوايا «عفرا» والتي أطلق عليها اسم المهزلة .. لأنها جاءت في وقت حرج جدًا وأَخبَرَهم بأن الخطة ستكلفهم الكثير في ظل هذه الأوضاع الصعبة التي يمر بها البلد في ظل حزب جديد وناقم ظهر بعدما أطاح بالملكية .. أتاه الرد النهائي في مساعدتها والثأر بأقرب وقت ممكن لها .. شرط أن يرافقها في العملية حارس شخصي ليس يهوديًا وأن يتم الاتفاق مع الموظف الخفر لانجاز المهمة بأسرع وقت ممكن .. لم يستوعب «يعوديد» ما يجري ولماذا تصر القيادة على تلبية رغبتها بالانتقام من رجل انتهى عهده وولّى زمانه إلى غير رجعة ؟

بعد أيام قليلة تم وضع الخطة لدخول المستشفى وتم إبلاغ «عفرا» بأن تستعد لليلة الكبيرة.

الفصل العشرون

في غبشة الفجر رجع إلى سكنه سكرانًا .. لم يكن ينقصه الغم ليغمّه زائر غير متوقع .. بل حتى لم يعلن عن زيارته أو حتى ليستأذن صاحب الدار بدخول داره !

لم يُعلمه بأي شئ أو موعد للزيارة الخاطفة .. حتى قبل أن يغرز أول نصل سام ويطعنه في منتصف ظهره .. قبل أن يهوى في قرارة قلقه وخوفه من مؤامرة قادمة ومجهولة سوف تأخذه بغتة عن عالمه الحالي يطرد التطير وهذا ما نهاه عنه كثيرًا من المسؤولين عن سلامته وهو يؤدي المهمات المناطة به من قبل رجال الموساد.

ولكن ما الحل والمتآمرون أقوى منه !

تحسس خاتمه الذي أعطته له «عفرا» في أول مقابلة وأوصته بألَّا يُضيعه أو ينزعه مهما كلفه الأمر لأن حياته مربوطة بالخاتم والتعرف عليه يتم من خلاله .. حيث يتعرفون عليه من قبل أعضاء المنظمة بعد أن يسألوه أسئلةً تؤكد هويته قبل أن يدققوا في الخاتم .. وليسمحوا له بالجلوس معهم واستحلاب كل معلوماته العسكرية والاستخباراتية التي يحصل عليها «البيك» العميل من قبل أصدقاءه العسكريين والقياديين حينما يستسلمون إلى إغراءات شهواتهم ونزواتهم الضعيفة أمام ما يقدّمه لهم في كل مقابلة من مال ونساء كطُعم ليقاوم .. وحذرته أيضا أنه بدون الخاتم سوف يخسر حياته لو أضاعه .. تعليمات واضحة وصريحة.

غشاء الخوف كان يلّف قلبه ينخدش وهو لا يعلم سبب توتره المفاجئ الذي ضربه .. لقد قاطعته المنظمات المسؤولة عنه طويلا

وهـذا الشـئ جعلـه يقلـق .. لا أحـد كلفـه بشـئ جديـد ولا أحـد طالبـه بالمعلومـات التـي جمعهـا مؤخـرًا كـما تجـري العـادة في كل شـهر عندمـا يقابلهـم للاسـتماع إلى كل مـا هـو جديـد مـن تعليـمات تخـص عملـه.

كان يترنـح مـن شـدّة الثمالـة .. وقـف واجمًـا يتأمـل نفسـه وطولـه الفـارع أمـام المـرآة الطويلـة ثـم أطـرق يمتـدح نفسـه بكبريـاء عـالي :

- أنـا «قـادر بيـك» مـن سـلالة -بيـت القـاضي- .. وأنتـم يهـود كلاب لا ذمـة عندكـم ولا أمانـة .. تحتاجونـني فتجيئـون إليَّ زاحفـين لكي تأخذوا مطالبكم مني

لم يكـذب .. كل ماقالـه صـح .. قبـل أن يخـرج شـبحٌ مـن تحـت الأرض ويعاجلـه بطعنـه سـكين حـاد انغـرزت واخترقـت عظامـه وجلـده .. فأخـذ يتلـذذ بتحريـك السـكين داخـل جسـد ضحيتـه والأخـير يئـنّ مـن شـدة الألم .. همـس الشـبح في أُذُن ضحيتـه :

- نعم يهود ولكننا على عهدنا باقون .. لا نخون بلادنا ...

ضعفـت مقاومـة «قـادر بيـك» حتـى ارتخـت قامتـه وتمـدد متوجعـا عـلى الأرض مخضبـا بدمائـه والقاتـل يسـتمر في عمليـة الطعـن وكأنـه وجـد أخـيرا مـا يتسـلّى بـه ...

بعدمـا تأكـدّ مـن موتـه .. أخـذ يـده ينـوي إخـراج الخاتـم كآخـر مرحلـة مـن المهمـة فأخـذ اليـد ثـم أمسـك بالاصبـع الـذي فيـه الخاتـم أداره حـول الجلـد دورتـين ثـم الثالثـة فسـحب الخاتـم مـن ربقـة الإصبـع مغمغـمًا :

- انتهت المهمة الأولى .. إلى التالي.

الفصل الحادي والعشرون

صكّت الكلمات أذنيه وهي تهمس وتلهج بالحدث الذي ضرب «قادر بيك» في بداية هذا الفجر الأسود ... فهام بصدمتها غامت الوجوه من المدراء والمعاونين عندما علموا بالخبر فحزنت الأنفس المحشوة بتساؤلات عن سبب مقتله ! تفجرت الأسئلة مع شوك الجملة الذي سمعوه من الاخبار التي تناقلت هذه الجريمة البشعة وغلفه الغموض .. فقام من مجلسه متصلبًا في مكانه حال تلقيه الخبر وقت الاجتماع مع مدرائه وأَخبَرَهم فورًا بالفاجعة بصوت متهدج .. فصُدموا على الفور.

كان ينفثُ لهبًا في هواء ضاق حوله ضاقت عليه الحيطان وأطبقت الأسقف على صدره أراح عجيزته على الكرسي وكان قلقه قد طلى الاجتماع والمكان كآبةً ونهر كل شخص يحاول أن يطفئ قلقه الذي اشتعل وأحرق كل خططه التي كان يرسمها لهذا الرجل قبل التخلص منه من قِبَل أغراب لم يتحمل الصدمة فأمر الجميع بالخروج.

كأنه الآن مُقيّدًا إلى وَتَدٍ يفتته الصدأ في أرض لا قرار لها قُتل الرجل لسبب ما .. أو لربما كان أحد الأسباب أنه يعمل لتنظيم معين .. جماعة معينة ظهرت بعد الثورات اللعينة فهذه الحياة مليئة بالأسرار رغم أنه يملك عقلًا ذكيًا إلا أنه تعلّم نتفًا منها .. لأن الحياة بحر عميق تغرق فيه أعتى المخلوقات.

كأن عظامه الآن ثقلت ووُضعت في كيس جلدي يحاول رفعها كان يزمّ على شفتيه بأسنانه بعصبية شديدة .. تصطك أسنانه ببعضها البعض ويحسّ في بعض الأحيان أنها وقعت من لثته المريضة عليه

أن يعرف ما يحدث ولماذا تم اختيار «قادر بيك» ذلك المعتوه ليقتلوه ! وبتلك الطريقة الشنيعة.

هناك أسرار تكمن وراء قتله .. حدسه لا يُخطئ دنا من مكتبه ورفع سماعة الهاتف ليجري إتصالًا مع أحد رجاله :

- أريد حراسةً مشددةً أكثر .. لتكون قريبة من والدي ..

- عذرًا تم سحب الحُراس بأمر من أمن المستشفى وبقي شخص واحد بصفة مرافق ولا يُسْمَح له بحمل السلاح.

لم يتحمل ما قاله الرجل فغضب بشدة :

- ماذا تعني سحب الحراسة ؟ «محمود بيك» راقد في العناية المركزية وليس هناك من يحرسه ؟ من سمح بذلك ولماذا لم تبلغوني يا حيوانات ! هل جُنّ المدير أم ماذا ؟

- صدقني سيدي لقد حاولنا معالجة الأمر ولكن دون جدوى كل شئ تغير بعد الثورة .. ولكنهم سمحوا لنا بمرافق واحد فقط وبدون سلاح.

تحركت شفتاه بلا وعي قائلا :

- اللعنة على هؤلاء .. والدي رجل مهم ويجب أن تتم حراسته بشكل لا يقبل الجدل..سيُقتل إن لم نضع له الحراسة .. علينا أن نتيقظ جيدًا فبعد والدي ربما سأكون أنا الهدف .. سوف أحاول بعلاقاتي أن أحصل على الموافقة بإرسال حراسة كافية له.

- ماذا تقول سيدي ... هل هناك خطة لقتله وهو غائب عن الوعي ؟

- لقد بعثوا بقاتل محترف ليقتل قريبه «قادر بيك» ....

قاطعته تمتمات الرجل :

- مممممممم ماذا ... معقول ؟

- لـن ينجـو والـدي مـن خطـة أُعِـدَّت مُسْـبَقًا لاغتيالـه .. إنهـا أعـمال تصفيـة ولا أعـرف مَـن ورائهـا .. جهـة قويـة ولربـما تكـون دوليـة إذا وصلـت هـذه المجموعـة إلى مـكان والـدي ليقتلـوه .. فتلـك سـتكون إهانـة لـ -بيـت القـاضي- .. تخيّـل مـا سـيحدث لاحقًـا لنا .. كُن على اتصال مباشر مع المُرافق وأخبرني بكل شئ.

- حاضر سيدي.

أَغْلَـقَ سـماعة الهاتـف بانفعـال وقلـق ممـا يجـري مـن الأحـداث الخطيرة التـي حتـمًا سـتطول والـده وأَطْـرَقَ يفكـر .. كأن نشـيجًا محبوسًـا يفلـت مـن الأعـماق فجـأة ثـم يُسـترد كاللعـاب إلى الداخـل.

الفصل الثاني والعشرون

رغباتها تلح عليها بالانتقام وقد اختارت القاتل أو الشخص الذي سيرافقها ليحقق لها حلمها بالانتقام وتغتال الرجل الذي طالما عاش ملكًا بين عائلته وورث الغنى والعيش الكريم عن أجداده ممن سبقوه في عالم التجارة عاش في قمة السعادة مع زوجته التي فقدها حتى رُزق بطفل فاسد سرعان ما أنهى حياة والده ووالدته لينفرد بكل الأملاك وضرب بمعايير الأخلاق السامية عرض الحائط غير مكترثٍ بشرع الله بل هو أقرب من أن يكون ملحدًا .. مثل جدّه إن صحّ التعبير الذي ضاجعها في القاهرة أكثر من مرة قبل أن يلقى حتفه ... غدرًا.

هي تعلم بأن «راسم» هو من يجب أن يموت .. وستتولى أمره حينما تغادر بغداد وتدفع بالقاتل المحترف لأكمال مهمة التخلص منه .. هي ناقمة على -بيت القاضي- والأسباب شخصية ومعروفة ولكن والده مدين لها بانتقام يجب أن تنفذها ولو طال الزمان بل وقبل أن يموت بسلام.

لا تريد أن تقود الأنوف لإفشاء ميتته التي ستتم على يدها قريبًا قبل أن تمثل في جثته حتى تُرضي «دانيال دانغور» في قبره وتنتقم من عدّوه أشد انتقام فلا تريد أن ترجع إلى إسرائيل خالية الوفاض تخمش بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة لمداخل المستشفى .. بل وحتى أسماء الخفراء الذين سيقيمون في المستشفى ليلة تنفيذ المهمة الممرض الخفر تم شراءه وقد باع كل شئ دون تردد .. فلا خوف إذًا من الباقين مادام الرجل سيتعاون مع الحارس لفتح الباب لتدخل مع حارسها لتنفيذ خطة القتل.

ترتشف بلّذة نبيذها الأحمر وتتخيله دم «محمود» تُقلّب بصرها بين ما ترتشفه وبين ما تبقى ممتلئًا من مشروبها طوال الوقت تبلل ريقها بكأس النبيذ فقد كانت العجوز الشمطاء بحاجة لتبقي لسانها طرية وطويلة.

وكمن تتهرب في أيامها الأخيرة في هذا البلد من المتابعة اللصيقة من قبل «يعوديد بن يامين» .. كانت تخفي عنه خطة طعن الضحية فالاتفاق هو أن يتم قتله بالخنق لكي لا تثير المسألة متاعب إضافية تفتح عليهم أبواب الجحيم .. فهم بصدد قتل رجل ما زال مهمًا عند بعض الشخصيات وبقائة مهمة جدًا لهذه الجهات المهمة ولكنها سوف تطعنه طعنة لا يفيق منها أبدا.

تنغر ذاكرتها كلما صفت وجَبَنَتْ عن الموت ولولا «دانيال» لما كانت الآن سيّدة محترمة كما تعتقد هي .. التي توقفت عن فتح ساقَيْها رغمًا عنها للرجال .. وتوقفوا عن صفع ما بين فخذيها بأجر زهيد .. ثم تستقبل الآخر تلو الآخر .. بعد أن تنتهي من غنائها على المسرح .. حتى تلقفّها ذلك المتأسلم المعتوه المُدمن الذي حاول قتلها لولا فارسها اليهودي الذي خلّصها منه وساعدها في الاستيلاء على ثروته بالقانون الآن هي مستقلة بفضله عقلت وعاشت حياتها بسلام حتى وصلت هذا العمر رغم تورطها بالجاسوسية بغير موعد سابق مع الموساد...

جاءها الاتصال الذي كان سببًا في انفراج أساريرها :

- سيدتي كلّ شئ جاهز .. هل أنتِ جاهزة لهذا اليوم ؟

- جاهزة في أي وقت شكرًا.

ابتسمَت .. أخذَت نَفَسًا عميقًا من سيجارتها بابتسامة كشفت عنه برضا كبير ثم صبّت في جوفها ما تبقى من النبيذ الأحمر.

الفصل الثالث والعشرون

تَوَقَّفَ الرذاذ ولمعت الأشجار والحجارة وتَضَوَّعت الأرض بِعِطْرٍ جميل .

وخَفَّتْ حرارة الشمس فأخذَت بدورها تَرْبُتُ على الأرض في حنانٍ وكأنها نبيل عظيم كانت قطرات المطر لا تزال تترقرق على أوراق الشجر، وفي هذا الجو الندي ساعة الأصيل كان الوجود يضحك ويبكي.

كانت أزهار الليمون في حديقة القصر تلمع في بياض ناصِعٍ بين الأوراق داكنة الخضرة، والأرض مُحَمَّلَةٌ بالزهور الباكيةً وسَرَتْ ريحٌ دافئة أَنْعَشَتْ العصارة في الفروع الوليدة فانبعثت الحياة في كل النباتات.

دخل مكتبه وبدأ باتصال هاتفي مهم :

- ألو .. نعم أستاذ أنا معك .. راسم.

أثناء ذلك دخلت شقراء وهي تميس بقدّها في دلال وجلست على الأريكة بهدوء تنصت باهتمام للحديث.

- غدًا سيتم كل شئ .. سيدخلان بدون سلاح ناري ليتم القضاء عليهما بسهولة ولكن لو سمحت لي جنابك حضرتك تعلم أنني أسعى لِأُنَّصَب سَيِّدًا على «بيت القاضي» وقد وعدتني بـ ....

قاطعه الصوت بحدّة :

- اسمع يا راسم ... افعل ما أمرتك به ولا تقلق بشأن الوعود مع تنفس الصباح ستجد نفسك سَيِّدًا ولا ينافسك أحدٌ على

منصبك .. أما حتى ذلك الحين فكل شئ أريده منك يجب أن تنفذه الطاعة العمياء مهمة جدًا .. الوقت تأخر الآن ليلة سعيدة.

أُغْلِقَ الخط.

أحَسَّ «راسم» بنشوة كبيرة حينها نهضت الفاتنة وتقدمت نحوه واحتضنته قائلة :

- إذًا كل شئ سيكون لنا وسنعيش بسلام ونتزوج.

كان وجهها كالشمس نضرة متوردة مستديرة جَذِلَة شقراء جمعت بين الدلال العراقي وجمال تركي .. زرقاء العينين.

- لن أخرُج من هذه اللعبة خالي الوفاض فمصيري الآن بين نجاح العملية أو لا.

قالها وهو يمسح بيديه على وجهها وذراعيها المرمريَّيْن وصدرها نصف العاري الذي يعلو وينخفض من لوعة أنفاسها الحارة المتصرة، وَلَّتْ أفكاره مستقرة على عشيقته التي تفيض خفة وغواية يحدق إليها .. يتملَّاها بعينيه يُمَتِّعُ ناظرَيْهِ معجبًا بالثدي النافر والخصر النحيل والأطراف البضة قائلًا بتنهد :

- في سبيلك أفعل كل شئ.

- بل في سبيل مصلحتك يا راسم تبيع كل شئ.

كان لها عقلٌ ماضيٌ كحد الموسي تعرف خبايا عشيقها قبل أن ينطق بها

الفصل الرابع والعشرون

ألصق ظهره بالجدار وكأنّ الجدار بدأ يهتز من رعشة بدنه أحَسَّ بذلك بعدما شاهد شرطي قادم نحوه مباشرة ولكنه اتخذ طريق السلالم طريقا بعدما انعطف فجأة وبدد مخاوف الزائر الغريب .. راقبه وهو يصعد في هدوء إلى الأعلى شعور غريب انتابه فجأة كقاتل وهو ماذا يفعل هذا الشرطي في هذه اللحظة هنا .. التجول حسب علمه ليس مهمته المفروض أنه متواجد في الاستعلامات لا أن يطوف طوابق المستشفى ! أم لعله أحَسَّ بشيء من النعاس وخرج ليقضي على كسله الذي انتابه من أثر الراحة و الجلوس الطويل على مقعده ..

الموظف الخفر أكدّ له بأن كل شيء على ما يرام ولكنه لم يذكر له بأن هناك شرطي في المستشفى .. يا تُرَى كم عددهم ؟

أدار عنقه وخرج بعينيه تطلان من رأسه على ذلك الممر الفارغ الواسع للمستشفى وقد خلا بهدوءه وعتمته النسبية من عبور أو مرور.

كانت دقات قلبه أعلى صوت في ذلك المكان .. الذي كان خاليًا تمامًا من الهمهمة والغمغمة لتعلن بذلك عن انتصاف الليل الذي هبط بظلامه الدامس الهادئ ليعلن وقت النوم الطويل كان قلقًا لسبب ما خاصة بعدما رأى الشرطي يتجول في طوابق المستشفى .. لو يقتله فتلك مشكلة كبيرة لو اضْطُرَّ إلى ذلك .. كان موقعه كما بدا له منضبطًا ومُوَفَّقًا ولهذا اختار الوقت المناسب لاجتياز الردهة والانعطاف يمينا .. وكان يمشي لصق الحائط إلى أن وصل ردهة فرعية على الجانب الأيمن من الطريق .. حيث لا

توجد سوى غرفة واحدة .. فمال برأسه ورأى كرسي فارغ جنب الباب الموارب .. فاستاء لعدم وجود الحارس واختصار الوقت بقتله بطريقة ما .. عدم وجوده الآن سيطيل من وقت المهمة التي يريد إنجازها بالسرعة الممكنة ومن ثم يعود بسيدته عن طريق الممر الخلفي للمستشفى حيث تنتظرهما سيارة سوداء لتقلّهما خارج المستشفى بأمان .. يريد إنجاز مهمته قبل أن يصنع طلوع الفجر تعقد خيطي الفجر فتنقر راحته بل ولربما تقضي عليه.

رجع قافلًا من حيث أتى فدخل إحدى الغرف حيثُ كانت تنتظره.

استفسرت :

- هل وجدته ؟

- الحارس غير موجود لقد ترك المكان .. أعتقِد أنه بالداخل أو في مكان ما قريب .. عليَّ التخلص منه في مكان مناسب .. لم يخبرني الموظف بأمر الشرطي الذي يتجول ليلًا و...

قطع عليهما الحديث الموظف الذي دخل فجأة فقال على عجل :

- الحارس في الحمام .. المُسهِّل بدأ يُفَعِّل دوره وسيتأخر كثيرًا رائحة الحمام عفنة جدًا .. ممّا سيجعل تنفيذك للمهمة أكثر سهولة.

- أين الحمام ؟

- آخر الردهة على اليسار.

قالها وهو يُسلّم له مفتاحًا طويلًا ...

لم ينتظر القاتل طويلا فخرج بسرعة ليباغت الحارس بأجَلِه.

اجتاز عدد من الردهات حتى وصل مكان الحمامات .. حيث

كان بصيص الضوء الناحل من فتحة الباب الذي كان مفتوحا قليلا هي وحدها التي ترمي نورًا على عتمة الردهة المظلمة اقترب من القاعة التي تضم الحمامات والمغاسل قبل أن يتفقد خنجره بيده يُجهزه لكي يباغت غريمه بضربة قاضية فيبث فيه سم الخنجر أو يشق عرق دمه كان يواظب على ألَّا ينكشف مكمنه أو يثير شكوك الحارس الذي ملأ المكان برائحته القذرة جرّاء المسهل الذي دُسّ له مع الشاي من قبل الموظف.

فتح باب القاعة الذي كشف عن احتوائه لعدد من الحمامات فمسح ببصره القاعة حتى لمح أحد الأبواب وهو مغلق .. فعرف أنها مصدر هذه الرائحة الكريهة؛ فالحارس يعاني من إسهال شديد لا يكاد ينتهي من مصيبة حتى تنزل عليه أخرى .. وهو يتألم من شدة الإسهال .. إذًا قبل أن ينتهي ويخرج .. على القاتل أن يتخلص منه.

غطّى أنفه بيده قبل أن يدخل بسرعة إلى القاعة ثم أغلق الباب من ورائه .. كان يتحامل على نفسه لإكمال مهمته بالسرعة الممكنة والتخلص من صاحب الرائحة .. اقترَبَ من الحمام ودّق بأصبعه على الباب دقتين متتاليتين .. غضب الحارس ولكن القاتل لم يبال بغضبه بل زاد من دقاته بكثافة :

- اخرج الشرطة معك.

ارتبك الحارس مُنْهِيًا إقامته الجبرية ثم همّ بفتح الباب .. فعاجله القاتل بضربتين على وجهه فترنح الحارس وسقط على الحائط لم يمهله القاتل فرصة ليستوعب ما يحدث فعاجله على الفور بطعنات من خنجره المسموم حتى اطمأن من مقتله .. ثم انسحب بسرعة إلى الخارج بعد مسح الدماء من يديه .. أغلق باب القاعة ثم دس فيه المفتاح ليقفل الباب ليمنع دخول أحد إلى الحمامات وينكشف

أمـر المقتـول .. عـاد مـن حيـث أتـى.

«عفـرا» كانـت تنتظـره مـع الموظـف بِأَحَـرِّ مـن الجمـر .. لمحـت في ملابسـه الداكنـة بقـع الدمـاء فأبتسـمت لـه وكافأتـه بالشـكر مـن خـلال نظراتهـا الراضيـة عـلى أداءه.

كانـت كراهيتهـا لـ «محمـود بيـك» تسـابق دمهـا في عروقهـا .. حتـى صـارت أنفاسـها كبخـر غليـان لا تسـعه القـدور .. أعـاد القاتـل المفتـاح إلى الموظـف ثـم التفَـتَ إلى «عفـرا» قائـلا :

- لنقتلـه الآن .. فلـن يسـتغرق ذلـك طويـلًا .. سـتقتليه بيديـك وتشفين غليلك منه.

أومـأت برأسـها موافقـة ثـم خرجَـتْ تتعقبـه وهـو يجتـاز الردهـات تلـو الأخـرى .. ويشـير لهـا بـأن تتبعـه .. كانـت حبّـات العـرق تكـسي وجههـا ...

******

كل هـذه السـنوات .. صاحـب فيهـا أنـواع الرجـال بمختلـف ألوانهـم وميزاتهـم الاجتماعيـة .. مـن وزراء ورجـال المافيـا ورجـال الأعـمال ولم يـرَ أو يسـمع أن أحدهـم قـد غُـدِرَ بهـم مثلـما فعـل ابنـه بـه مـن أعـمال تُعـد جُرمًـا في حـق والديـه.

نشـف مـن بلـل الدمـع حتـى حـين كان يتـضرع لله لايجـد في المآقـي شـيئا يعينـه عـلى تقـوى مقطـرة دمعـا.

سـيموت يومًـا وسـتتأرجح الأكتـاف في حمـل نعشـه ولكـن أي نـوع مـن المشـيعين سيشـيعون جثتـه إلى مثواهـا الأخـير ! أصدقـاؤه وعشـيرته ! أم رجـال ابنـه الضـال اللذيـن صفّـوا رجالـه مـن الأوفيـاء وتركـوه وحيـدًا لا حـول لـه ولا قـوة .. سـيرمونه داخـل الحفـرة ويتركونـه حتـى بـدون صـلاة تُصـلّى عليـه.

كـبُر في السّـن .. بعـد سـنوات شـباب طـوال .. وشـاخ في الجسـد وضـلّ ذلـك الرجـل الكبـير الـذي طالمـا وعـد وهـدّد ونفـذّ وانتقـم ولكـن عـلى حـق .. بـين سريـر يفترشـه للمـرض وبـين قلـق وتفكـير أوجـع لـه رأسـه وعظمـه.

انسلَّا من خلف وصيد الباب ...

اقتربـت منـه فرأتـه مُسـجًّى عـلى الفـراش بـين المـوت والحيـاة ميتٌ سريريًا...

أخرجت خنجرها ثم زاحت الغطاء عن جسده ببطء ...

فبـان عـوده وقـد نحـف وجلـده وقـد نحـل .. وبـان وجهـه شـاحبًا مغمـض العينـين منهـدل اللحيـة تنّمـرت فجـأة ثـم مالـت برأسـها عليـه هامسـة في لأذنـه :

- والـدك كان لـه معـي قصـة عشـق لأيـام ولكنهـا لم تـدم أَوَهَـلْ هـذا أنـت الآن بـين يـدي وقـد تقـدّم بـك السـن ! لكـم أرهقتنـي وأنـا أكـبُرُكَ أعوامًـا نَحُـلَ عـودك أمـا أنـا مازلـت أقـوى منـك رغـم مـا لاقَيْتُـهُ مـن عذابـات في صبـاي .. لقـد قتلتنـي حينـما قتلـتَ «دانيـال» قتلـت رجـلًا كنـت أعبـده طيلـة حيـاتي فكيـف أتـرك ثـأري وهـو صاحـب الفضـل عـليَّ أليـس مـن حقـي أن أردّ لـه الجميل يا «محمود بيك»!

هنـا تدّخـل الرجـل بعدمـا مـلّ مـن الانتظـار ليذكرهـا بـأن الوقـت يمـر بسرعـة :

- انجـزي سـيدتي بسرعـة أرجـوك ... لـو تشـائين أقتلـه لـكِ في ثواني.

التفَّـت إليـه وكانـت متلبسـة بجنـون كشـف عـن وجـهٍ مخيـف رمقته بنظرة حانقة فلاح في ملامح الرجل قليلًا من الخوف :

- إذًا ما فائدة رجوعي لبلد لم أرَى فيه سوى الذل يا هذا.

تنمرّت عيناها واحمرَّتا أكثر وهي تمسك بمقبض الخنجر بقوة اجتاحتها فجأة غِلْظَة غريبة فتذكرَت والده المعتوه تذكرَت كيف قضى يومه الأخير معها في ليلة اصطكت فيها الأوراك وضُمّت الأرداف ورُفِعَت السيقان فاندلعت فيها نار الثأر .. في صدرها ووجهها أطلقت أنفاسها المخنوقة في صدرها هذا الكره العميق كان يغلي في بؤبؤي عينيها كانت تحمر وتشتعل وتبظ وتجحظ ثم أشهرَت خنجرها المسنون المدبب ورفعته عاليًا بكلتَي يديها ركزّت نظرها على جسده الميت سريريًا ثم هوت به تضرب صدره فعنقه فينفجر الدم منشورا عليها كان آخر ما سَمِعَتْهُ منه أنينًا خافتًا من وجع الضربة .. قبل أن يغرق جسده بالدم حتى طرطش في وجهها فتفاجأ القاتل مما رأى من وحشية امراة لم يظن بأن يَصْدُر منها كل هذا العنف بسبب نقمتها على شخص قتل رجلًا عزيزًا عليها .. حتى أوقفها بيديه يحاول أن يبعدها عن الجثة التي غرقت بالدماء وبدأ الدم يسيل من حواف الغطاء على الأرض بغزارة .. كانت تلهث بشدة .. فأجلسها على الكرسي يهدأ من انفعالها.

وبينما هو منشغل معها .. يمسح آثار الدماء من وجهها ويهدئ من روعها .. دخل عليهما الموظف شاهِرًا كاتم الصوت ابتسم لهما ثم أطلق على جبين كل واحد منهما رصاصتي رحمة فأرداهما مقتولَيْن في الحال.

مضى زمن يسير وهو مشغول يتفحص الجثتين بدقة .. قبل أن يدخل عليه الشرطي .. فعاجَلَه بعدة طلقات من مسدسه الكاتم قبل أن يلتفت الموظف لهذا الدخول المباغت ولكنه لم يستطع أن يدافع عن نفسه .. وكانت آخر رصاصة في رأسه أردته صريعًا على

الأرض.

لاحت من الشرطي نظرة إلى «محمود بيك» الغارق بالدماء اقترب منه .. أكثر وأكثر .. كان قد رأى صوت نَفَس رفيعًا حادًا متغرغرًا ونبض ضعيف رمق حياة في جسده .. فَصَوَّبَ مسدسه نحو رأسه وأطلق عليه رصاصة كانت كفيلة بإنهاء اللعبة.

لم ينتظر طويلًا حتى غادر المكان لإبلاغ السلطات بجريمة قتل مروعة لأشهر وأهم رجل في البلد -عرّاب بيت القاضي الأخير-

تمت

أعمال سابقة

١- الحريق والرماد (خواطر)

٢- الصرخة (رواية)

٣- نسرين ابجدية العشق (ديوان شعر)

٤- نسرين (مجموعة قصصية)

٥- حواء (خواطر)

٦- عصر النساء (خواطر)

٧- قارئة الفنجان (خواطر)

٨- كهرمانة والغزاة

٩- من يوميات رجل حزين (خواطر)

١٠- قصائد ثائرة (شعر)

١١- نساء على كفّ الرب (شعر)

١٢- نسرينيات (شعر)

١٣- اسطنبول (خواطر)

١٤- اعترافات الحب (خواطر)

١٥- المجزرة (خواطر)

١٦- الوهم (خواطر)

١٧- بغداد (ديوان شعر وخواطر)

١٨- تأملات (خواطر)

المؤلف في سطور

- ولد في بغداد ١٩٧٤
- بدأ في الكتابة في سن مبكرة وهو في سن ١٥ عاما من عمره
- كتب في منتصف الثمانينات رغم صغر سنه عدد من المسرحيات و٣ روايات تتحدث عن مصر القديمة متاثرا بشخصية نجيب محفوظ كما الف رواية بوليسية.
- شارك ومثل في عدة ادوار في مسرحيات عراقية في الثمانينات
- دخل معهد إعداد المعلمين وفقد والده ومن ثم جاءت حرب الخليج الاولى ليؤثر سلبا على حياته
- دخل الاعلام والتوجيه السياسي عام ١٩٩٢ وعمل في مجلات كما كتب عدة مقالات مهمة كانت سبب خروجه من العراق عام ١٩٩٩ رغم إنه كان مرشحا لمعهد ضباط الامن العالي إنذاك
- كتب في الغربة عدة مقالات للصحف المهمة
- اكمل دراسته في لندن وعمل كصحفي ومن ثم بدأ بنشر خواطره الخاصة بناءا على طلب بعض دور النشر الالكترونية ثم بدأ بكتابة اول رواية له "المصير"مذكرات مواطن عراقي
- له اول ديوان يتألف من ١٦ رواية شعرية بالشعر العربي المقفى وهو ديوان "رسالة لرجل في الاربعين
- حصل على عدة جوائز من مختلف الجهات الادبية التي تهتم بالادب وله عدة لقاءات صحفية وتلفزيونية
- يجيد التكلم ٦ لغات

الفهرس

التمهيد ٧

شكر وتقدير ٩

الدرس الأول ١١

الدرس الثاني ١٣

البيت الأول ١٥

الفصل الأول ١٧

الفصل الثاني ٢٤

الفصل الثالث ٣٠

الفصل الرابع ٣٩

الفصل الخامس ٤٦

الفصل السادس ٥١

الفصل السابع ٥٥

الفصل الثامن ٦٢

الفصل التاسع ٦٦

الفصل العاشر ٦٨

الفصل الحادي عشر ٧٢

الفصل الثاني عشر ٧٦
الفصل الثالث عشر ٨٣
الفصل الرابع عشر ٨٩
الفصل الخامس عشر ٩٧
الفصل الساس عشر ١٠٤
الفصل السابع عشر ١١١
الفصل الثامن عشر ١١٥
البيت الثاني ١١٩
الفصل الأول ١٢١
الفصل الثاني ١٢٥
الفصل الثالث ١٣١
الفصل الرابع ١٣٦
الفصل الخامس ١٣٨
الفصل السادس ١٤١
الفصل السابع ١٤٧
الفصل الثامن ١٥٠
الفصل التاسع ١٥٣
الفصل العاشر ١٦٠
الفصل الحادي عشر ١٤٦
الفصل الثاني عشر ١٦٩

الفصل الثالث عشر ١٧٤
الفصل الرابع عشر ١٧٨
الفصل الخامس عشر ١٨٠
الفصل الساس عشر ١٨٨
الفصل السابع عشر ١٩٢
الفصل الثامن عشر ١٩٧
الفصل التاسع عشر..... ١٩٩
الفصل العشرون ٢٠٢
الفصل الحادي والعشرون ٢٠٤
الفصل الثاني والعشرون ٢٠٧
الفصل الثالث والعشرون ٢٠٩
الفصل الرابع والعشرون ٢١١
اعمال سابقة ٢١٨
المؤلف فى سطور ٢١٩

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر
أو طبع محتوي الكتاب بأي صورة من الصور بدون موافقة كتابية من
المؤلف ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

الموقع الألكتروني
www.facebook.com/riyadalkadiblogs/
رقـــم الايـــــــداع : ٢٧٩٥٠ / ٢٠١٧
التـرقيم الـــدولـــى : ٦ - ٧٢٨٩ - ٢٠ - ١٩٨ - ٩٧٨